

الأفكار
للكتاب

١٥٠

حديث النهر

من روائع الآداب الهندية

ترجمة: سوريال عبد الملك

المصرية
للكتاب

0161058



Biblioteca Alexandrina

حَدِيثُ النَّهْرِ

الألفا كتاب الثاني

الإشراف العام
و. سمير سرحان
رئيسة مجلس الإدارة

رئيس التحرير
لمنحى المطيعي

مدير التحرير
أحمد صليحة

الإشراف الفني
محمد قطب

الإخراج الفني
علياء أبو شادي

حَدِيثُ السَّهْرِ

من روائع الآداب الهندية

ترجمة

سوريال عبد الملك



المهنة المصرية العامة للكتاب

١٩٩٤

الفهرس

٩	• • • • • • • • • •	تصدير
١١	• • • • • • • • • •	المقدمة
٣٥	• • • • • • • • • •	أساطير من الهند
٣٧	• • • • • • • • • •	رفيق الفرح والالم
٣٩	• • • • • • • • • •	السماء لا تعرف العجز
٤٣	• • • • • • • • • •	الأرنب على سطح القمر
٤٥	• • • • • • • • • •	قصائد حديثة من الهند
٤٧	• • • • • • • • • •	الغزال
٥٠	• • • • • • • • • •	الغريق
٥٢	• • • • • • • • • •	حديث النهر
٥٧	• • • • • • • • • •	الأفق
٦٥	• • • • • • • • • •	حتى الشمس ليست وحيدة
٧٧	• • • • • • • • • •	قصص قصيرة من الهند
٧٩	• • • • • • • • • •	نشيد المعركة
٩٤	• • • • • • • • • •	فراش العرس
١٠٨	• • • • • • • • • •	اخبرنا
١٤٩	• • • • • • • • • •	رائحة الكيروسين
١٦٩	• • • • • • • • • •	ماليني (مسرحية من فصل واحد)

إهداء

إلى روح المهاتما غاندي

وإلى شعب الهند الناهض العظيم

إلى روعة الحب وزحام الجمال

في تلك الأرجاء البديعة من العالم

سوريا لعبد الملك

تقدير

فى أوائل عام ١٩٨٠ كنت مكلفا بكتابة دراما اذاعية عن كل من اختارهم من عظماء العالم ، وقد اخبرت من عظماء الهند رجلين أحبهما كثيرا ، لأن كلا منهما بهرنى كما بهر العالم بتفردہ ٠٠ وصدقہ مع النفس ، وكفاحه المذهل من أجل الخير والحق والجمال وكرامة الإنسان :

المهاثما غاندى ٠٠٠٠ وربندرانات تاجور

وتقديرا للرجلين اللذين أنجبتهما الهند فخرا لها وللحياة ٠٠ فقد كان على أن ألم بكل التفاصيل عن حياتيهما ٠٠ منذ الطفولة ٠٠ الى أن أشرقت أضواؤهما فى سماء التاريخ ٠

وذات زيارة لمكتبة مركز الاستعلامات التابع لسفارة الهند بالقاهرة ٠٠ التقيت بنساب هندی يبحث هو الآخر عن كتاب ، سألتني ان كان يستطيع أن يساعدني فى العثور على ما أبحث عنه ، فلما عرف السبب الذى جئت من أجله ٠٠ دعاني الى مكتبه بالطابق الثانى ، وهناك عرفت أن اسمه « شاشانك » ، وأنه السكرتير الأول لسفارة الهند بالقاهرة ، نساب يقترب من الأربعين ٠٠ أسدر بلون اخوتنا فى صعيد مصر ، مهذب خفيض الصوت ، واسع الثقافة فى تواضع حقيقى ٠٠ وخلف نظارته الطبية البيضاء تزدحم عيناه بالود والذكاء ٠

وأهداني مستر شاشانك عديدا من كتبه الخاصة ٠٠ ومن شرائط الموسيقى والغناء ٠٠ التى أثرت برنامجى العزيزين الى نفسى ٠٠ عن غاندى وطاغور ٠٠ واللذين أذيعا فى عديد من اذاعات العالم ٠٠ ومن القسم العربى باذاعة كل الهند ٠ وبواسطة الصديق شاشانك ٠٠ تعرفت على ممثل عظيم لبلاده فى القاهرة ٠٠ سعادة السفير « مينون » الذى أصبح هو الآخر من أحب الأصدقاء الى قلبى وعقلى ٠

وذاٲ يوم ٠٠ دعاى الصديقان الهنډيان العزيزان لزيارة الهند ،
كعضو مرافق للوفء المصرى الى مهرجان السينما الءولى الثامن بنيوءلهى ،
والذى عقد هناك فى يناير ١٩٨١ ٠

وكانت هذه الرحلة الرائعة ٠٠ الى بلاد الاساطير والمعجزات ٠

المقدمة

فى حين من الدهر ... هذه السماوات اللامعات .. لم يكن بها
ما يسمع أو يرى ، هذه السماوات التى تظلنا .. لم تكن أفلاكها قد مدت
بعد فى الآفاق .

كيف كان الكون فى ذلك الزمان البعيد ؟! ومن كان يرعاه ؟! ومن
كان يخفيه عن الوجود ؟!

هل كان غورا سحيقا من المياه بلا حدود ؟

فى ذلك الغور السحيق من الزمان .. لم يكن هناك موت ولا أزلية .
لم يكن هناك بين الليل والنهار ستار ، فقد كان الظلام حالكا ..
وشاملا .. منل محيط هائل بلا أنوار .
لم يكن فى الوجود الا الواحد القهار ، ولم يكن هناك من تتردد
أنفاسه الا هو .

ثم ... ارتعشت جرنومة الحياة .. تلك النى كانت راقدة فى غلافها،
وتفتحت الطبيعة فى رفق .. وفى حنان .

من يستطيع أن يكتشف ذلك السر ؟! من ذا الذى قال لهذا الكون
كن ... فكان ؟!

علم هذا .. عند الذى أحاط بكل شىء علما .

« من نشيد الخليفة .. فى الهندوسية القديمة »

كان قدماء الهندوس يعبدون النار والشمس .. والقمر والأنهار .
— كيف كان هذا ؟

— كانوا يطمحون الى رؤية الخالق ، والخالق تعالى بسرّه عن الرؤية
فى سمواته البعيدة ، فلما عذبتهم أشواقهم ٠٠ راحوا يعبدون مظاهر
قوته فى الأرض أو فى السماء ٠ .

— ثم ماذا ؟

— ثم تخيلوا آلهة أخرى عديدة ٠٠ صنعوا لها تماثيل من الحجر ٠٠
ومن الخيال المعنى ، وقدموا لها القرابين ٠٠ لعل تلك الآلهة الحجرية ٠٠
أن ترفع القرابين نيابة عنهم ٠٠ الى الاله الأعظم ٠٠ المختفى بأسراره خلف
ضفاف الرؤية والعلم والخيال ٠

— ومن كان أشهر آلهتهم ؟

— كثيرة كانت آلهتهم ، كان منها الاله « شيفا » ، أسطورة شقيقة من
أساطيرهم الطيبة تقول ان شيفا صعد ذات يوم الى أعلى قمم الهملايا ٠٠ فوق
بصره على النهر السماوى « جانجا » ٠٠ جاريا بمائه فى الفضاء ، فقال له :
أيها النهر اهبط ، فهبط ملقيا بأمواجه فوق رأس شيفا ، وعندئذ تاه
النهر بأمواجه فى الرأس الالهى الكبير ٠٠ واختفى ، لكن ناسكا مقربا من
الاله شيفا اسمه « بهاجى ريتا » رنى لحال النهر ٠٠ فتوسل الى شيفا أن
ينقذه من الضياع ، فاستجاب له شيفا ، نثر صغيرة من شعر رأسه ٠٠
فانساب منها نهر جانجا المقدس ٠٠ هابطا فى شعاب الهملايا ٠٠ سيولا
متدافعة تنشر الخير فى كل اتجاه ، لذلك أحب أهل الهند ذلك الناسك ٠٠
الذى توسط لدى الاله القاسى شيفا ٠٠ وأطلقوا اسمه على منبع النهر
العظيم حتى الآن « كهف بهاجى ريتا » ٠

هكذا سيطرت الرؤى والأشواق الى المجهول على الهندوس آلاف
السنين البعيدة ، راح شعراؤهم خلالها ينسجون من الشعر أساطيرهم
المتوالية ، المتزاحمة ، وراح الحكماء والنسك منهم يصيغون من حكمتهم
وتقواهم ٠٠ أطول قصائد فى تاريخ العالم ٠ قصيدة « المهابهارانا »
تتكون من مائة ألف بيت ، وقصيدة « الرامايانا » ٠٠ أربعة وعشرون ألف
بيت ، ومئات القصائد الرائعة الأخرى ٠٠ بتعقب أحداث التاريخ وحكمة
الانسان ٠٠ منذ وفد الآريون الى الهند فى قديم الزمان ، ثم نسجت
الهندوسية لنفسها من تلك الأساطير كتابا مقدسا أسموه « البورانا » أى
٠٠ القديم ٠

ونطورت الهندوسية بعد ذلك ، لتدافع عن نفسها أمام الديانات
الجديدة ٠٠ الوافدة الى بلاد الهند مع الغزاة المتتابعين ، الى أن أصبحت
الهندوسية فكرة فلسفية سامية ، هى الايمان بوجود روح كونى أعلى ،

وما هذا العالم المادى بكل ما فيه ٠ ٠ الا غطاء ٠٠ يحجب عن الانسان
حقيقة الروح الأعظم والأعلى ٠

— وماذا كان موقفهم من الموت ؟

— لم يكونوا يخافون الموت ، فالروح — فى عقيدتهم — تتناسخ ،
والحياة نهر جار ٠٠ أمواجه أرواح البنس ، الذى يموت ٠٠ يعود الى الحياة
مرة ثانية وثالثة والى آخر الزمان ، يعود فى صور أخرى من الخلق ، ثوبا
لمن كان محسنا ٠٠ وعقابا لمن كان مسيئا فى حياته السابقة ، ولذلك فقد
نادى معلمهم باحترام نظام الطبقات كجزء أساسى من العقيدة ، وظل
كهنتهم — البراهمة — يدعون لأنفسهم أنهم — يصلون الى الاله
ذى القوة الحارقة ، وأنهم خلفاؤه فى الأرض ، لذلك فان «البراهما» (١) ٠٠
كان اذا ارتكب كل الجرائم ٠٠ حتى القتل ٠٠ لم يكن يعذب أو يسجن ٠٠
كان فقط ينفى الى الصحراء ، أو يقضى عليه بالعودة راهبا داخل المعبد ٠٠
مدى الحياة ٠

وفى القرن السادس قبل الميلاد ٠٠ ظهر بينهم هندوسى محارب ثائر
يدعى « جوتاما » ، ترك القنال والحرب ثم هجر قصر أبيه الملك ٠٠ تاركا
وراءه زوجته الفاتنة ، وطفله الجميل وثراء والده العريض ٠٠ وراح يدعو
لثورة ضد طغيان البراهمة ، فأنكر كتبهم وتعاليمهم ، وأخذ يحارب نظام
الطبقات ، وتبعه الآلاف الى كل البقاع ، يتسولون مثله ليأكلوا ، ويشربون
معه بالدين الجديد ، ولأن دعوة جوتاما كانت من أجل الفقراء ٠٠ فقد التفوا
من حوله ضد طغيان المتجرين بالعقائد ، وأطلقوا عليه اسما جديدا ساحرا :
« بوذا » ٠٠ أى « الرجل المستنير » ، وظل بوذا يدعو الى الحق والفضيلة
حتى رحل ، تاركا للملايين من أتباعه قوله المأثور :

« كما تزرع تحصد ، ولن ينجيك من عقاب السماء لا الدعوات
ولا القرابين » ٠

— وماذا كان نتاج عصر بوذا ؟

— فى مجال الحكم والسياسة ٠٠ كان من نتاجه الامبراطور العادل
الزاهد ٠٠ والمصلح العظيم « أشوكا » ، وفى مجال الفكر والأدب ٠٠ كان
التسامع الفيلسوف « بهارنيهارى » ، الذى قال يخاطب « مهاراجات »
الهند ومستغلى شعبيها :

« أنتم أرباب الأرض الواسعة ٠٠

ونحن أرباب الأغاني الرائعة ٠٠

(١) الكاهن الهندوسى ٠

أنتم تغلبون بجبروتكم ٠٠٠
ونحن نغلب بالحق والمبادئ ٠٠
المال عندهم هو الذى ينطق ٠٠٠
والحكمة عندنا هى التى تقنع ٠٠
ان كلامى هذا لا يرضيكم ٠٠٠
لكننى ٠٠٠ حتى اذا رحلت عنكم ٠٠٠
فلن ترحل كلماتى عن أراضيكم »

وفى نفس العصر ٠٠ ومن نتاج ثورة بوذا ٠٠ ظهر الشاعر العظيم
« كاليدياسا » ، فخرا للهند وللانسان ، لآلاف القرون التالية .

– وماذا عن العلوم ؟

– توصل علماءهم فى ذلك الزمان البعيد الى حقيقة الجاذبية الأرضية
قبل « نيوتن » بألف عام كاملة ، ومواكبين لحضارة مصر القديمة ٠٠ عرف
علماءهم التشريح ، وأجروا العمليات الجراحية المعقدة ، وبرعت جامعاتهم
آنذاك فى الرياضة والفلك ، بل انهم حسبوا قطر الكرة الأرضية بدقة
أذهلت علماء العصر الحديث ، واكتشفوا أن الأرض تدور أيضا حول
محورها أثناء دورانها حول الشمس ، وآلاف أخرى من الحقائق العلمية
التي دوت انفجاراتها المشبوهة فى أوروبا بعد ذلك بمئات السنين ٠٠

– وكيف كان شعر كاليدياسا ؟

– كاليدياسا العظيم ، بحر متلاطم من عظمة الفنان وعذوبة الانسان ،
فى احدى روائعه « رسول السحاب » ، وعلى لسان فارس مقاتل فوق
جبال الهملايا ٠٠ يخاطب سحابة راحلة نحو ديار حبيبته :

« على شطوط الأنهار ٠٠

أنزلى ماءك يا صديقتى ٠٠

لترقص رأس الياسمينة التى ذبلت ٠٠

من طول العطش ٠٠

وعندما ترين الحسان يتطلعن اليك فى اشتياق ٠٠

امنحيهن خمارا يحجب حرارة القيظ ٠٠

وعندما يتبخترن فى الحقول ٠٠

ليجمعن لرؤوسهن أكاليل الزهور ٠٠

احجبى الشمس عن خدودهن الرقيقة ..

لا تدعى الحر يحرق ما جمعن من زهرات اللوتس ..

وهن يجرين مرهقات خلف قطرات الندى ..

من سطحك الرطيب المرتحل ..

لم تكن حياة بوذا ... الا ارهاصة لمولد « الروح العظيم » غاندى
مثلما كان كاليداسا منارة على الطريق لـ « تاجور » ، سلك على ضوئها من
بعده درب الخلود .

كانت هذه بعض موجات تتلاطم فى رأسى ، بينما أزين الطائرة
اليابانية العملاقة يشق بنا الصمت المديد .. بين السحاب والرهبة
والمجهول .. فى رحلة الى بلاد الأساطير ... والمعجزات .

منذ ساعات .. والأضواء داخل الطائرة خافتة ، عشرات القلوب من
حولى أغمضت عيونها ونامت ، لكن الليل خارج النافذة .. ظل يدعوئى
للسهر ، كان ليلا وسيعا كثيف الصمت ... الا من همهمات ضوء القمر ،
والقمر يبدو صغيرا وحيدا يستلقى على صدر المدى ، ابتسامته خليط
من الود ومخاوف الطفولة .. وطاعة القوانين الأزلية الصارمة .. تلك
التي تدور به منذ ملايين السنين التي لا يدرك أغوارها أحد .

وضاع من عينى سطح الأرض الحبيبة .. حلما جميلا ما أحسست
نحوه من قبل بهذا الحنين ، وفجأة ، صعد الى أهل الأرض جميعا ، تراحموا
فى شرفات قلبى ، البيض والسود ، الصفر والملونون ، ملأت أغنياتهم رحاب
الفضاء من حولى ، كانوا ينشدون بملء سمعى وأحلامى :

« أمنا الأرض السعيدة ..

أرسلتنا اليك بالشوق والمحبة والسلام » .

وأيقظنى خطو المضيفة الرقيق .. زادت يقظتى مع ابتساماتها المغردة
لكل الرفاق ، زهرة بيضاء تفتحت فى سحر خمائل اليابان .. ثم سمت
حبا وجمالا الى ما فوق السحاب .. لتحرض المسافرين بفتنتها الودبعة ..
على عشق الحياة ونسيان الخطر ، اقتربت منى كحللم رائع يتجسد ..

- نعمت مساء يا سيدى .

« نعمت جمالا IIII » .

- لم أشأ أن أوقظك وقت العشاء .. هل أحضره لك الآن ؟

- كم يبلغ ارتفاعنا فوق الأرض الآن ؟

— قريبا من الثلاثين ألف قدم •

— كل هذا ؟

للم السحر فى عينبها دوار الخوف من رأسى وقالت :

— لكى نكون أكثر ارتفاعا من الهملايا •

الهملايا !! يا الهى !! كم انتصر الانسان على المكان !! لكنه ما يزال أكثر وحشية من الوحوش •• يتربص بأخيه فى البر والبحر والفضاء •• ويقتل فى أحشاء الطبيعة أشواق الحياة !!!

وتذكرت قولاً للمهاتما غاندى : « ان التدمير ليس شريعة البشر ، ولا يجب أن يكون ، ان كل قتل أو أذى •• لأى سبب •• هو جريمة ضد الحياة ، ان الحق يا اخوتى ينتظرنا على طريق الحب ، وان الحق الذى طريقه الحب •• هو الله » •

وعبرنا شبه القارة الهندية كلها دون أن نهبط فى أى من مطاراتها ، قيل لنا ان درجة الرؤية — بسبب الضباب الكثيف — لا تسمح بالهبوط الا فى « بانكوك » عاصمة تايلاند • واستمرت الطائرة العملاقة تنهب بنا الفضاء ساعات أخرى نحو الشرق البعيد •• حتى هبطنا مع خيوط صباح جميل ، قضينا هناك يوما واجدا كيفما اتفق ، لكن آثار شريعة الغاب كانت واضحة على وجوه أهل البلاد ، كان يمكن أن تكون « تايلاند » هذه الأرض الخصبة الخضراء مرتعا لسعادة الانسان ، لكن الهزال يغلب على كل شئ • لماذا تبدو الأرض فقيرة بمن عليها ؟ • رغم ما أغدقت عليها السماء ؟! وأجابتنى أصدااء التاريخ المهان ، كانت هذه الدولة بأكملها الى عهد قريب •• استراحة وملهى ومخزنا ومنهبا لجيوش فرنسا •• ثم لجيوش أميرىكا من بعدها •• وممما تجربان منجزاتهما من الفسابل والأسلحة الكيماوية وقاذفات اللهب ، فى أرض الدولة المجاورة المنكوبة « فيتنام » ، لكن فيتنام مزقت ثباب ذلها •• وروعت بالأصرار كل اللصوص القادمين اليها من وراء البحار ، حتى جنوا تحت أقدامها الدامية العنيدة •• يطلبون الحماية حتى يرحلوا بجراحهم •• تاركين هناك تلالا من الأشلاء والجماجم البريئة ، لكن تايلاند المسكينة •• ظلت تلحق جراحها الغائرة حتى الآن •• دون أن تقوى تماما على النهوض من سنوات الاذلال والمعاناة والنزيف •

مرة أخرى •• كان الوقت لبلا ، كثير من رفاق الرحلة كانوا هنودا ، ما ان لامست عجلات الطائرة أرض الهند فى سلام •• حتى انطلقوا يصفقون •• رجالا ونساء وأطفالا تراحموا على النوافذ بأزيائهم الوطنية الجميلة •• بهزجون بأناشيد الشوق والفرح •• ويتعجلون بالعيون عناق أرضهم فى عشق غريب •••

تفجر فى قلبى الحنين بحارا لبلادى ، أقسمت بالسموات يا مصر
وبالأراضى .. لأغنين لك أينما كنت أحلى الأغنيات .

وقطعت بنا السيارة عشرات الأميال فى الليل المضاء .. نحو المدينة،
الأشجار جيوش سلام متراصة على جانبي الطريق .. متعانقة فى كل
اتجاه بملء الليل والمدى ، وعلى آماد البصر فى ضوء القمر كانت الزهور
وأبسطة الخضرة تفتشر حدائق لا تنتهى .. أخطأ الذين أطلقوا اسم
الهند على هذه البلاد ، كان أكثر صدقا أن يسموك « الأرض الخضراء » .

— أما تزال المدينة بعيدة ؟

أجاب السائق ضاحكا :

— نحن الآن فى قلب نيودلهى ..

— نيودلهى ؟ وأين بيوتها اذن ؟

كانت البيوت عن يمينى وعن يسارى ، لكن الشوارع والميادين
واسعة الى حد البذخ ، ومعظم البيوت من طابق واحد ، كل بيت يرقد داخل
حديقته الخاصة .. بعيدا عن مدخلها بعشرات الأمتار ، مختفيا عن البصر
مرة خلف أشجار الشوارع الكثيفة .. ومرة أخرى خلف أشجار الحديقة ..
والزهور الزاحفة على الجدران .

ووصلنا الى ساحة الفندق ، هناك بدأت المباني تشرئب قليلا بين زحام
الشجر ، وصعد كل منا الى غرفته .. لينام سويغات الليل الباقية ،
لكن ...

لكن غرفتى تطل على ميدان فسيح مذهل الجمال ، انطلقت من
حدائقه أصدااء أسطورة سكرى .. تبشرنى بأن الله قد أعفى المحبين من
عقوبة النوم ، الأغصان أكف ممدودة الى فى الشرفة بالتحية والسلام ،
الوجوه البديعة .. التى خلقها الله فى هذا الركن البديع من العالم ..
ما تزال تعبق أرجاء الفندق من حولى بعشق الحياة ، و

وهذى نداءات أول فجر يزحف الى قلبى ... عبر حقول وغابات
آسيا ، وأبخرة الأساطير تطفو على سطح الذاكرة ، والجمال قطرات بملء
الأرض والفضاء .. تتساقط حبا على جدران الظمأ .. لترطب العناء فى
شعاب الروح المتعبة .

ولكن ...

لكن عملا متواصلا ينتظرنى فى الصباح !! وفى طريقى الى النوم ،
ومن خلف أسوار السنين القرية .. سمعت صوت تاجور .. ينشد
اغنية للانيسان ؛

« من بلاد الهند يا أحبائي ..
أبعث اليكم بأشواقى ..
يا من تسمعوننى بعد مئات السنين ،
لعل أغنياتى أن تعانق فى القلوب أغنياتكم ،
وبهممات النحل الراقص فوق الزهور
لعل أغنياتى أن تعانق حفيف الأشجار ..
فى كل العالم ..
بعد مئات السنين »

وأغفى الشاعر المحب العظيم قليلا على قارعة الزمان .. ثم اتكأ على
سواعد حبى .. ونهض من أحراش الموت ، ومرة أخرى .. عاد الى كلكتا
يشدو لرفات معبودته الحبيبة .. التى رحلت عنه خلصة وهو يهيم لها
المخراب :

« انتظرتك طويلا فى شهور الربيع !!
والآن !!

تأتين على أجنحة العاصفة ؟!
وفى ظلام المطر ؟!
اغفرى لى هذا الانين ..
وعلى ضوء الشموع تعالى ..
تعالى الى كوخى ..
الذى شيدته لك من أغصان الحنين ..
ومن أوراق الشجر »

كنا مدعوين الى هناك لحضور مهرجان دولى للسينما ، كان المهرجان
لقاء حُب كبير ، بين مئات من صفوة العقول والقلوب والوجدان ، من أولئك
الباحثين فى كل أرض عن خلاص للانسان ، وسط غابات الشر وساحات
الآلم ، أعضاء كل وفد يتكلمون فيما بينهم بلغتهم ، وبلغة عالمية مشتركة
مع الآخرين ، وعندما تقف اللغة سدا .. فإن أخوة الانسان للانسان كانت
تهدم السدود فيتصل الحديث ، بفتات كلمات شائعة بين الشعوب ، بلقاء
حميم بين العيون ، بلفتات الود الذى يعطر المكان ، ببسمة تفوق بلاغة كل
اللغات ، بتحية شوقي من بعيد أو سلام ، فتعود خيوط اللقاء تتعانق

وتتشابك أنفاس المحبة ، تترامى الضحكات ، حتى لينتابك شعور جارف بأن كل صحف العالم واذاعاته كاذبة ، لا يمكن أن يكون هذا الانسان ، فى أى مكان عدوا لأخيه الانسان ، لابد أن كابوسا ثقيلا يسيطر على رجال الاعلام أينما كانوا ، فهم لذلك بالفزع يكتبون ويثرثرون ، يطيعون شيطان الكابوس فيكذبون ، أيها الأحياء من خولى : هل تصدقون ؟ الآن ؟ . . . بينما يجمعنا كل هذا الاخاء ؟ يتحارب هناك اخوة لنا كما تتحارب الوحوش ؟ يتنسبكون بالمدافع والقنابل والدموع والأنين !!! لماذا اذن تضحك الآن معا ؟ نحن هنا سعداء ، فلا بد أن يكون العالم كله سعيدا !!! وعناوين هذه الصحيفة التى فى يدي أكاذيب من صنع الكابوس ، ليس هناك حروب ، لا قنابل نووية ، ولا عجز فى الغذاء أو الدواء ، ولا سفينة فضاء توشك أن تحترق وتسقط فوق الأبرياء ، انظروا بماذا يصرح هذا القائد فى الصحيفة : « قتلنا فى معركة الأمس ألفا من الأعداء » ، من هم أعداء هذا المجنون ؟ سكان كوكب آخر ؟ لكننا نتمزق شوقا للقاء اخوتنا فى كل الكواكب والمجرات !!

ودوى تصفيق مفاجئ ، رفعت رأسى عن أكاذيب الصحيفة ، كان وزير الاعلام الهندى قد صعد الى المسرح ، رجل ملون وسيم فارغ ، واحد من الواقعيين تحت ضغط الكابوس ، لكنه يبتسم ابتسامة تغمر القاعة صدقا وطيبة ، وتقترب منه ممثلة هندية ساحرة ، ترتدى ساريا بلون الأحلام الجميلة ، أعضاء الوزير والساحرة شعلة الافتتاح ، دوى التصفيق فى أرجاء العرس الكبير ، همس لى الكاتب الأوربى الجالس عن يمينى : « أنا أعرف هذا الوزير من مؤتمرات سابقة ، رجل مثقف وفنان » ، أفقت من بعض خيالاتى ، وتذكرت قولاً لكاتب مجهول يقول : اذا ارتقى الحيوان صار انسانا ، واذا ارتقى الانسان صار فنا .

وبدأ الوزير الفنان كلمة الافتتاح :

« أيها الأصيباء ، ان هذا العالم أسرة واحدة ، ولذلك فان العالم يوما سينبذ الحرب والقتال » .

يا الهى !! اذن ما يزال هناك قتال !!! بالفجعة الخيال !! وماذا عن الغذاء والكساء والدواء ؟ ماذا عن لعب الأطفال يا تجار الجروب ؟ ماذا عن بسمات الهوى فى عيون المحبين ؟

وترامى الى سمعى صوت من ربى « شانتينيكيتان » ، كان تاجور البنظير هناك ينشد فى عرض الحقول ، وطيور غابته الحبيبة تردد من خلفه النشيد :

« عصرا بعد عصر يا الهى ..

وزمانا بعد زمان ...

يجىء رسلك بالمحبة والسلام ،

والكراهية الدفينة فى ظلام الصدور ...

ما تزال تبكى عبيدك الطيبين ...

لكنى أحنى رأسى اجلالا لحكمتك ..

فسوف يظل أشرار العالم ...

يضرّبون بيأسهم جدار المحبة ..

ولقد شاء عدلك ألا يتكسر الجدار » .

وتوالى عرض الأفلام ، من كل القارات ، صباحا وظهرا وعصرا وليلا ،
ازداد الغرباء تقاربا ، تألفوا ، تصادقوا ، تزاوروا حيث يقيمون فى أجمل
فنادق المدينة ، أكلوا وشربوا وضحكوا معا فى عديد من المآدب ، حتى بدا
العالم - حقيقة - وكأنه أسرة واحدة .

ذات حفل عشاء فى الفندق الأسطورة « تاج محل » تنائر أعضاء
المهرجان ، جلوسا ووقفا وتجوّلا فى الحديقة المترامية ، قلت لصديقى
« محمد أفضل » الشاب الهندى المثقف الفنان .. المشرف على القسم العربى
بإذاعة كل الهند :

- نحن مدعوون غدا لزيارة « أجرا » ، هل تأتى معنا ؟

- كنت أتمنى لولا زحام العمل .

- وأين تقع أجرا ؟

- نحو مائتى ميل الى الجنوب ..

لم أضاف مبتسما :

- ومعجزات أجدادكم أيضا تقع فى الجنوب ، الأهرامات والمعابد ،
ومنايع النيل المسافر .

- ولماذا تصفه بأنه مسافر ؟

- لأنه دائما مسافر وزاده الخيال ..

وعلى طبول النافورات العديدة المتناغمة انطلق صوت صديقى هادئا
عميقا يغنى :

« مسافر زاده الخيال ، والسحر والعطر والظلال ، ظمآن والكأس
فى يديه ... »

سألته مندهشا :

— هل تعرف لمن هذه الأغنية ؟

— لمحمود حسن اسماعيل وعبد الوهاب •

— كم مرة زرت مصر اذن ؟

— ولا مرة ، ، حلم عمري أن أزور بلادكم ••

— وأين تعلمت هذه العربية السليمة ؟

— في جامعة لاكناو ••

— وأين جامعة لاكناو ؟

— على رافد من روافد نهر جانجا ، الى الجنوب من أجرا بضع مئات
أخرى من الأميال •

— ان الأمر يا صديقي يحتاج الى حديث طويل ، ولكن !! هل تستحق
زيارة أجرا عناء السفر ؟

سرح الشاب الهندي الرقيق بعينه وخياله بين أشجار الحديقة الحاملة
•• وقال :

— منذ حوالى أربعمئة عام ، كانت أجرا عاصمة للهند المغولية المسلمة،
وقد شهدت آنذاك أعظم قصة حب ووفاء فى التاريخ ، كان من آثارها هناك
حتى الآن ما سوف تراه غدا ، أروع معجزات العالم ابهارا للعين وللخيال •
— ما هى تلك المعجزات ؟

— هى راقدة هناك فى انتظاركم ، لكننى أشفق عليك عندما تغادر
أجرا مع المساء ، فسينتابك شعور قريب من شعور آدم ، عندما طرد من
جنات السماء •

— أقول لك الحق يا صديقي !! منذ جئت الى بلادكم أحس أنى فى
عناق حميم ، بين أذرع الجمال والتاريخ والأساطير والمعجزات •

قبل أن تشرق الشمس ، كان الأتوبيس الحكومى الفاخر يشق بنا
الطريق الى أجرا ، ما أن أصبحنا خارج نيودلهى حتى امتلئت رحابة المدى،
أكثر انفساحا فى الأرض والمشاعر ، وأعمق زرقة فى السماء ، ترامت
الخضرة من حولنا كأنها مسافرة الى نهاية العالم ، وبعيدا بعيدا عند مهابط
الأفق ، كانت رياح الشتاء تلاعب أعالي الشجر ، تداعب بها وجه السماء
تارة ، وتارة تهش بها قطعان السحب •

وجاء صوت المضيئة عبر مكبر الصوت الرقيق :

« أيها السيدات والسادة ، أسعد الله صباحكم ، نحن الآن على بعد ستة أميال من العاصمة ، وهذا نهر « جامونا » ، واحد من روافد نهر جانجا العظيم ، الذى ينحدر من منابعه الشاسعة فوق الهملايا » .

تطلعنا الى النهر حتى عبرنا من فوقه الجسر ، نهر صغير ذا كن اللون ، ماؤه القليل يجرى فى وداعة كأتباع بوذا ، لكن المضيئة عادت الى الحديث :

— (عندما يذيب الصيف بعض الثلوج على قمم الهملايا ، فان هذا النهر الزاهد المستكين ينقلب الى مسافر هادر متخبط عرييد ، و .. وهنا أيها الأصدقاء ينتهى اقليم نيودلهى ، وتبدأ ولاية جديدة) تطلعنا الى لافتات الطريق .

« أهلا بكم فى ولاية هاريانا » .

وعاد صوت المضيئة فى المكبر :

— عدد سكانها نحو خمسة ملايين فقط .

قلت فى نفسى : هذا عدد يمكن اهماله فى علم الأرقام ، الى جانب ستمائة وثمانين مليوناً يسكنون الهند الآن ، الى أين تمتد الأرض أذن لتجمل كل هذه الجموع ؟!

— ولدينا أيها الأصدقاء عشرات الأنهار تشق بلادنا طولاً وعرضاً . ولأن أرضنا تمتد من صقيع آسيا فى الشمال ، الى القيقظ الشديد قرب خط الاستواء ، فأننا نزرع كل محاصيل العالم ، وقد وصلت مساحة أراضينا المنزرعة الى ثلاثمائة مليون فدان ، عدا زراعات الجبال والغابات والمراعى .

يا الهى !! كل هذا فى دولة واحدة على كوكبنا الصغير هذا ؟ فماذا عن بلايين الكواكب فى عوالمك المنظورة والمختفية فى هول المجهول ؟ لست أطمع فى جواب منك لسؤالى فالرأس لا يحتفل ، لكنى أعشقت فىك القدرة على الخلق والابداع المروع ، وأحنى رأسى أمام وحدانيتك فى امتلاك هذا الكون الجميل .

مرت ساعتان ، والسيارة تجرى بنا على طرق رحيبة فى أرض الله الواسعة الرائعة ، ثم انحرفت قليلا عن الطريق وتوقفت ، هتفت المضيئة فى عذوبة :

تفضلوا بالنزول .

ونزلنا بالفضول ، استراحة حكومية أنيقة ، تحيط بها الأشجار فتخفيها عن الطريق ، وتناولنا الإفطار ، المضيفون كرماء مهذبون ،

يرحبون بنا صادقى المشاعر كأصدقاء قدامى. ثم دعينا الى الخارج ، الى سطح ربوة مجاورة ، وهناك فوق حرير الحشائش انطلقت بضع زهرات من صبايا الهند ، يحكين بالرقص البديع قصة من أساطير الحب السعيدة ، وتلث القلوب الآتية من وراء البحار خلف براعة التعبير ، وبريق الحلي وحلاوة القسمات ، وطيبة الجمال فى العيون الباهرة ، وانتهى السرد الجميل لأسطورة الحب الوديع ، انفردت احدهن برقصة سريعة ، متقافزة ملء خضرة القمة والسفح ، ضاحكة تحتضن قلوبنا ، ثم رانية الى أعلى تقبل وجنات السحاب ، وتهادت زميلاتها من حولها ، رقصا وغناء وبسمات بعرض الحياة ، وانسابت الموسيقى من بين الشجيرات القريبة ، حتى اكتسى الفضاء من حولنا بغلالة حلم جميل .

لم أكن أعرف معنى لكلمات الغناء ، لكن القلب ارتوى دثنا وعطرا وفرحا ، صفقنا لهن فأقبلن علينا بالورود ، وبضحكات أحلى من الورود ، ورحنا نتخاطفن لالتقاط الصور ، تذكارا لساعة من أحلى ساعات الوجود .

وعدنا الى مقاعدنا ، لنواصل الرحلة الى أجرا .

وصلنا الى مشارف مدينة صغيرة ، هنا حديقة تبلغ مئات الأفدنة . المباني والأسوار إسلامية الطراز ، وعلى مرمى البصر قباب ومآذن شاهقة ، ثم قلعة حمراء هائلة ، وانساب صوت المضيئة فى مكبر الصوت :

— أيها السيدات والسادة : هذه مدينة « سكندرة » ، نسبة الى الاسكندر ، الذى اختارها عاصمة للملكة القصير فى الهند ، أما القلعة والمساجد فقد بناها السلطان العظيم أكبر الذى حكم الهند بعد الاسكندر بمئات السنين .

وعدنا بعد التجوال فى « سكندرة » الى مقاعدنا لنواصل الرحلة الى أجرا . وعاد صوت المضيئة :

أما شاه جاهان حفيد السلطان أكبر ، فقد اتخذ « أجرا » عاصمة للملكة ، حيث شيد هناك « تاج محل » ، تخليدا لزوجته وحبيبته ممتاز ، ذلك البناء الذى عاد سائح أوربي شهير من زيارته ليقول لأصدقائه : اذهبوا لزيارة الهند ، ان رؤية « تاج محل » وحدها تستحق عناء السفر الى نهاية العالم .

كيف يكون هذا البناء الذى ألهب خيالى ؟ ومن هى ممتاز التى بنى لها السلطان أجمل عجائب الدنيا ؟

لكن المضيئة لم تجب ، ابتسمت فقط وقالت :

— بعد نصف ساعة سنكون فى أجرا ، وهناك سترون مالم يرق الى وصفه الشعر ، ولا الرسم ، ولا الموسيقى •

ومدت يدها الى جهاز التسجيل ، فانبعثت أنهار موسيقى تذيب تلال الشجن ، وتوشى أردية الطبيعة والخيال بلآلىء الأمل •

وخارج النافذة تقافزت فى الحقول عيناي وروحى وذكرياتى ، ثم طارت كلها فوق الجبال والسهول والبحار ، الى حقول قريتي الصغيرة ، حيث مراتع الطفولة وعناء الأحلام فى بلادى البعيدة ، وعلى أنغام الموسيقى التى تزفنا الى أجرا ، وجدتني هنساك فى حقول قريتي الفقيرة ، أعبر القنوات وأداعب الفراشات وأغصان الشجر ، مرتلا مع تاجور على جسور الجمال :

« أين يكون حيك !

ان لم أكن أنا مهبط ذلك الحب يا الهى !!

يامن أشركتنى فى ملكوتك العظيم ••

نشرت بهاءك من حولى لتأسر فؤادى ••

ان نفسى تعيش فى الخلاء ••

بين الرياح والأشجار والمطر ••

مستجيبة من أعماق أعماقها ••

لتراتيل النور والظلام ••

وهمهمات السحر •

من طريقنا الرحبة أخذت تتفرع طرقات أخرى تباعا ، لتمدد هنا وهناك بين المزارع ، الى أن تتبدد خلف لمعانها قدرة البصر •

وانعطفت بنا السيارة شرقا ، لمحت اللافتة عند رأس المنعطف « أجرا » ، لافتة بديعة الشكل والألوان ، متكئة بقوائمها المرمية فى دلال ، على صدر اكليل ندى من الزهر والأغصان ، ومن خلف اللافتة امتدت الخمائل ، بحرا وسيعا كريم الخضرة عميق السكون ، الا من حفيف أشجار متزاحمة الظلال ، وزقزقات الطير يتسابق فرحا بالحياة بين أعالي الشجر ، وفى عرض الخمائل تمهلت بنا السيارة حتى توقفت ، سبقتنا المضيئة الى الهبوط ، ثم استدارت تستقبلنا بصدرها المشرع وابتسامتها المضيئة ، ململمة أطراف ساريها من أصابع الريح العائنة •

هذه حوائط فرعونية الضخامة والشموخ ، ارتقين السلم الى بوابة عالية ، الأرض تحت أقدامنا بيضاء ملساء ناصعة ، وسبحر جارف مخير يتدفق على وجهي مع النسيم الرطيب ، كان علينا بعد عبور البوابة أن نهبط سلما آخر ، لكن اتجاه السير زاغ فجأة من كل العيون ، كل منا جذبه خيط من الدهشة ، ثم غلالة من الدهول ، فلما أفاق ، وجد نفسه قد خطا خطوات مسحورة ، فابتعد عن الآخرين ، سكنت الألسنة ، وتجمدت بقايا الكلمات ، فهناك فوق أبسطة أسطورية من الجمال والجلال ، كانت قد لاحت أضواء المعجزة •

— تفضلوا بالسير •

وأفقنا ، كانت المضيئة تتأملنا مبتسمة من بعيد ، تبعناها على مشبيين بين الحدائق ، تتوسطهما بحيرة صناعية فائقة ، قاعها وجدرانها من أبهى الأحجار الكريمة ، ومياهها تترقرق مرايا بلون السماء •• تراقص صور السحاب والناس والجمال المطبق ، غرقنا بين الحشائش والأشجار والظلال ، انتهت اشتها طفوليا دفيناً ، أن أتمدد على صدور تلك الحشائش دهرًا من الزمان ، لكن « تاج محل » كان قد أصبح علي مرمى البصر ، أسطورة خرافية البريق •• ننادينا الى حلم مزلزل الفرح •• وشنته بعض أطياف الحقيقة •

— أيها السلطان شاه جاهان !! كيف قيدت هذا الحلم على أرضنا ؟

— منذ البداية ، أفضل أن أحكى منذ البداية •

— بل منذ ما قبل البداية ••

— كنت ما أزال أميرا عند مطلع الشباب يوم أحببتها ، لا ، يوم عشقتها ، لا لا ، عندما صحت من تيه الصبا على وجهه ممتاز ، فجرا طاغيا في سمائي العطشى ، فلما التقى هوانا لم تعد عيناى تريان الليل ، تسعة عشر عاما الى جوارها أميرا وملكا لم يمر الليل بأرضي ، ولم يهبط المساء على عرس حبي لممتاز •

— هل كانت إحدى أميرات القصر ؟

— ليس تماما ، فقد كانت عمتها الفارسية هي زوجة أبي السلطان •

— ثم ؟

— ثم أنجب حينما ثلاثة عشر ولدا وبنتا ، لكنها تعثرت في حبال الولادة . الرابعة عشرة ، فأغمضت عينيها عن بكائي وعذابى ورحلت •

— بعد كل هذا الانجاب كان لابد أن يقهر الجمال ويرحل •

— ووعدها أن أملاً باسمها أسمع الزمن ، فيجبت عشرين ألف عامل ومهندس وفنان ، ظلمت أرقبهم عشرين عاما ، ليلا ونهارا ، حتى شيدنا لحبيبتى هذا الضريح .

— لم يعد ضريحا يا صديقى السلطان ، غيروا اسمه من بعدك

— من بعدى ؟ ماذا تسمونه الآن ؟

— بكل أسماء حبيبتيك ..

— كان اسمها القديم الذى جاءت به زائرة من بلاد فارس هو « آرج ماند » ، فلما تفتح بيننا صباها أسميتها ممتاز ، ثم « تاج » ، فلما تفجرت بنابيع سحرها أسميتها باسم زوجة أبى السلطان « نوراهاان » ، نور العالم ، وفرحا بحبها وزهوا أسميت نفسها « شاه جاهان » ، نعم يا جميلة الجميلات ، وأنت بخوارى كنت أنا ملك العالم ، لأنك كنت لى ، وأنت كل هذا العالم .

يا لوفائك أيها السلطان !! يا لحبك الجليل !! لقد تحير الشعراء من بعدك فى تسمية بنائك العظيم ، جسر الحب ؟ أم عرش الجمال ؟ أم بوابة الحدود ؟ لكن تاجور العظيم أسمها أصدق الأسماء : « دعة » على خد الزمن ، نعم يا صديقى ، هذه لؤلؤة من الدمع الصادق على خد الزمن ، هذا أبهى ما صنعت يد الإنسان ، ما أضعف الكلمات عن وصف المشاعر !!! لاء القبة بألوانها العديدة المبهرة تعكس كل أضواء الكون ، سحرا يربط بين جمال الأرض وجلال السماء ، اذكرنى اذا شئت ؟ واذا شئت النسيان فانس !!! لا يا ممتاز !! هذا ادعاء شاعر لا يفهم كثيرا فى الحب ، لم يكن سلطانك ياسلطانة الجمال يريد ، ولا يستطيع أن ينسى ، ها هى آيات القرآن ترصع لك الجدران والسقوف ، بأمن الجواهر تتلأأ حولك المآذن والقباب ، بأروع ما صنعت مصر فى زمانك من قناديل .. يضاء لك المكان منذ مئات السنين ، وأرضك تتفجر نماء واثمارا واخضرارا ، ونحن هنا أسرى غرامك ، صاعدين جاللين هابطيين ذاهلين ، لا الكلمات ولا الألوان ولا الشمس ولا الموسيقى تستطيع أن تصور ما هنا من جمال ، منارات بيتك عرائس شاهقة فى أركان الحداثى ، ومسجدان بديعان تحرسك مآذنها من اليمين والشمال ، وقصور حبك القديم باقية ترنو اليك حانية من فوق الربى ، اسمعى !!! أذان العصر يتراعى عبقا فى فضائك !! انظرى !!! وامتلأت الحداثى أيضا بالمصلين ، طيرانا وابحسارا جئنا اليك من وراء المحيطات والجبال ، اختلفت لغاتنا

والواننا وسمائنا ، لكن الأرض واحدة ، والسبياء واحدة ، وواحد
متعال قادر خلق لنا هذا الكون طلبهما مشوقا بلا ضفاف ، البداية
واحدة مهما اختلف الزمان ، والمكان ، وواحدة هي النهاية يامتاز ،
مهما شق أو طال السفر .

وشدتنى روعة الطبيعة الى التحديق فيما وراءها ، اذا كان الانسان
المقيّد قد استطاع أن يزرع ويصنع كل هذا الجمال ، فأى جمال
سيحتوينى يا الهى عندما تفك قيودى من المكان والزمان !!!

ولم يقبل الليل فى موعده ، فقبل مغيب الشمس كان القمر قد
توسط الفضاء فتيا باسم ، يتبادل تحايا الضوء مع لآلىء القباب ، نصف
ليل هذا أم نصف نهار ؟ ما كل هذا الفيض من السكينة والفرح ؟
ما الذى يجعلنى أحس هنا بأنى مع الكون كله فى عناق منذ ما قبل
الوجود ؟

ودرت مع شرفات ممتاز الشاهقة ، أتحنس الجمال فى الأرض
والسماوات وتحسس عقلى ، فوجئت بهم خلف الجدران الشرقية البعيدة ،
ضبطتهم جميعا فى خلوة الغرام ، القمر والمآذن والقباب ، وأشجار
النخيل الباسقة والنجوم الهاربة ، كانوا معا يستحمون عرايا متراقصين
متعانقين فى نهر هناك لم ينبئنا بأمره أحد ، بركان جديد من السحر
زلزل قلبى وقلب الليل المرتجف .

أيها الرفاق تعالوا ، هدوا أيديكم ، أمسكوا معى بهذا الحلم الرائع
قبل أن يتبخر فى الفضاء .

وتعالت نحرى صيحات الرفاق ، لكنهم خذلونى ، وتركوا الحلم
الحبيب يرفرف نحو السماء ، فلم تكن صيحاتهم إلا نداء للتجمع والرحيل
صدقت يا صاحبي الهندي الرقيق ، أنا الآن فى حاجة الى اشفاق جميع
البشر ، أنا الآن آدم يخرج قسرا من فردوسه الحبيب ، وها رفاق الرحلة
ينتزعون قدمى من جزيرة الحب ، يسرقون من عيني اكليل الفرح ،
يتعجلون قلبى الراقد على صدر الجمال ، ويهشمون فى رأسى ما توهج من
مرايا الخيصال .

لا مفر يا حبيبتي من الرحيل ! نعمت مساء يا طيور الخمائل ،
نعمتكم مساء يا كل الراقصين فى النهر والراقصات ، وسعدتكم مساء
وفجرا وصباحا ، حتى أعود اليك يوما يا أسطورة الغرام ، يا عرش
الجمال ، يا بوابة الخلود ، يا دمة تبسّم على خد الزمن .

أحببتك يا ليل الهند الواسع ، أحببتك يا شتاءها المتزعج بالضباب
والسحب ، يا حقولا هاجعة فى غلالات القمر ، بحارا من الخضرة والثر ،

أسقطها الخالق يوما عند منابت الأزل ، فتدفقت بالخير سساعية الى
أكف الأبد ، يا قمرا هناك يزف بالشعر قوافل السحب ، يا سماء
موغلة في البعد وفي الجلال !! هل يطمع الغريب العاشق في جواب !!؟
ما عناصر هذا العطر الغامض الذي أسكر قلبي ؟ بقايا السحر من أجرا ؟
أم رجع دبيب الفجر فوق جبال الهيمالايا ؟ أطيايف الجمال المزلزل في
العيون ؟! القلوب الهادرة بالحب ؟ أم زحام الفتنة في وجوه العذارى ؟
الود والبساطة ؟ ملائكية الصدق أم حكمة الزمان على المعابد القديمة ؟
يا ٠٠ يا انا كم أحببتك هنا يا ليل والحب قدر ، داء العاشقين ودواؤهم
هو الحب يا ليل وهو زاد السفر .

ولاحت أخيرا أضواء دلهي في البعد العميق ، لكن السيارة
توقفت ، ودعينا للهبوط ، كانت هناك بضع سيارات أخرى تنتظر ،
وجمع يرقص ويغنى حول نار عالية بين شواهد الشجر ، استدفأنا بينهم
بدفء المرح وتحايا اللهب ، ثم عدنا نطوى الطريق والليل والذكريات ،
حلما قصيرا الى خمائل دلهي .

لماذا كل ما فيك يا هندي البلاد مترام كخيالات الأساطير ؟! الطرقات
والمدن !! الحدائق وأصداء الغناء !! التاريخ وقمم الجبال !! الحقول
وظلال النخيل !! الأنهار وأعماق العيسون !! يا بلادا تشدني اليها
بعبائل عشق غريب !!

وقفز الى سطح الذاكرة طيف فتاة كالأمل ، كانت مدعوة معنا ذات
ليلة قريبة الى حفل في فندق « أشوكا » ، الفندق معجزة عمرانية فوق
رهوة هادئة بعيدة في ضواحي العاصمة ، قاعاته سحر ، وتمائله معجزات
من عصارة الفن والتاريخ والعقائد ، وفي حدائقه تزدهو الطبيعة على
كل ما صنع الانسان . لكن الفتاة كانت أبهى جميع المعجزات . . . وجهها
هاربا من فتنة المجهول ، صوتها عناقيد أنغام سكرى تنفطر في سمعي ،
كلما أسبلت جفنيها ، خفت ضوء عينيها المدوي ، وتباطأ حنوا خطو
انحياة ، استسلمت يدها الكنز لمئات الأكف الجائعة الى الجمال . . .

وجلست اليها أخيرا عند ضفاف الزحام . . .

— من أين ؟

— من بومباي ، وأحيانا أعمل في ستوديوهات مدارس .

— تميلين في السينما ؟

— أخرج أفلاما للأطفال .

— ولا تميلين ؟!

- أعشق فقط صنع الأفلام للصغار •
- متزوجة ؟
- ليس بعد •
- ليس بعد ؟ نعم ، فمن العسير أن تتزوج الأحلام بالبشر !! كل ما فيك ملائكي الا الأنانية !!
- تألأت فى بحار عينيها بسمه أرعشت شفقتها الحالمتين ، وتمتمت فى بهاء :
- لماذا تتهمنى بالأنانية ؟
- لأنك لا تمثلين للسينما فتحرمين أهل الأرض من رؤية هذا الجمال !!
- حدقت فى عيني بانبهار طفولى العذوبة ، ثم ابتعدت بنظراتها الى أشجار الحديقة وقالت :
- هل ؟ هل أعجبتك بلادى ؟
- لا ••
- وعادت الى عيني عيناها معاتبتي :
- لماذا ؟
- لأنها أسرتنى حبا وعشقا •
- اهتز صدرها بضحكة سعيدة خافتة ، وقفزت فتنة قسماتها وهى تضحك الى سماوات من الخيال ••
- ومن أين جئت الى هذا الأسر ؟
- من بلاد الفراعنة •
- احتضن شهقتها شلال من الفرح وهتفت :
- أووه !! من بلاد النيل واخناتون وخوفو وايزيس !!
- !!!!!
- والأهرام ومراكب الشمس وأوزوريس •
- كم مرة زرت بلادى ؟
- لم أزرها بعد ، لكنى عرفت الكثير عنها من الكتب ، ومن وجه ناصر •

— يرحمه الله ، كان يحب بلادكم ويزورها كثيرا •
— وكان نهرو يقدمه اليها كلما جاء •• فتتزوج المليون • لسماعه
في أكبر الميادين ، ان لدينا أفلاما طويلة رائعة لتجواله في كل أنحاء
الهند •

ومدت يدها الي ب « كارت » أنيق وهي تقول :

— بعد انتهاء المهرجان •• سأسافر أسبوعا واحدا لتصوير فيلم على
شواطئ « كيرالا » في أقصى الجنوب •• وهناك أرقام تليفوناتي في
نيودلهي ومادراس وبومباي •• أرجو أن تتصل بي في مادراس
لأدعوك الى رؤية أكثر بقاع العالم زحاما بالمعابد والفنون والجمال •

•• ترى..!! هل يهب الله لبعض البشر قلوب الملائكة؟! ما هذا الفيض
من الود والبساطة وحلاوة التأخر والجمال!! حتي أنت يا حلما من لآء
المنى؟! حتي أنت يا رحيق الورد والأساطير وظلال الأمنيات؟! لقد عرفت
الآن يا « سواراجا » لماذا يكثر الشعراء في بلادكم ، والعشاق والسعداء
وأشباه الأنبياء ••

الفندق بعد منتصف الليل ، هذا موظف الاستقبال ، مشرق
الابتسامة كعادته ودافئ التحية ، تاوطني مفتاح الجناح الذي أسكنه ،
ثم كومة الرسائل اليومية المتزايدة ، ومن مكان خاص ، وباهتمام شديد ،
قدم لي مطروفا قاحرا وهو يردد باعتزاز :

— من مكتب « شريمانى » (١) انديرا •

فتحت المظروف على عجل • كان بداخله دعوة رقيقة الى العشاء من
السيدة رئيسة الوزراء ، أفقت بالمفاجأة السارة من ارهاق الرحلة الى
أجرا ، وفي « كافيتيريا » الفندق ، مع أصدقائي من الموظفين وضباط
الاتصال بوزارة الاعلام ، سهرت ساعات أخرى من الليل البهيج •

ومع الصباح بدأ يوم مزدحم آخر من أيام المهرجان ، وفي المساء
سبعينا الى سيمتا « شيللا » الرائعة بدلهي القديمة ، حيث كان يعرض
لصلاح أبو سيف فيلم « السقامات » ، صفق الهنود بحرارة لأبطالنا ،
تماما كما صفق لهم أهل السيدة والمغربلين وباب الوزير ، فهنا وهناك
نفس التاريخ والمعاناة ، هنا وهناك كان نفس المستعمرين الذى ظلوا
يسرقوننا مئات السنين ، تاركين خلفهم هذا الفقر والجهل وأمراض
الغضب •

(١) كلمة بلغة ال (هندي) بمعنى : السيدة •

وخرجنا من العرض الى جولة حرة فى أحياء دلهى القديمة .
ركبنا عربات « الريكشو » التى كان يجرها الانسان فى عهود القهر ،
والتي أصبحت الآن « تاكسيات » شعبية بمحركات ، تتسع الواحدة
منها لشخصين ، وينصف أجرة السيارة التاكسى .

المساجد العتيقة العديدة فى دلهى باقية منذ مئات السنين ، وهذا
مسجد قطب ، الذى يطلقون عليه هناك « قطب منار » ، والذى بنى
قطب الدين أيبك بعد ان اجتاحت جيوشه مدينة دلهى ، لعل ذلك المسجد
هو أعظم مسجد فى العالم ، فمئذنته هى أعلى المنشآت الهندية حتى الآن ،
ولذلك فعندما تهددها السقوط بفعل الزمن ، سارعت حكومة الهند
فدعمتها بدعامات شاهقة من الصلب ، تضمن بقاءها مئات أخرى من
السنين ، ومن المشاهد الأسطورية المرحلة التى لا تتوقف عند قطب منار ،
تلك الأفواج المتتالية من شباب الهند والسائحين ، يحتضنون بأذرعهم
منطقة معينة من المئذنة ، فاذا التقت الذراعان أو تلامست الأصابع خلف
المئذنة ، همل الشاب أو الفتاة ، فذلك فال حسن فى الحب والزواج
وتحقيق الأمانى .

ولعل دلهى من المدن القليلة فى العالم ، التى يستمتع سكانها
بكل هذه الحداثى والملاعب ، والآثار الباقية منذ أعصر عصور التاريخ ،
ودور السينما والمسارح ، وساحات الرقص والغناء ، والمعابد الهندوسية
والبوذية ، والمساجد والمعاهد ، مظلة بملايين البلايين من أغصان عميقة
الخضرة ، وركبنا عربات الريكشو الحديثة ، عشرات الأميال فى
قلب الليل الهادى والحداثى النائمة ، الى حيث نقيم ضيوفا فى فنادق
نيودلهى .

عبرت سيارتنا أحد أبواب الحديقة الى الباب الداخلى للقصر العتيق
الذى تسكنه رئاسة الوزراء ، فوجئت بأن أبواب الحديقة مفتوحة أيضا
لسيارات الأجرة وللراجلين ، دون أى اعتراض من أحد ، فلم يكن هناك
عند الأبواب الخارجية ، ولا على امتداد الحديقة حراس من أى نوع ،
ورافقنا موظفو القصر صاعدين السلم الرخامى العتيق الى صالة الاستقبال ،
صالة بالغة الرحابة ، والأثاث بالغ الأصالة والبساطة والجمال ، وعند
الأركان البعيدة لمحت مواقد عديدة مشتعلة ، فوقها قدور ينضجون فيها
طعام العشاء ، تقدم اليها شبان باسمون مهذبون بأكواب العصور ،
من كل فواكه الهند بسهولة وجبالها ، وآخرون تقدموا اليها بالسجائر
والسيجار ، وتناثرت بين الجميع تحيات وضحكات وأحاديث .

كنا مانزال وقوفا فى انتظار ابنة العظيم نهرو ، عندما فوجئت بها
داخل القاعة ، وقد صافحت عددا من الضيوف الذين اصطفوا سريعا

للقائها ، وأصبحت على مقربة منى ، سيدة بسيطة المظهر ، قصيرة ، رقيقة الخطو ، آسرة البسمة ، ابيضت خصلة من شعرها فوق الجانب الأيمن من جبينها العريض ومددت لها يدي ، بينما عيناى على عينيها المتخنتين ذكاء وثقافة واصرارا ، بادلتها كلمات الود والابتسام ، ثم تابعتها بصري حتى نهاية الصف الطويل ، الى أن عادت لتجلس على أحد المقاعد المتناثرة وسط القاعة ، كنت قريباً منها عندما انزلق شالها الحريري الأبيض ، فسقط على أرض القاعة ، توقعت أن تنحني احدى السكرتيرات أو المعاوين لالتقاط الشال ، لكن أحدا منهم لم يفعل ، انحنيت انديرا فى هدوء والتقطت شالها ، ثم نفضته بكلتا يديها ، وطوته كما كان ، وأعادت به تطويق كتفيها ، وهى مستمرة فى الحديث مع واحدة من أعضاء الوفود .

« كان لابد أن تكونى هذه المرأة الرائعة التى أراها الآن ، بعد سنوات النضال الى جوار أبيك ، فى البيت والشارع والسجون ، وبعد سنوات المجد الى جوار معلمك الحكيم الأسطورة ، مسيح الهند ومخلصها العظيم » بابو غاندى ، لتقودى من بعدهما مئات الملايين من ضحايا السنين الكالحة السوداء ، بعد رق المهاراجات واستعباد البراهمة لشعبك الكادح الطيب ، وبعد ملاحم الاستعمار الدنس ، تنكيلا واذلالا وقتلا ونهبا لثروة الجائعين والمرضى من أبناء الحضارة العريقة ، عظيمة وأنت تحملين طبقك الفارغ ، وتذهبين معنا لتأتى بعشائك من فوق المواقد ، عظيمة وأنت ترحبين بكل منا ، وتسألينه عن أية عقبات قابلته فى الهند لتذليلها ، ثم وأنت تستأذنيننا ببساطة مذهلة ، لكى تنصرفى الى اجتماع لمجلس الوزراء » .

وعدنا الى الفندق ، استقبلنى أصيدقائى مندوبو وزارة الاعلام الهندية ، الذين يعملون بمكتب خاص بالفندق لخدمة الوفود ، سألنى أحدهم :

— فيم كنت تتحدث وتمرح مع مسز « انديرا » ؟

حدثت فيه مندهشا ، هل كان متخفيا بيننا فى حفل العشاء ؟ هل الضيوف هنا مراقبون لسبب أو لآخر ؟ لكن موظف الاستقبال بالفندق أقبل مهللا من بعيد :

— لقد رأيناك على شاشة التلفزيون ، منذ بدأ الحفل حتى سقط الشال من على كتف رئيسة الوزراء .

ذات ليلة ، وقد اقترب موعد السفر ، أحسست بأن مغادرة تلك البلاد أصبحت شبيحا كئيبا .

كان قد زارنى بالفندق فى ذلك اليوم وحده : صديقى الهندى العزيز محمد أفضل رئيس القسم العربى بإذاعة كل الهند ، والاذاعى المثقف الانسان محسن عثمانى ، ثم الأسمر الضاحك الوسيم « فيجاي تشاندر » ، وهو ممثل عظيم من ولاية مادراس فى أقصى الجنوب ، كنت قد شاهدت له فيلما رائعا باسم « المسيح والشیطان » ، قام هو بإنتاجه وبطولته فى دور المسيح ، ثم مخرج ودود يعمل بولاية البنجال ، أخذنى بقوة الود فى سيارته ، لآتناول العشاء مع بعض أفراد أسرته ، المقيمين فى ضاحية ساحرة من ضواحي نيودلهي .

وفى اليوم التالى ، استطلال شبيح السفر حتى شجبت له نظراتى ، وأنا فى مكتب المستر « فاسنت ساتى » وزير الاعلام والاذاعة ، ودعوتى الكريمة لى لزيارة كلكتا فى الجنوب ، وكشمير فى الشمال ، وعلى مدى ساعات عديدة ، فى أيام متفرقة من الزمن الباقى ، عاد الأصدقاء الاذاعيون يستضيفوننى أمام الميكروفون ، لأسجل قصصى المؤلفة والمترجمة ، وأحاديث عن الأدب والأدباء المصريين ، وانطباعاتى عن زيارتى لبلادهم .

وفى الفجر كان موعد الطائرة ..

يا أصدقائى فى بلاد الأساطير والمعجزات ، دعونى أذهب وحدى الى المطار !! لاتزيدوا التهاب عينى بدمعات الفراق ، أتوسل اليكم أن تدعوا لى حقيقتى أرتبها وحدى ، وأحملها الى خارج الفندق !! تغضبون منى ؟ لا يا ملائكة الأرض المكسبين فى هذا الركن البديع من العالم !! وناولنى أحدهم خطابا ، ما ان هممت بقض غلافه ، حتى هتف بى فى مرح : - ليس الآن ، عندما تصبح وحسبك فى الطائرة ، لعلك تتسلى بقراءة عواطفنا .

وامتلأت يداى بخطابات الآخرين .

الليل غارق فى حلمه الأبدى العتيق ، وضوء السيارة يسبقنا فيلتهم الضباب ، وشريحة قمرية شاحبة ، ترتعد على بوابة الأفق ، وتنهلات الأشجار تلفح قلبى على امتداد الطريق ، ولآلىء الضوء ممتدة هنا وهناك بلا انتهاء ، لست أدرى لماذا تذكرت آنذاك ، أن كوكبنا المسكين يدور بأثقاله فى الفضاء حول الشمس ، وأن الطائرة بعد قليل ، ستدور بى دورة أخرى مركبة حول الأرض الدائرة ، وأن أسرتنا الشمسية كلها ، تدور بنا دورات قدرية أزلية حول طرف مجرتنا ، وأن الدورة الواحدة من هذا الهول تستغرق مائتى مليون عام ، وتذكرت برجفة عاتية ، أن كل مجرات الكون مهاجرة بأثقالها الى الأبد فى أعماق الخواء ، نحو مصيرها الخرافى عند ضفاف الحلم والمجهول ، وأن الحقيقة والحلم يتصافحان

فيما وراء الخيال ، والبداية والنهاية تتبادلان المواقع على محيط دائرة
الزمن ، وكل الأسرار ستظل في حوزة السر الأعظم ، وكم أنت رائع أيها
الانسان !! يا أيها الخلق المعجز !! المعذب في بهاء المعرفة وفي كهوف
الطلاس !!

و . . .

وأيقظتني نهاية الطريق وضجيج المطار .
قاومت ارتعاش القلب والعقل والدوار . .
حتى وجدتني ألوح للأصدقاء الهنود ، الذين وقفوا يلوحون لي
وداعا من خلف الحواجز . .
هأنذا مرة أخرى أصبح في الفضاء معلقا بين السحاب والخوف ،
وأشباح المجهول . .

يا الهى !!!

كم انتصر الانسان على المكان !!!

الى أين ستسمح له بالصعود في أغوار كونك الرهيب !؟
يا أنت !!

يا من تعاليت حتى على شقاء الخيال !!
يامن أحلم بأن أرى جماله بوما ، ولو من شرفات العذاب !!
يا الهى !!

فى فضاءاتك الغامضة ، أستودعك وجودى الغامض !
يا أبانا العظيم !!

يا من سيطفىء حبه من حول حرائق الجحيم !

لكى أحيأ فى بهائك سر الخلود . .
فأنا . . يا أنت . .

أنا ظلال شرك المقدس . .

أنا الانسان ، الذى صنعته بوحا بوجودك واقتدارا .
ثم أرقبته يداك حبا فى رجم الزمان الأبدى السحيق . .

أساطير من الهند

رفيق الفرح والألم

أطلق صياد شرير سهمه المسموم ، لكن السهم أخطأ الغزال ،
واستقر في جسد الشجرة الهائلة ٠٠ التي كانت يمرح في ظلها الغزال ،
وسرى السم في أنحاء الشجرة حتى تساقطت أوراقها ، وتغير لون
جسدها ، وبدأ يعتصر قواها الجفاف .

كان هناك ببغاء ، يسكن في إحدى تجاويف الشجرة منذ زمن
طويل ، وكانت حياته قد ارتبطت بحياتها ارتباطا وثيقا ، لذلك لم يستطع
أن يهجر مسكنه ، رغم ما حل به من دمار ، ظل يتنقل بين أغصان شجرته
الذابلة ، باحثا دون جدوى عن طعام أو شراب ، ثم يعود الى مسكنه حزينا
مقهورا ، الى أن حوله الحزن والقهر والجوع الى هيكل ضعيف ، ورغم
ذلك فقد صمم الببغاء الوفي على أن يستسلم للفناء مع رفيقته القديمة ،
الشجرة التي طالما آوته وقدمت له كل ما يحتاج .

ومن طاقة الوفاء ، والثبات والصبر ، والرضا في الفرح والألم ،
ومن روح الحب والتضحية ، من كل هذه الفضائل كانت قد تولدت في
الفضاء اشعاعات لفتت أنظار الاله « أندرا » ، فأسرع ليرى ما يدور هناك ،
ووقف أندرا أمام الطائر المحب الحكيم وقال :

— أيها الببغاء العزيز ، لم تعد هذه الشجرة مثمرة ولا مورقة ،
ولم يعد لها أغصان تنتقل عليها ، وهناك بالقرب منك غابة هائلة ، وبها
آلاف الأشجار الجميلة ، المثقلة بالفواكه والأزهار ، وفي جذوعها ما لا حصر
له من التجاويف ، التي تظللها الأوراق ، أما هذه الشجرة فلا أمل فيها ،
ولن تكون قادرة على أن تعطي أزهارا ولا ثمارا ، وأنت طائر عاقل حكيم ،
لماذا لا تنتقل الى أشجار الغابة الخضراء ؟

أجاب الببغاء في نبرات واهنة مؤثرة :

— سيدي أندرا ، يا ملك الآلهة ، لقد ولدت وكبرت على أغصان هذه

الشجرة ، فى كنفها اكتسبت أحاسيس ببهاء الحكمة وجمال الحياة ،
هى التى رعتنى منذ طفولتى ، حتى صرت قادرا على التحليق عند السحاب ،
هى التى وهبتنى أحلى الثمار لأتغذى ، وحمتنى من كل أعدائى ، كيف
التمس الفرح بعيدا عنها ؟ كيف استمتع بالحياة وهى تذوى وتتألم ؟
لقد قاسمتها الأفراح كل أيامى ، لا يا ملك الآلهة ، سأبقى معها لأقاسمها
المعاناة أيضا ، سستبتهج روحى بالألم الى جوارها ، ولكن !! كيف تكون
ملك الآلهة وتنصحنى بهذه النصيحة الخاطئة ؟ عندما كانت شجرتى غنية
بأسباب الحياة ، بنيت حياتى من حياتها ، والآن !! عندما يصيبها الوهن !!
هل يليق بى أن أهجرها ؟ ! وأتركها وحيدة مع قدرها التمس ؟ !

عند ذلك ، كان قلب « أندرا » قد امتلأ بالتأثر والاعجاب فقال :

— أيتها الببغاء الطيب .. اسألنى الآن ما تشاء .

أجاب الببغاء متوسلا :

— هب شجرتى من البركة ما يعيدها خضراء كما كانت ..

وبر أندرا بوعدة ، فروى الشجرة بمطر من ماء الحياة ، وفى الحال
دبت فيها الخضرة ، وأخذت تستيقظ من الموت وتكتسى بالأوراق ، ثم
بالأزهار ثم بالثمار ، الى أن استعادت جمالها وعنفوانها القديم .

وهز الفرح قلب الببغاء وجسده ، فطار ، وحط على كتف أندرا
مفردا بالشكر ، عند ذلك كان أندرا قد قرر أن يكافئ الببغاء على وفاء
وتقواه ، فطار به نحو السماوات ، حيث وهبه هناك حياة خالدة بلا ألم ،
بين أشجار أكثر جمالا واخضرارا واثمارا ، وجنات بلا صيادين ولا سهام
ولا سموم .

« السماء لا تعرف العجز »

فى كتاب « الجيتا » وهو أحد الكتب المقدسة فى الهندوسية القديمة ، يقول كريشنا :

« ان هؤلاء الذين يعرفوننى ، فيتركون الحياة خلف ظهورهم من أجل ، هؤلاء الذين يعترفون بى رسولا من الروح الكونى الأعلى ، الذين يفكرون فى السماء بروح نقية • من أجل أولئك الذين يركزون أفكارهم بعيدا عن الأرض ، أتيت أنا منذ الأزل ، أرسلنى الإله الذى يستطيع أن يخلص روح الانسان من أمواج هذا العالم الذاتى ، جئت من لدى براهمان الحاله ، الأصل ، الدائم •• الأزل الأبدى الذى لا يموت ، ولا يبلى نعيمه الذى أعده لمحبيه » •

بهذه الكلمات التى جاءت فى كتاب كريشنا ، تسقط عقولنا فى بحر لا نهائى من السكينة ، حيث لا نسمع سوى هذه الكلمات ، التى تتساقط فى أعماق الروح كالمياه العذبة ، قطرة وراء قطرة كرهاذ الحنان •

لم يدع كتاب الجيتا شيئا مما تحتاجه القلوب المضطربة ، حتى الذين يرتجفون خوفا من الجوع •• وعدهم كريشنا وعدا حائيا يقول :

« أنا أحمل اليهم بنفسى كل ما يحتاجون اليه ، أينما كانوا فى المكان أو فى الزمان » •

عن هذا الذى قاله كريشنا فى كتابه « الجيتا » تحكى أسطورة جميلة فى قرى الهند حتى الآن ، تقول الأسطورة :

ان كاهنا برهميا ، جلس ينسخ هذا النص من كتاب كريشنا ، لكى يوزعه على رعايا المعبد ، وعندما وصل الى الكلمات التى تقول « أنا أحمل اليهم بنفسى كل ما يحتاجون اليه » ، لم تعجبه كلمة « أحمل » ، شعر نحوها بالشك ، فقال فى نفسه : لا يمكن أن يحمل كريشنا الطعام بنفسه ، والتفت الى زوجته يستشيرها :

— الست ترين أن هذه الكلمة محرفة ؟ انى أعتقد أن كريشنا لم

يقول « أحمل » بل قال « أرسل » ، أجابت زوجته فى انزعاج :

– أيها الكاهن !! ابتعد عن الشك فى كتابنا المقدس !!

– انى لا أشك فقط ، انى أؤمن بأن الكلمة حرفت .

وتنساول المحاة وكشط كلمة « أحمل » ، واستبدلها بكلمة « أرسل » ، وأحس بالارتياح . . . فنهض خارجا نحو الحمام المقام فى الخلاء ، ولكن زوجته اعترضت طريقه فى اضطراب وقالت :

– والطعام ؟ ! ألم أخبرك اليوم أكثر من مرة ، بأن البيت خال من أى شىء يؤكل أو يطبخ ؟!

ابتسم الكاهن باستخفاف وقال :

– دعينا ندعو كريشنا أن يفى بوعدده ، لعله « يحمل » لك طعاما وأنا فى الحمام !!

وأفلت من غضب زوجته واختفى فى الخلاء .

مرت على الزوجة لحظات ثقيلة ، وهى ما تزال فى مكانها ذاهلة دامعة ، الى أن سمعت صوتا عند الباب يناديها باسمها ، كان هناك صبي جميل يقف بالباب حاملا سلة ملأى بأشهى الطعام .

– من أرسل الى هذا ؟

– زوجك الكاهن طلب الى أن أحمل اليك الطعام .

ووضع الصبي السلة بين يديها ، لكن الزوجة انتابها فجأة رعب فظيع ، فقد لمحت جروحا غائرة فى صدر الصبي . . . فى اتجاه قلبه تماما .
– يا الهى !! من طعنك بهذه القسوة يا طفلى الفقير ؟ !

أجاب الصبي الجميل فى هدوء :

– زوجك الكاهن ، قبل أن يدعونى لحمل هذه الطعام ، طعننى بسلاح صغير حاد .

أخرست الدهشة زوجة الكاهن لحظات ، ثم هرولت بالسلة الى داخل البيت ، لكنها عندما عادت ، كان الصبي الجميل قد ذهب ، ووجدت زوجها عند الباب عائدا من الحمام ، نسيته الطعام الشهى فى غمرة سخطها على زوجها وصرخت فيه :

– لماذا طعنت رسولك الجميل الذى حمل الى الطعام ؟ !

نظر اليها الكاهن دون أن يفهم شيئا ، واستطردت الزوجة تصرخ فيه :

— ذلك الصبي الذى أرسلته الى الطعام !!

والتقت عينا الزوجة بعيني زوجها المشدوه ، وفى لحظات فهم كل منهما من الذى حمل الطعام ، ومن الذى جرح قلب كريشنا ، عند ذلك عاد الكاهن سريعا الى النسخة التى كان ينقلها من كتاب الجيتا . . ومحا كلمة « أرسل » وأعاد كتابة الكلمة الأصلية مكانها « أحمل » ، ثم أكمل كتابة النص ، وجلس يقرأه كاملا . . دون أن يشك هذه المرة فى كلمات كريشنا :

« هؤلاء الذين يتكلمون على . . تاركين وراء ظهورهم هموم هذا العالم . . أحمل اليهم بنفسى كل ما يحتاجون اليه ، اينما كانوا فى المكان أو الزمان » .

هكذا كان الايمان بالسماء فى الهند القديمة ، ورغم تغير الديانات وتعددتها . . فان الايمان بالسماء ما يزال راسخا فى القلوب ، من أقصى الجنوب فى كيرالا . . حتى قمم الهمالايا فى أقصى الشمال .

« الأرنب على سطح القمر »

منذ قرون بعيدة مضت ، وفي الأرض الفقيرة التي ولد في رحابها بوذا ، كانت هناك غابة واسعة ، ترقد تحت أقدام الجبل ، وكان يعيش في تلك الغابة ثلاثة أصدقاء : قرد وثعلب وأرنب ، وكانت تربطهم صداقة حميمة وتوافق تام .

وذات يوم ، هبط اله من السماء الى تلك الأرض التي ولد في رحابها بوذا ، كان الاله متخفيا في زي شحاذ مسكين ، وراح يتجول عبر القرى والمدن والبلاد ، ولكن أحدا من الناس لم يرث لحاله أو يقدم طريقى الطويل .

وتصادف أن التقى الشحاذ بمجموعة من الشحاذين ، وسمع منهم عن الأصدقاء الثلاثة الذين يعيشون في الغابة البعيدة ، فقرر أن يزورهم .

وعند مدخل الغابة وجد حجرا كبيرا ، فأسند ظهره اليه حتى يستريح ، بعد أن هذه السفر والجوع والتعب، وأطل أحد الأصدقاء الثلاثة من داخل الغابة ، فرأى الشحاذ ، فنادى صديقيه ، وخرجوا اليه جميعا ، وهو جالس شبه غاف وظهره الى الحجر .

قال لهم الشحاذ :

— أنا رجل فقير معدم ، منذ أيام لم أتناول طعاما ، ولما سمعت أنكم أكثر عطفا من البشر على أمثالى من المساكين ، جئت اليكم من بعيد لكى تساعدونى .

عند ذلك تحركت نحوه عواطف الأصدقاء الثلاثة ، جرى القرد بعيدا حتى اختفى داخل الغابة ، وعاد بكثير من الفواكه أعطاها للشحاذ ، وأسرع الثعلب الى نهر قريب ، وعاد الى الشحاذ ببضع سمكات ، وهروا الأرنب هنا وهناك فى أرجاء الغابة ، لكنه عاد بلا شيء ، وقال الشحاذ للأرنب :

— يا سيدى الأرنب ، انك عطوف على الفقراء مثل صديقك

أرجوك أن تساعدني بشيء مثلما ساعداني ، لأستعين به على الجوع في
طريقي الطويل .

قال الأرنب :

— سامحني يا سيدي الشحاذ ، أنا أحس نحوك بالعطف مثل
صديقي .. لكن ليس لدى ما لديهما من ذكاء وحكمة ، وهذا يؤلمني
كثيرا .. و ..

وتوقف الأرنب عن الكلام ، تغيرت قسماته ، وبدا كأنه يفكر تفكيراً
مضنياً ، وفجأة لمعت عيناه فرحاً ، فقد اهتدى إلى الحل ، قال لصديقيه :

— أرجوكم أن تسرعا وتحضرا لي بعض الأغصان الجافة من الغابة ،
وتكوماها هنا بجوار الحجر ..

وذهب القرد والثعلب وجاءا له بما طلب ، ونفذاً بعد ذلك كل ما أشار
به الأرنب ، كوما الأغصان الجافة كما تكوم للحرق ، وعاد الأرنب فطلب
من صديقه الثعلب أن يضرب حجرين صغيرين ببعضهما حتى تتولد شرارة
نار تشعل الأغصان الجافة ، ففعل الثعلب ذلك ، وتقدم الأرنب فعانقه
صديقيه شاكرين ، وقبل أن يدرك الصديقان ما يدور برأس الأرنب ، كان
قد قفز داخلًا في النار ، ومن هناك التفت قائلاً للشحاذ :

— لم أستطع أن أقدم لك شيئاً يا صديقي ، والآن ، أرجوك أن
تنتظر حتى تنضج النار جسدي ، ثم خذ طعماً لك في سفرك الطويل .

أدارت المفاجأة رأس الشحاذ ، وملأ قلبه الرعب والأسى من أجل
الأرنب الطيب ، فقفز خلفه في النار ، وعاد به سريعاً ، لكن النار كانت
قد شوت جسد الأرنب نصف شواء ، فحمل الشحاذ جسد الأرنب ..
وضمه إلى صدره ، وقربه من قلبه في حنان ، وفجأة ، وسط الدهشة
العميقة التي أذهلت القرد والثعلب ، طار الشحاذ بالأرنب ، واختفى به
سريعاً في الفضاء ، حتى هبط به على سطح القمر ، وهناك بني الإله
قصرًا جميلًا ، أسكن فيه صديقه الأرنب ، الذي ضحى بنفسه من أجل
كائن آخر لا يعرفه من قبل .

ومنذ ذلك الزمان البعيد ، ما يزال الأرنب الطيب هناك ، يبتسم
لنا سعيداً بقصره على سطح القمر .

قصائد حديثة من الهند

(الغزال)

لشاعر كشمير : غلام أحمد

كيف أحكى لك ؟
لا شيء يا جميلتى ،
سوى أنك أوقعتنى فى شباك الهوى
ثم جريت بى يا غزالتى فى القفار البعيدة
كيف أحكى لك ؟
لا شيء يا جميلتى .

مثل طائر السمان
ارتميت بى فى الغابات الكثيفة ،
أسقطت منى زهرتى
فسرقت وريقاتها الريح
واحدة اثر واحدة ،
كيف أحكى لك ؟
لا شيء يا جميلتى .

انتظرتك صابرا كنهر الجليد ،
أحرقتنى أشواقى إليك ،

وعندما تطاير الندى ...
ولم أجد قطرة حب من حولي ...
ألقيت بنفسى فى النهر المقدس .

وسمعت صوت الحكمة القديم :
« اذا شئت أن تدرك .. فعليك أن تعاني »
صار قلبي كقلب السماء ...
جمعت منه أشلاء خوفاً ...
وأحرقتها حتى الرماد

وتسللت من عالم الحب نسيات رقيقة ،
رقرقت سبطح الرغبة الساكن فى معبدي
ضفائر ظلت تدور وترتعش ..
حتى لم يبق فى قلبي الا الدمار .

لماذا يا نسمات الهوى ؟
أفزعت الزهرة فى قلبي ؟
لماذا جعلت الصقر يجاور البلبل ؟
كيف أحكى لك يا حبيبتي ؟
لا شيء يا جميلتي !!

جئت لكى أقدم كل ما أملك ،
ما تنائر من حطام القلب المهدم ،
ولكن !! كيف أحكى لك ؟
وماذا أقدم ؟

هذا حبي ناصع كالياقوت ،
وهذا كل ما أملك .

رنوت طويلا الى الدرب الطويل ،
حيث جريت بصيدك واختفيت ،
لكنى وجدتهم يراقبون عيني ،
انهم يقتربون الآن يا حبي ،
يوشكون أن يسكوا عن الخفقان قلبي .

كيف أحكى لك يا حبيبتى ؟!
لا شيء يا جميلتى ،
سوى أنك أوقعتنى فى شباك الهوى ،
ثم جريت بى يا غزالتى فى القفار البعيدة ،
كيف أحكى لك ؟!
لا .. لا شيء يا جميلتى !!

(الغريق)

للشاعرة الهندية : انديرا سانت

Indira Sant

هي :

واحد هو الذى يصفى الى أنت
واحد هو الذى يفهمنى أنت
لذلك أحيا بجوارك كل أيامى .

هو :

شئ أحرق بلا معنى لامسنى ..
فخفف الأثقال عن قلبى ،
وعندما تفجر ادراكا ...
راح يقهقه زهوا
ساخرا منى

هي :

غواص أنت تجوب الآفاق !!! ؟
وتخلق أيضا فى الأعماق !!! ؟
احك لى اذن عن الضحالة فى البحيرة !!

هو :

غصة سدت هناك حلقى ،
كان القاع قريباً ينشر الظلمة ،
وتهادت المياه السوداء نحوى ...
حتى عانقت عند قدمي ألوان الشواطئ •

هى :

لكنى أغرقتك معى فى نفس البحيرة .
أغرقتك حتى هامتك ...
لأن هامتك العالية ...
كم شككت لى من وحشة الرفعة ..
وكم بكت لى من طول العطش !!

(حديث النهر)

لشاعر كشمير : عبد الأحد آزاد

في فقاعات أمواجي ...
تجد لها منفذا أشواقى ،
في اضطراب مياهمي ...
في هديرى ...
هائم أنا صوب أهدافى البعيدة •
هناك حيث أعانق موسيقى الوجود

نهارا وليلا •• أنا لا أكف عن السفر ،
عبر الأخاديد والوهاد ... وفوق الصخور ••
أنا لا أتمهل فى انتظار التحايا
لا أتوقف من أجل اللعب ،
فموطنى على طول الطريق ...
مع الرياح والطيور
مثلما هو طريقى مع الليل والنهار ••
وفقاعات السفر

المديح لا يدغدغ موجى ٠٠
والذم لا يلثم خطوى ٠٠
فهناك هدف بعيد ٠٠
من أجله جئت الى هذا العالم ،
وأنا مسافر حتى ألقى ذلك الهدف ٠٠٠
فأنا لست مقيدا مثل البشر
لا بمخاوف القول ٠٠ ولا بأشباح السلاسل ٠

مندفع أنا للأمام نحو رياض الأبد
لست أعرف الرجوع الى الوراء
أنا لا أتزين كالزهور ٠٠
ولا أبني أعشاشا كالبلابل
لأن ابتهاجى فى دوامات الصخب
فى ثورات الأرض من تحتى
وفى صرخات الزلازل

أنا فى طريقى أنظف جوانب جبورى
أسوى الأرض العالية بالأرض التى لم ترتفع
أقفز من فوق جنادل الزهو
والعوائق العنيدة ألقى بعنادها بعيدا
أنا لست أبحث عن معارك
لكنى اذا لقيتها ٠٠ لا أتهاون فى مصيرى

أجرح- جسدى فوق سدود الطبيعة
وفوق السدود التى أقامها البشر
ثم أعود فاجمع شتات كيانى
وشظايا نفسى المتناثرة
لكى أهزم الصخور ثانية
وأفتت أجساد التلال
لكى أهيم حرا فى غاباتى البعيدة

أنا الذى يهب للسحاب أجنحة
أنا الذى يغفر خطايا المطر
انه أنا الذى يعطى السماء ثيابها
أرجوانية ورمادية وزرقاء
انه صوتى هذا الذى يندم فى الرعد وفى الرياح
وكل ما يشتعل فى سماء الشتاء من لهبى

على سطوح أوديتى
أنشر أبسطة المخمل الأخضر .. لأصدقائى
لتستريح أطرافهم المتعبة وظهورهم .
وليمرح أيضا عشاق الجمال .
الجميع يأتون الى
يجلسون .. يمرحون
يستحمون ويشربون
أعطيهم السعادة والفرح ..
والحرية بلا حدود

لكنى لا أقوم بخدمة أحد ،
الهندوس والمسلمون ..
الشحاذون والأثرياء ..
المهاراجات والمنبوذون ..
كلهم يأتون الى ليستريخوا ..
وليسألونى بلسماً للروح التى أصابها العطب .
الجميع نحوى يتدفقون
ضارعين الى مياهى والى جسورى .

أنا لن أستريح ..
حتى يتخلص العالم من تلك الحواجز
الحواجز التى تفصل الانسان عن الانسان
أنا لن أستريح ..
حتى تتخلص الأرض من تلك الوهاد ..
ومن جحور الخداع
تلك التى تشوه وجه العالم الناعم الجميل
أنا لن أستريح ..
حتى أحطم ذلك العذاب
الذى يتلظى ناراً جائعة ..
ناراً تحرقنى وأنا المياه الجارية

ان أقوى الجبال تعرف بأسى
فأنا أشق قلوبها ..
أكسرها

لكنى بأيادى الحانيات
أغسل أجسام الصبايا الجميلات
فتيارى المتدفق ..
ودوامات أمواجى ..
فى اشتياق قديم الى الحب ..
والى جسده الحقيقة

أمنيأتى أن أكون مسافرا رقيقا ،
أن ألهو فى شعاب الخمائل ،
أن أحمل الماء فى جداولى ...
الى زهرة السوسن العطشى ..
ثم أتمهل عشقا واشتياقا ..
لألقى نظرة على زهرات اللوتس
وهى تتفتح بسمات للشمس ..
فى وسط البحيرة .

*** .

« الأفق »

قصيدة حب لم تكتمل

للشاعر الهندي : سوريش كوهلي

Soresh Kohli

فصل حبيب يأتى بعد الربيع ..
لا ، ليس هو الصيف ..
هو فصل قصير يأتى على أجنحة الحنين .
ليمشط شعر حبيبى على مهل : ..
ومع أنامل الريح يجذله ضفائر ..
فى طمأنينة وأناة ..
دون أن يكثرث بناموس الفصول

هو فصل يجوس بين عرى الجبال
فيأسر سحره وقار الجبال
ترنو لمرآه السنة الصخور ،
يرتجف التيه العتيق فى البرية ،
وكأنما بأمر من السماء ..
تتوقف القمم عن الغناء
تكف الحياة عن الخطو من مكان الى مكان ..
وتبدو الصخور ذاهلة
ثم تجشو وتحتضن السكون .

- حين يأتى ذلك الفصل الحبيب ..
- تندفق نافورات الضوء فوق الهملايا ..
- تساقط الأوراق غزيرة من الأغصان ..
- كعباءات بلا عدد تفرش الأراضى ..
- يسلنى سندا الأنغام جذوع الشجر ..
- يفيض النغم فيببل حفيف الأضواء ..
- ويتسلسل مذاق الشهد الى حنايا الروح ..
- كبار عذب البرودة نحت اللسان ،
- نسيقظ النباتات سكرى
- نتفض فى الوديان رانية للأفق
- تقفر الأخاديد من ديب الوحوش ..
- فليس لها بعد طعام هناك ،
- تتلقت القنافذ مذعورة حتى يصيبها الدوار ،
- نستبك مياه الأنهار مع قوافل الرياح ..
- لندفع نحو عطش البحرات البعيدة ،
- فى ذلك الفصل الحبيب
- تختبئ الفصول فى أحضان الثمار ...
- أو فى أرحام البقول
- أو فى وداعة الحملان قبيل الصباح ..
- وهى مستلقية على ضفاف الجداول •



- وصعدنا نستقبل الربيع
- بأيدينا صغار السمك والزهور
- تمخرت برودة الثلوج ،
- ومن أفواه الرياح ...
- تساقطت الأمطار الأبدية ..
- فالتقينا بالفصل الحبيب ..
- الفصل الذى ولد من بطن الشمس ..

بعد أن حملت بجنين النار ..
بعد أن - ذات ليلة - مات القمر
واختفى بعيدا بعيدا وراء البصر

وبحثنا عن الربيع ..
تسلقنا الصخور وارتقينا الجبال ،
وعندما ابتلت ذراعاى بالنور المذهب ..
عندما جاء ضوء الشمس يصفح القمر ..
لقيت فتاتى الفجرية الساحرة ،
لم أدرك شيئا مما أرى
كنت معلقا بين الحياة والموت ،
بين عالمين متناقضين ..
لم يكتمل أحدهما بعد ،
لكنى .. عندما هبط الصمت الواسع ..
أدركت كل ما رأيت ،
لست أعرف كيف أصوغ الكلمات ..
كيف أحیی الفصل الحبيب ،
ليس هو الصيف الذى يأتى بعد الربيع ..
بل شهر تزهو فيه الطبيعة بالحرى واللق
تزداد براءتها غموضا ..
ثم تخطو نحو أبواب الدرب الجديد ..
وبما بحثنا عن جمال ..
عن مزيد من جمال ..
وربما لتخبئ فى خزائنها ..
ما جمعته من على أبواب الطريق .

ذلك الفصل الذى يتخلق على شواطئ البحار ،
عندما تتجمع الأمواج من الشتات ...

فتمتصّره من حنين الاغتراب ..
ثم تعود ثانية الى الشتات ،
بطيئة أو مسرعة تفترق الأمواج
كما تفترق الفصول
مثلما - واحدة بعد أخرى - تغيب الليالي ..
ويجيء الصباح ،
مثلما فى المدى تموت النجوم ..
ثم ترتعش فتبعث من جديد
لمن يجيئ هذا الفصل الحبيب ؟
للحب أم للكراهية ؟
للموت أم للحياة ؟
هأنذا أتأمل !!!
لست أدري أتأمل ماذا !!!
فأنا واحد من الشعراء ..
منجم ذهب مثقف مجنون ،
أنا فى منجمى مقبرتى ،
رسام أنا ،
على خيوط الشمس الحارقة ..
أرسم لوحاتى ،
شعرة ضوء فضية هو الشاعر ،
والرسام أقحوانة لا تشفى من العطش ،
باختلال الذهن التقيت بكل الأشياء
وعندما خولط بالشعر عقلى ..
لقيت كل العباقرة ..
وكل عظماء الحياة :
الموسيقى والشاعر والرسام ..
المحبين من الرجال والنساء ..
كانوا كلهم مثلى مجانين ..
فى رحلة البحث عن الغامض والمحير والمجهول
لكن شيئاً لم يطل علينا مع وجه النساء ..

فالفصل الحبيب المشتبه ٠٠٠
كان بطيء الخطى خلف ظهر المساء ٠٠
مثل شيخ مهديم مكدود ٠٠٠
يتساند ارهاقا على جدار مكتتب



يا عالمنا المشوه الغريب !!!
يا أرض الجوع والقسوة والعذاب !!!
فصولك من غامض الدروب ٠٠٠
تجىء بالأفراح فى ثياب الشجن ،
يا فصول العام الدوارة !!
أترقب فصلا للحب ذات عام ٠٠
فانا عاشق يا فصول العام ،
ويا فصلى الحبيب !!
انتظر قدومك قبل مجئ الصيف ٠٠
بالحب ودفء الصداقة والبركات ،
يا فصلى الحبيب !!!
لن تمنحنا الطبيعة اياك ،
فأنت من خلق الشعراء ،
يخلقونك بسورة القاب الدعوب
وعندما يجسدونك بالعمل ٠٠٠
سيلهث العذاب ويحتضر ٠٠
فيما هو أكبر من العذاب ٠٠
ينسج الشعراء تيجانهم ٠٠
من خيوط الألم ٠٠
ينزعون السم من حلق الأفاعي ٠٠
عند ذاك تنهد السماء بالفرح ٠٠
يدهش الآلهة المتعبون ،



يا ارضنا الجميلة المفقودة !!
يا انت يا أيها الفصل المرتقب .

فى هذه الأرض ستقع المعجزة الثانية ،
فعندما يأتى الفصل المفقود ..
سيقرب كل شئ من الأرض ..
حتى السماء سنقترب ..
سيسعد عالم الشعر ويزدهر ،
سيتعلم الكمان ...
كيف يعزف وحده الأنغام ،
للحب .. للحياة .. للأحلام ..
سوف تتمايل الريح بالغناء ،
حتى عند محارق الموتى
ستغنى الرياح دفاعا عن البشر ،
ترى !!! هل تكفى غرفة الحرق للذكرى ؟
وهل دفنوا فيها الجسد ؟
لقد مات المهاتما فى الحريق ..
لكن غاندى لم يموت ،
يا قوة الرجال ويا صبر النساء !!
متم جميعا بموت الجسد !!
لكن الأرواح ما تزال هائمة ..
نسمة من كل من عبر الحياة ،
والزمان يقذف بها الى زمان جديد ..
أرواحا عارية شريدة ..
فهى ليست مبعجلة كآلهة السماء .

ستظل الطيور لا تدرى الى الابد ...
أن العالم لن يفكر فى الفصل المجيد ،

لن تعرف الطيور الى الابد ..
أن الشاعر يريق الأيام والشهور ..
لينحت كلمة تمجد الفصل الحبيب ..
الفصل المونى بالفتنة وسحر الجمال ،
السحر الذى ليس من خلق اله ..
بل من حنين الشاعر للكلمات ،
يا طيورا تروح وتجىء غرقى فى الفضاء !
الكلمات وحدها ..
هى التى ستبقى مغنية للجلال .

* * *

فى زمان ما ..
قد لا تجىء الفصول ..
الا فصلنا الحبيب المرتقب ،
ولقد رأيت به بعينى فى بعض المكان ،
لا .. لست أذكر الآن المكان ،
لم تقو أن ترسبه الذاكرة المتعبة ،
لكن رغبته فى الادراك ...
ستطفو به يوما الى سطح الذاكرة ،
قد يقتل الادراك روحى ..
لكنى سأحتوى فى راحة القاع ..
قاع الوهم أو قاع الحقيقة ..
فكلاهما عندئذ سواء ..
ويأجودى فيما وراء الموت !!
لن تلوث فيك الجريمة بصرى ،
وان تحلم الروح بأمل من جديد ،
الكل يموت ..
فقدركم يوما أن يذوق ،
يترك البعض بصمات على وجه الزمن ..

لكن الموت لا يقر في الرأس المعتق ..
رأس الشاعر الذي يرنو للفصل المرتجى ،
ذلك الفصل الذي يدرك ذاته ..
ويهش الموت عن ذاته .
الفصل الذي لا علاقة له بمخلوقات الطبيعة ،
فان الطبيعة والخيال اثنان ..
وواحد هما الأرض والسماء .
والشعر ليس سسلاحا .
الا في أيدي الشعراء .

يتجرع الناس الزمان ..
الرجال جميعا والنساء ،
تتغير الفصول مع الزمان ..
لكن الحياة في الفصل الحبيب نقاء ،
يتترك الفصل بصماته على رمل الوجود .
فتمحوها الأمواج والرياح .
لكن الأرواح النبيلة باقية هناك في سلام ،
يا أطياف الأرواح النبيلة !!
لاتغيبي في أعماق المدى ..
ولاتبكي عالمنا المحير الغريب ..
فألهة الموت والقدر ..
أبدا لن تكف عن الرقص المخيف .

(حتى الشمس ليست وحيدة)

للشاعر الهندي :

بهافاني براساد

Bhavani Prasad

يتدفق الليل كالحب الجسور بلا حذر ..
فينسحب النهار الى قمم الجبال ،
يحط هناك مثل طير غريب ..
يستريح من غناء السفر ..
ويعد ما تبقى من شعاع في يديه ..
ويرتحل ،
يتساقط الظلام من السقوف البعيدة ..
حتى ينسج ستارا بألف لون ..
على وجه المساء .

* * *

فيم تطيل التأمل ؟
هل تظل غارقا في هذا الشرود ؟ .. ؟ ..
حتى تتشابك نهاية الليل ..
مع أحزانك القليلة الفارغة ؟
متى تهبط من فوق هذا التل ؟
الذي توسدت قمته الموحشة ؟
متى تنعش روحك ؟

فينتعش نبض القلب المتهالك !!

ألق برأسك في حجر الليل واسترح
دع أنفاسك تنتظم ،
لاتدع عينيك تدمعان ،
عش كما يعيش الآخرون ،
وانزع نفسك من هذا الشجن
لن تخسر شيئا ..
إذا أصبحت صديقا لكل الأضياء ،
لن تخسر شيئا ..
إذا طوحت بأحزانك بعيدا ،
ليس يحيا الانسان ..
الا اذا عاش هذا العانم ،
ليس يحيا الانسان ...
الا اذا تنفس عطر الحياة ..
الا اذا نبذ الوحدة والشroud ،
لا شيء يحبا وحده في هذا الوجود ،
حتى الشمس هنالك ليست وحيدة ،
هل أنت أرفع قدرا من الشمس العتيدة !!

روح الحياء

للشاعر الهندي : ديباك ميشرا

Dipak Mishra

على ورقة من أوراق اللوتس ..
رقدت لؤلؤة من قطرات الندى ،
أصابتها الشمس الوليدة بالقلق ..
فعكست ضوءها على الصباح الرطيب

وفي الظهيرة الدوارة منذ الأزل ..
ترامت الأغنية الأبدية الغامضة ..
للطائر البعيد الذي لم يره أحد .

وفي دوامة السحر عند فوهة الماء ..
صببت موجات الريح الزرقاء ..
حتى آخر قطرة في شتات المدى

وفي ظلمة الليل الثقيل ..
أشرق نجم في التيه البعيد ،
ومن زحام الخضرة في الغابة النائمة ..
تلألأت للنجم نواراة حمراء ..

كم مرة غنيت هذا النشيد ؟!!
كم مرة سمعته من رفاقي ؟!!
لكنى لم أرَ اليه يوما ،
أنا لم أحققَ بعد فى وجه الحياة

* * *

(عند الباب المغلق)

للمشاعر الهندى م * م * ديشباندى

M. M. Dishpande

عند باب العقل ..

ذلك الباب المغلق ..

نقف أنا وأنت طويلا ،

ثم نجلس متعبين على الدرج ..

أمام الباب المغلق ،

مثل جارين من أهل المدينة ..

كل منا يعطى ظهره للآخر ..

هكذا نخدع أبدا

وهكذا نخدع الآخرين

هناك شخص آخر فى داخل ..

من بين قضبان نافذة صغيرة ..

يحدث فى بفضول غريب ،

هناك شخص آخر فى داخلك ..

يسترق السمع خلف بابك المغلق

أمام تلك الأبواب المغلقة ،
نحن جميعا واقفون ،
كل أيام الحياة واقفون ،
أو جالسون على الدرج ،
وبمثل هذه الكلمات ،
نبدد هدية العمر الثمين .

(التغير)

لشاعر كشيمير : عبد الأحد آزاد

ما هذى الحياة ان لم تكن سفر التغير !!
ومزيذا منه يخلق المزيد ..
اندفاع الفيضان هو الحقيقة ..
وما الفيضان الا التغير ..
التغير جاء بالقصيدة الرابعة ..
فمزق الستر عن بهاء المعرفة ..
عرف العقل الآن سر النبوة !!
اثنان فقط فى الأرض سيبقيان ..
الشعر وجهه الانسان ،
نحو بوابات حداثى الحب أذن تقدم ،
لمن تصوب هذه البندقية ؟
لا ، ألقها من يديك بعيدا
فهى تحجب عن عينيك حلاوة المدى ،
سل الزهور كم يقسو عليها الربيع !!
كيف عندما يلقى على الثلوج السلام ..
ينديبها دموعا جارية ،
سل الشمامسة الوديعه
أو العنزة الحاملة ..
يستوى فى عينيها الذئب والجزار ..
الجزار ينديبها مثلما يبعثر الذئب دمائها فى الخلاء

ان قانون الحرب يبارك مذابح البشر ،
ووليمة النعالب دماء الأسعد
يا لمذلة العبودية يا للقلق !!
يا للعار الذى يدق الأفتدة !!
أخى مزق قناعك وانطلق
ارفع الغطاء عن القلب الذى يغلى ..
ودع قلبك يتغير ..
ان فى نبضه السر المقدس
يا أيها التغير !!
يا أيها التغير !!
فلتأت كل يوم بجديد

* * *

غاندى فى القصة الهندية

بقلم : راما جها Rama Jha

لا يزال الجدل قائما حتى اليوم ، حول تأثير فكر المهاتما غاندى على الروائيين الهنود ، منذ أوائل هذا القرن ، وبشكل خاص على الذين يكتبون منهم باللغة الانجليزية ؛ ذلك لأن غاندى نفسه أثناء اقامته فى جنوب افريقيا ، وبعد عودته الى وطنه ، كان يكتب وينشر باللغة الانجليزية ، عارضا وشارحا وموصلا لفلسفة الدعوة الى محاربة الاستعمار باللاعنف ، بل بالمقاطعة الكاملة للمستعمرين ، واعتماد الشعب فى مأكله وملبسه وكل احتياجاته على ما ينتج بيديه فقط ، مهما كان هذا الذى ينتجه بدائيا وبسيطا ، وما تلا ذلك من نجاح مذهب الدعوة لغاندى الى محاربة القوة بالحق . أو كما لخصها غاندى بكلمتين هندية هما « ساتيا جراها » Staya Graha . ولأن غاندى كان قد اتقن الانجليزية أثناء دراسته للحقوق فى لندن ، ولأنه عندما كتب عن دعوته ، كان يريد أن يخاطب الضمير العالمى أيضا ، ولأن المتعلمين من الهنود كانوا يجيدون الانجليزية أكثر من لغاتهم المحلية ، لكل هذه الأسباب كان غاندى يكتب غالبا باللغة الانجليزية ، لذلك كان تأثير أفكاره الجديدة المبهرة على أولئك الكتاب الذين يتقنون لغة الاستعمار ، أكبر وأعمق من زملائهم الذين لا يجيدون سوى لغات ولاياتهم ، وعلى الرغم من أن فكر غاندى انعكس على الحياة الهندية بشكل عام وسريع ، إلا أنه كان أسرع وأكثر وضوحا فى كتاب الرواية الهنود الذين يكتبون باللغة الانجليزية ، هذه الرواية التى كانت بلا شك واحدة من نتائج اليقظة القومية والثقافة العارمة ، التى كانت إحدى روافدها الجاهزة هى تلك الأضواء الباهرة ، القادمة من ولاية البنجال ، والتى كان مصدرها تاجور العظيم ، برواياته وأشعاره وموسيقاه الرائعة ، منذ نهايات القرن التاسع عشر .

ويظهر دعوة غاندى فى أوائل القرن العشرين ، شكلت دعونه سلوكيات جديدة فى كل أنحاء الهند ، تلاها احتياج عقلى وعاطفى شديد

لبعث الشخصية الهندية ، التى كانت محورا أساسيا فى فلسفة غاندى ،
مما جعل تعاليمه تنشق طريقها سريعا نحو معان أسمى ، للنشاطات
الانتاجية والاجتماعية المتصاعدة فى كل الأقاليم .

كانت تحركات غاندى الفردية فى بداية الدعوة ، قادرة على إيقاظ
الوعى الشعبى المقيد تحت سياط الاستعمار ، ويقتطع الوعى هذه كانت
ضرورة أساسية ، لبعث الشخصية الهندية واثرائها وتنميتها ، ولقد كان
هذا كله أسرع وأوضح ما يكون لدى الروائيين الهنود الذين يكتبون باللغة
الانجليزية ، ونتيجة لما أحدثه فكر غاندى فى العقلية الوطنية ، فإن الشعب
فى ولاية ما ، بدأ يهتم بشعوب الولايات الهندية الأخرى أكثر من اهتمامه
بالولاية التى ينتمى إليها ، وكان لذلك أثر هائل فى انتساج الروائيين
المبدعين ، وبالنسبة فإن كتاباتهم كانت محركا قويا لمطلب الاستقلال ، ذلك
المطلب الذى أصبح تعريفا أساسيا للوطنية الهندية الزاحفة ، هكذا
استطاع فكر غاندى أن يسرى عبر كل أنحاء شبه القارة المترامية .



لقد اختار الروائيون الهنود اللغة الانجليزية للتعبير ، لكى تربط
بين المتعلمين فى شتى الولايات ، على الرغم من أن معظمهم كانوا قد بدأوا
الكتابة بلغاتهم المحلية ، وبذلك أقيم أحد المعابر الرئيسية لانتشار دعوة
الساتياجراها .

وانعكاسا لفكر غاندى ، انحاز الروائيون بعد ذلك الى جانب المرأة ،
حتى تغير وضعها الاجتماعى تماما . فلأول مرة فى تاريخ الهند ، أعطت
أفكار غاندى وتعاليمه تعريفا جديدا للمرأة ، كشخصية لها كينونتها
الخاصة ، القادرة على رعاية نفسها ، وعلى المشاركة الفعالة فى معركة
الاستقلال ، بعد أن فرضت عليها التقاليد والعقائد لآلاف السنين أن
تكون ظلا لا يسبق الرجل ، وأن تقفز الى النار لتحترق مع جنة زوجها
عندما يموت ، هكذا اشترك الكتاب المتأثرون بفكر غاندى اشتراكا فعالا
وصادقا فى تحرير المرأة الهندية من أغلال السنين .



من أهم كتاب الرواية الهندية باللغة الانجليزية :

Mulk Raj Anand

★ مولك راج أناند

Prem Chand

★ ويرم تشاند

Bhabani Battasharia

★ وبهابانى بتاشارىا

Raja Rao

★ راجا راو

وهم من الذين بدأوا بكتابة روايات تستلهم تعاليم غاندى ، فصوروا المرآة الهندى ليس كعضو فى مجتمع القبيلة المغلق ، أو مجتمع الطائفة الدينية المحدود ، بل كعضو فى المجتمع الهندى الكبير ، وعضو مشارك أيضا فى معاناة الجنس البشرى فى كل أنحاء العالم ، ومواجهه معه لكل مآزق العصر الحديث ، أو كما كتب غاندى نفسه يقول : « نحن جزء من الأسرة الانسانية ، ليس من منطلق أننا معلمون كالآلهة ، ولا من منطلق أننا متبجحون كالشياطين ، بل صفوف فى ركب البشرية الساعية الى الحق والخير والجمال » .



لقد شهدت فترة الثلاثينيات من هذا القرن ازدهارا مفاجئا ومنطقيا للرواية الهندية ، لأنها الفترة التى بلغ فيها غاندى قمة النضال ، وقمة الاعجاب فى عيون العالم ، ولأن الرواية هى أكثر أسكال الأدب اهتماما بأحوال المجتمع ، وما يتصارع فى أرجائه من قيم ، ويرى كل نقاد الأدب ، انه لا يمكن اهمال العلاقة بين التطور الاجتماعى والسياسى فى الثلاثينيات ، وبين ما أنتج رواد الرواية العظام ، مثل أناند ، وبها بهانى ، وراجا راو ، ويرم تشاند وتاجور الذين انتقلوا بالرواية من الرومانسية التاريخية الى الواقعية الحادة ، ايمانا ووطنية ، وانتفاضا وجدانيا ، وانتظاما فى صفوف الملايين من جيوش الساتياجراها ، الذين ناضلوا عشرات السنين بلا عنف من جانبهم ، بل بصلاية وشموخ الايمان ، على الدرب الطويل الشاق الذى قطعه غاندى فى المقدمة ، قائدا وزعيما ومعلما صادق القوة والبساطة ، بعصاه العجوز المجاهدة ، وقلبه الواسع النابض بحب الانسان ، وعنزته الصغيرة الصابرة ، وصدرة العارى وروحه العظيم ..



ولعل أوضح دليل على عمق تأثير فكر غاندى فى الرواية الهندية ، هو انتظام الكتاب المبدعين أصحاب الأيدولوجيات المختلفة ، فى صفوف دعوة غاندى وفلسفته وفى محاربة الاستعمار ، فقد آمن بدعوته من اليسار الكاتب المبدع برم تشاند الذى كتب أعظم أعماله القصصية عن التفاف الشعب حول غاندى ورفاقه من جيش الساتياجراها ، كذلك آمن بدعوته من اليمين الهندى الترى وبعد طول خلاف وجدل « رابندرانات تاجور » ، الذى كان أول أديب من الشرق يحصل على جائزة نوبل عام ١٩١٣ ، فقد هجر تاجور رومانسياته وتاريخياته الى حد كبير ، وانخرط بقلمه فى صفوف النضال ، ورغم ان تاجور قد رحل عن الحياة قبل حصول الهند على الاستقلال ، الا انه كان واثقا من انتصار شعبه فى النهاية ، فكتب له أناسيد النصر ولحنها وغناها مع شعب البنجال ، ومنها النسييد القومى الرسمى الذى اختارته الهند المستقلة لتغنيه مئات الملايين من شعب الهند حتى الآن .

قصص قصيرة عن الهند

(نشيد المعركة)

المكاتب الهندى : برم تشاند

Prem Chand

منذ الصباح الباكر ، كانت فى القرية حركة دائبة فرحة ، حتى
الأكواخ الطينية ، بدت كأنها تبسم ترحيبا برجال « الساتاجراها »
الذين سوف يمرون بها فى ذلك اليوم . وأقيم السرادق أمام بيت
« كوداي » ، وجمع بجواره ما تبرع به أهل القرية ، الخبز والجبن
والخضروات ، واكتست كل وجوه أهل القرية بفرح ملتهب بالأمل ، حتى
بندا الذى كان متوقعا أن يختبئ فى ذلك اليوم ، أحضر جرتين مليئتين
بالجبن واللبن ، وصانع الخزف النحيل قدم لكوداي عديدا من الأواني
الخزفية ، وكل عمال القرية رغم فقرهم ، الحلاق وأصحاب القوارب
الرخيصة ، والحرفيون الصغار ، كانوا يسرعون نحو السرادق وفى أيديهم
بعض الطعام .

لو أنه كان هناك انسان حزين فى ذلك اليوم ، فهى المرأة العجوز
« نوهرى » ، التى جلست عند باب كوخها بأعوامها الخمسة والسبعين ،
ترقب استعدادات الرجال والنساء والأطفال ، بعينها الغائرتين المنقشتين
بندم عميق .

لم يكن لدى « نوهرى » ما تأخذه الى السرادق عند بيت
كوداي ، كانت تتمنى لو أن لديها ما تحمله الى هناك ، لتقف فى مواجهة
كوداي وتقول له « لقد أحضرت هذا » لكنها كانت معدمة تماما ، حتى
من بقايا حبات القمح والشعير ، همست الى نفسها ضيقا « لكن كوداي
قد رآها بنفسه فى الأيام الخالية أسعد حالا ، ذات يوم كنت أملك كل
شيء ، المال والأسرة ، وكانت سطوتى فى القرية أكبر من سطونه الآن ،
وهو يذكر أنه كان دائما أقل قدرا منى ، وخاضعا لأوامرى ، مع أنى
امراة ، لكنى كنت أثير حسد الرجال ، كان زوجى ينام فى البيت ، وأذهب
أنا لأراقب العمل فى الحقل ، سوف أدافع عن نفسى عندما يسود القانون ،

لقد كنت أدير بنفسى أعمال تأجير الأرض والسلفيات والرى والحصاد ، لكن القدر خطف من قبضتى كل شىء ، المال والأسرة كلها ، انقض القدر على ، وعندما أنجز مهمته ورحل ، كنت وحيدة ضعيفة أنوح على ما ضاع ، لم أعد أرى جيدا ، ولا أسمع جيدا ، أصبح من العسير على أن أتحرك أو أسير وحدى فى الطريق ، لكننى بشكل ما أعبر أيامى النقيلة ، يا لحظ « كوداى » السعيد !! ابتسم له الحظ ، بعد ان كان من عامة القرية ، يتسكع مثلهم هنا وهناك شبه عاطل وجائع ، لكنه اليوم !! حتى الاحتفال الكبير يقام أمام بيته الكبير ، وأنت يا نوهرى لا أحد يهتم بك ، لا أحد » .

وراح قلبها المجهد يعانى مزيدا من الذكريات ، لو لم يحكم الله دابها بأن تصبح مقعدة على هذا النحو ، لفرشت أرض كوخها بشىء ما منذ الصباح ولحزمت وسطها ورقصت أمام الباب ، ولأمرت بأن يقام اليوم عيد ، وبعد أن يعيد أهل القرية ، كان عليها أن تهديهم بحفنتين من النقود المعدنية ، تنثرها فوق رؤوس الجميع .

تذكرت نوهرى ذلك اليوم الذى سافرت فيه عشرين ميلا مع زوجها المسن ، لكن تفوز بلمحة من وجه المهاتما غاندى ولو من بعيد ، يا لنلك اللذة والحماس !! والحب النقى المحلق ، لكن التبجيل القديم للمهاتما ورجال الساتياجراها يندفع اليوم جياشا فى قلبها مرة أخرى ، كالسحب الكنيقة المبشرة بالمطر .

ومر بها كوداى ، توقف أمامها ، وقال بصوته المتدافع بصعوبة من فم بلا أسنان :

— ان رجال المهاتما سيمرون بقريتنا اليوم يا اختاه ، عليك أن تقدمى شيئا للموكب .

نظرت اليه بنظرات كنصال الخناجر الصدئة ، وقالت فى نفسها « كم انت قاس ومتعجر القلب !! لقد جئت لتشعرنى بعجزى وتفترقنى فى الخجل ، وتملاً قلبى بالحزن » .

لكنها سيطرت على مشاعرها وأجابته بشىء من الرقة :

— عندما يأتى الموكب . . فسوف أعطى رجاله بنفسى ، فى أيديهم ، مهما كان الأمر شاقا على فسوف أعطيهم ، ولكن !! لماذا تفرض على أن أريك ما سوف أقدم لهم ؟

ابتسم لها كوداى وقال :

— انى لن أخبر أحدا يا اختاه ، انت أخت زوجتى ، واقسم لك بالله ، هيا فتشى فى دلوك القديم ، ما أعظم هذه الفرصة لتخرجى دلوك أمام الكوخ !! لا أحد فى القرية أعطى كثيرا ، ولكن بأية وسيلة لا بد أن نحافظ على سمعة قريتنا أمام الموكب .

أجابته نوهري بخضوع جاف :

— يا زوج أختي ، لا تصب إهاناتك فوق جروحي ، لو كان الله قد ترك لي شيئا مما كان لي ، لما انتظرت حتى تأتي وتطلب الى أن أقدم شيئا للموكب . لقد مر بي زمان ، وأنت نعلم هذا ، كان الكهنة والنسك ، بل ضباط هذه المنطقة كلها ، يتزاحمون عند بابي هذا ، لكن الزمان تغير ، والزمان يمكن أن ينقلب على أى إنسان .

عند ذلك أحس كوداي بالخجل وقال :

— لقد كنت فقط أمزح معك يا أختاه ، لا تغضبى ، لقد جئت أسألك أن تقدمي شيئا ، لكيلا تقولى فيما بعد ، ان أحدا لم يخبرنى بقدوم الموكب ، والموكب الآن قادم فى الطريق .

قال هذا وانصرف على الفور ، وظلت نوهري جالسة أمام بابها ، تحديق فى البقعة الصغيرة التى كان يقف عليها كوداي ، وتذكر اشاراته ونبراته التهكمية ، وبدا لها الأمر إهانة متعمدة ، أو تعاليا منه عليها ، تحس به الآن يلدها مثل حية جبلية متوحشة .

كانت نوهري ما تزال جالسة فى مكانها ، عندما انطلقت صرخات التهليل بقدوم الموكب . كان سحابة من الغبار قادمة من الغرب ، أو كأن جسد الأرض يطر الغبار ترحيبا بالزائرين ، ترك أهل القرية أعمالهم ، واتجهوا لاستقبال الموكب القادم ، وارتفع العلم ذو الثلاثة ألوان فى سماء القرية ، وراح يتماوج مع أمواج الرياح ، وبدا الأمر وكأن الحكومة المحلية قد اعتلت عرشا شاهقا ، وراحت تنشر بركاتها على الناس ، وبدأت العجوز نوهري تغنى ما تبقى فى ذاكرتها من أغانى الفرح .

وظهر القادمون سيرا على الأقدام يلوحون لأهل القرية . كانوا يسرون صفوفًا اثنان فى كل صف ، يرتدون قمصان « الكادار » تلك التى غزلوها بأيديهم على المغازل الهندية كما علمهم غاندى ، وعلى رؤوسهم قبعات من القش مثل قبعة المهاتما ، وفى وسط كل منهم حقيبة معلقة ، بينما أيديهم حرة الحركة تماما ، كأنما استعدادا لاحتضان الأهالى والحكومة المحلية .

أصبحت أصواتهم الآن مسموعة لأهل القرية ، كانت حناجرهم المتحمسة تنطلق بنشيد دافئ عميق :

لقد مر بنا زمان ..

كنا فيه على قمة هذا العالم ..

واليوم ،
لا أحد محروم مثلنا ،
مرت بنا أيام ،
كنا نبذل حياتنا من أجل المجد ،
والآن ،

لا أحد محروم مثلنا في هذا العالم •

تقدم أهل القرية مرحبين بالزائرين الذين غطى الغبار رؤوسهم وجفت شفاههم واسودت وجوههم ، لكن بريق الحرية كان يتلألأ في عيونهم ، وكانت نوهري ما تزال عند باب كوئها تغني ، والأطفال يتقافزون هنا وهناك فرحا ، ودفع ابتسامات أهل القرية يهدده عناء القادمين ويعانق جروحهم ، وفي وسط الزحام ، لم يلتفت أحد الى نوهري العجوز • وهي تجاهد بعصاها حتى تقف خلف الزحام ، صورة خرافية لانسان يتمسح تبركا بحب الجموع ، كانت عينها مغرورتين ، وعلى وجهها ضوء شديد الكبرياء كوجه ملكة ، كأن القرية بأكملها تنتمي اليها ، وكل هؤلاء المتزاحمين أطفالها ، لم تحس بقوة روحها من قبل كما تحس بها الآن ، ولم تسعر منلما تسعر الآن بأنها نواراة شابة تنفتح لمجد الحياة •

وفجأة ، ألقت بعصاها بعيدا ، واندفعت وسط الزحام حتى أصبحت في مواجهة الموكب ، كأنها ألقت مع العصا بعاء السنين ، ظلت لحظات تغرس وجوه جنود الحرية ، بعينين مملوءتين حبا وزهوا ، كأنها تغترف من عيونهم قوة لضعفها ، ثم انخرطت في الرقص ، رقصت مثل صبية عذراء تحركها نشوة الحب ، وتقهر الناس من أجلها خطوات ، فشكّلوا حولها حلقة صغيرة ، وراحت نوهري داخل الحلقة تعرض مهارتها القديمة ، وفي فيض الفرح • نسيت حزنها وتعاستها ، وسرت ليونة ونشاط غريب في ساقيتها العرجاوين ، حلق الناس في رقصها لبعض الوقت ، ثم قلدها البعض من باب السخرية ، بدوا مثل جمع من الأطفال يرقبون ويقلدون قردا ، لكنهم بعد ذلك سكروا بنشوة الحب المقدسة ، وبدا في عيون الجميع انهم فرحون مع الطبيعة ذاتها بذلك الرقص العظيم •

لكن كوداي صرخ فيها فجأة :

— كفى يا أختاه ، هيا توقفي عن الرقص •

لكن نوهري ظلت ترقص وهي تصرخ فيه :

— لماذا تقف بعيدا ؟ لماذا لا ترقص معي أيها الرجل ؟! دعني أرى

مهارتك •

قال كوداي بصوت مهزوم :

— ليس لمن في مثل سننى يا نوهرى أن يرقص .
فتباطأت فى رقصها وسالته :

— هل تشعر اليوم بأنك عجوز ؟ اننى ألقىت بشيخوختى بعيدا ،
ألا يهتز صدرك بالفخر لمراى هؤلاء الأبطال ؟ لقد تعهدوا أن يطردوا عنا
التعاسة والشقاء ، لقد استعبدنا للضباط بأيدينا ، هل تحفظ شتائمهم
البذيئة ؟ لكن الآن !! يجب أن ينتهى هذا الهوان ، ولقد أنهاه أبطالنا
هؤلاء ، لم يكن طبيعيا أن نصبح أنا وأنت عجوزين هكذا الآن ، لقد
التهمتنا الحاجة والجوع ، انظر الى هذا الجمع ، دع واحدا منهم يقول
بأمانة . . انه تناول وجبة كاملة طيلة الشهور الستة الماضية ، هل
استمتع أحدهم بنومة هادئة عميقة ؟ علينا أن ندفع عشر روبيات ضريبة
أطيان من أجل حقل كنا ندفع ضريبته ثلاث روبيات فقط ، والأرض
لا تنبت ذهبا يا كوداي ، لقد ظللنا نعمل كالعبيد حتى تهاوينا ، نحن
وحدنا كان يجب أن نكسب من عملنا كثيرا لا الغزاة واللصوص ، مبارك
هو المهاتما ورجال المهاتما ، أولئك الذين يحسون بتعاسة الفقراء ،
ويعملون على إيقافهم من اغمأة الفقر ، ان الآخرين يعنصرون دماءنا .
ويطحنون عظامنا حتى الموت .

توهجت وجوه الزائرين ودفئت قلوبهم ، فراحوا ينشدون تحية
لنوهرى :

« لقد مر بنا زمان . .

كانت هذه الأرض تفيض لبنا وعسلا ،

واليوم ،

ليس هناك على الأرض من هو أتعس منا »

وأضيئت المصابيح أمام بيت كوداي ، وكان قد احتشد هناك أهالى
القرى المجاورة أيضا ، وفور أن انتهى الزائرون من تناول طعامهم ، بدأ
الاجتماع ، ووقف قائد جماعة الساتياجراها ليخطب فى الحاضرين :

— أيها الاخوة الأعزاء ، ان الحفاوة التى استقبلتمونا بها اليوم ،
تعطينا الأمل فى شق طريقنا الى الأمام ، لقد زرنا أقاليم عديدة فى شرق
بلادنا وغربها ، ومن خلال تجاربى أقول : ان البساطة والأمانة وعدم
التكلف ، والفضيلة التى تملكونها جميعكم ، لم أرها فى أى مكان ذهبت
اليه . ان على أن أقول أمامكم . انكم لستم كائنات بشرية ، انكم آلهة
الأرض ، فأنتم لستم عبيدا لحب الترف ، ولستم مدمنى خمر أو
مخدرات ، مثلكم هى التى تحدد عملكم ، وهى التى تجعله متقنا ومفيدا ،

لكن هذه الطيبة وهذه البساطة ، هي التى تثبت أقدام قدركم القاتل ، انكم ان لم تفهموا كلامى كما أود أن تفهموه ، فأنتم لا تستحقون الحياة فى هذا العالم ، وينبغى عليكم أن تجدوا لكم مكانا فى السماء ، ان إیرادات الهند تنمو بسرعة هائلة ، أكثر من نمو النهر فى زمن الفيضان ، لكنكم لا تعرفون كيف تناقشون هذا • ان الموظفين وأتباعهم ، لا يتوقفون عن القوص بأظافرهم فى لحومكم • لأنكم ما تزالون أحياء ، ينهبونكم بأيديهم الأيمنى واليسرى معا ••• لكنكم تبدون غائبين عن الوعى ، انكم تفقدون مصادر عيشكم ، تدمرون ولا تفتحون عيونكم ، على الأقل لتروا ماذا يحدث لكم ، فى الزمن الماضى •• كانت أعداد ضخمة من مواطنيكم يكسبون عيشهم من الغزل والنسيج ، والآن كل القماش يستورد من الخارج ، كان ملايين الهنود يستخرجون الملح من أراضيهم ، والآن يستوردون الملح من وراء البحار ، انتاج الملح فى بلادنا أصبح جريمة ، ان فى الهند ملحا يكفى العالم كله مائتى عام ، وأنتم تدفعون سبعة ملايين روبية لاستيراد الملح ، ان لديكم ملحا وفيرا فى بحيراتكم وأراضيكم الملحة ، لكنكم لا تستطيعون أن تلمسوه بأيديكم ، انهم يفرضون الضرائب لأنفسهم على خيرات بلادكم ، وقريبا قد يفرضون ضريبة على من يتمتع منكم بصحة جيدة ، كيف تتحملون هذا الظلم حتى الآن ؟!

عند ذلك انطلق صوت يسأل :

— وماذا يمكن أن نفعل ؟!

أجاب قائد الجماعة :

— هذا الذى أنتم فيه نتيجة أخطائكم ، فعليكم أنتم تقع مسئولية بقاء هذه الوصاية الأجنبية ، أنتم سادة هذه الجيوش العظيمة وضباطها ، حتى متى تجوعون وتستسلمون ؟ لماذا لا تدركون أنكم سادة أقوياء ؟! ان الانسان الذى لا يستطيع أن يدافع عن نفسه ، سوف يظل ضحية لجشع الآخرين وظلمهم ، ان أعظم رجل فى العالم اليوم ، قد باع حياته من أجلكم ، وآلاف الشباب الى جوار المهاتما قد نذروا أرواحهم أيضا ، ليضعوا نهاية لآلامكم ، ان أولئك الذين يظنونكم عاجزين ، وينهبونكم وهم مطمئنون ، لن يوافقوا مختارين على عتق عبيدهم ، انهم يتدربون على ارتكاب جرائمهم ولا انسانياتهم فى جنودكم هؤلاء ، لكننا فى مواجهة ذلك •• دربنا أنفسنا على تحمل كل شئ ، وعليكم الآن أن تفكروا ، ما هى المساعدة التى يمكن أن تقدموها لنا ؟ هل ستخرجون معنا رجلا لمقاومة الظلم ؟ أم تستمرون جالسين هنا كالجبناء تلعنون الحظ والقدر ؟ ان فى أيدينا فرصة قد لا تسنح مرة أخرى ، لو فقدتموها ستندمون عليها مر الندم ، نحن نحارب من أجل الحق والعدل ، نحن فى حاجة الى أبطال

لا يؤمنون بالعنف ، ولا يسكن الحق في قلوبهم ، ويحتملون كل شيء
في سبيل الحق ، مؤمنين إيماناً مطلقاً بالله ، هذه تعاليم « الساتياجراها »
التي أرسى المهاتما قواعدها الراسخة في قلوبنا ، والآن ، أي عون
تستطيعون أن تقدموه لنا ؟ تكلّموا ، ردوا على سؤالى !!

لكن أحداً لم يتكلّم ، أو يتحرك ، خيم عليهم صمت ثقيل ، وفجأة
انطلقت صرخة من الصمت المخيم ..

— البوليس !! البوليس قادم ..

ووصل مفتش البوليس في حاشية من الكونستبلات ، ووقفوا في
مواجهة الجمع المحتشد ، حدّق فيهم الأهالي بعيون خائفة وقلوب مضطربة ،
كانهم يبحثون لأنفسهم عن جيب يختفون فيه من تلك الوجوه المكفهرة
بالسطة والغضب ، وانطلق صوت المفتش في مساعديه كالرعد :

— فرقوا هؤلاء الأوغاد ، هيا اضربوهم !!

ورفع الكونستبلات عصيهم ، وقبل أن يهوا بها ، كان الزحام قد
ذاب وتفرّق في الدروب ، حلت الهزيمة اذن ، دقائق معدودة ولم يبق
أحد من الأهالي سوى كوداي ، وقائد فرقة الساتياجراها واقف في مكانه ،
وأفراد فرقته جالسون وراءه كما كانوا ، كان كوداي جالسا على الأرض
يحدّق فيها تحديقاً متصلاً ، فحدّق فيه المفتش بعينين متوحشتين وقال
مهدداً :

— لماذا أعطيت ملجأ لهؤلاء المتشردين يا كوداي ؟

أدار كوداي عينيه المتهبتين نحو المفتش ، لكنه كتم غيظه ولاذ
بالصمت ، لو لم يكن يحمل عبء الأسرة والعمل !! لكان قد فجر انفعاله
تجاه الموقف ، بدا له البيت الذي قضى فيه خمسين عاماً ، كأنه حبل غليظ
من الذكريات ، يلتف حول روحه كحبة سامة ..

كان كوداي يفكر دون أن يعطى إجابة للمفتش ، عندما ظهرت
نوهري تتقدم من ورائه قائلة له :

— يبدو لسانك وكأنه التوى في حلقك !!

ثم نظرت الى المفتش وقالت :

— ان كوداي ليس عبداً لكم لكي تخاطبه بهذه الطريقة ، انكم مدعّمون
هنا بماننا ، ومتسلطون به علينا ، ألا تشعرون بالخجل ؟

واهتزت نوهري مثل سحابة صيف تهزها الريح ، ولم ينطق المفتش ،

كان قد فكر سريعا ، ووضع في اعتباره انه لو تقاذف الكرة مع امرأة ..
فستهان كرامته ، ولذلك وجه حديثه لكوداي :

— من هذه المرأة عمة الشيطان ؟!

ولم يجب كوداي ، لكن المفتش استطرد :

— لو لم يكن في قلبي خوف من الله ، لخلعت لسانها من جذوره .
استندت نوهري على عصاها ، حدقت في المفتش برهة ، ثم قالت في
نبرات عجوز غاضبة :

— لماذا تجدف على الله بذكر اسمه العظيم ؟! ان الهك هو رئيسك
الذي تمسك بلعق حذائه كل يوم ، كان عليك أن تحس بالخجل ، فتذهب
وتسئق نفسك . هل تعرف من هؤلاء الرجال الذين أتوا لزيارتنا ؟ هم
الذين يبذلون حياتهم من اجلنا نحن الفقراء ، أنت تسميهم متشردين ؟!
انت يا من تأخذ الرشوة وتشجع السرقة والقمار وقطع الطريق ؟! أنت
يا من تورط اخوتك الطيبين في المشاكل .. لكى تدفئ يديك بضربهم ؟
يا من تمرغ وجهك على أحذية آلهتك الدنسة !! تدعو هؤلاء الشرفاء
بالمشردين ؟!

كان كثيرون ممن تفرقوا في الدروب .. قد سمعوا صراخ
نوهري فاجتمعوا مرة أخرى ، فسحب المفتش سوطه وراح يُمطر الواقفين
ضربا ، عند ذلك تشتت الزحام مرة أخرى ، وتلقت نوهري ضربة سوط
على ظهرها ، فتراقصت أمام عينيها بقع من ظلام ، لكنها استجمعت قوتها
الباقية ، وصرخت بكلمات مدوية :

— يا أولادي !! لماذا تهربون ؟ هل أتيتم الى هنا لتحتفلوا بالعيد ؟
أم كانت مأدبة وانتهيت منها ؟ ان جبنكم هو الذى يجعلهم يتوهمون ..
انهم شجعان كالنسور ، كم ستحتملون هذا الهوان ؟!

أمسك أحد الكونستبلات برقبته ، ثم دفعها دفعة قوية ، تلوت لها
نوهري مندفعة على الرغم منها الى بعيد ، وهى تقاوم السقوط على
وجهها .

وقفز كوداي فأمسك بها ليساعدها ، ثم صرخ :

— حتى هذه المرأة المسكينة تصبون عليها غضبكم ؟! هل حبكم
لاذلائنا حطم رجولتكم أيضا ؟ تضربون الشيوخ والأطفال وتدعون انكم
متحذرون ؟ ان سلوككم ليس سلوك الرجال .

كانت نوهري قد تهاوت وخرت على الأرض منكفئة على وجهها ،
قالت وهى تنشج ووجهها فى التراب :

— لو كانوا رجالا ما فعلوا هذا ، يا الهى !! هل يمكن للانسان أن يقسو الى هذا الحد ؟ لو أن الانجليز تصرفوا بهذه القسوة لكان الأمر مقهوماً . ان الانجليز هم الحكام ، وأنتم فقط خدم الحكام ، انهم لن يعطوكم امبراطوريتهم ، انى امرأة عجوز ويكفينى القليل ، أما أنتم فان طمعكم يدفعكم الى قطع الرقاب .

وعند ذلك أنهكها الكلام والنشيج فسكتت ، وبدأ المفتش يهدد قائد الجماعة :

— بأمر من دخلتم هذه القرية ؟

— أجاب القائد بهدوء :

— بأمر من الله .

فصرخ فيه المفتش :

— انك هنا تعكر صفو السلام .

قال القائد :

— اذا كان مما يعكر السلام . . . أننا نجعل أهلنا يفهمون . . . فنحن بلا شك نحطم السلام .

تردد المرتعدون من الأهالى بين الوقوف والهرب ، وتطلع اليهم « كوداى » فى يأس ، ثم استجمع صوته وقال :

— يا اخواني !! ان أناسا من قرى أخرى عديدة ، تجمعوا معنا اليوم ، هل تستطيعون أن تحسوا بالراحة فى نومكم بعد هذا العار ؟ من سيستمع الى مظالمنا ؟ أقرباء هذا المفتش من الحكام ؟ هم بالتأكيد لن يفعلوا ، لو كان علينا أن نقتل فلنقتل ، ان شيئاً من هذا الحزى لا يصيبنا بعد الموت ، هذا قدرنا ، وهذا موقعنا فى الحياة ، اللعنة على الظلم ، وعلى كل هذا الوجود .

عند ذلك عاد الأهالى الى التجمع فى أماكنهم يهدرون ، مثل فيضان يتلاطم بين جسرى النهر ، تمزق ضباب الخوف فى قلوبهم ، ونما العبوس فوق وجوههم حتى اكفهرت ، ولاحظ المفتش ذلك فخشى العاقبة ، اعتلى ظهر جواده على الفور ، وأمر رجاله بالقبض على كوداى .

نحرك اثنان من الكونستبلات الى الأمام ، وراحا يقيدان ذراعيه ، نظر اليهما كوداى فى سكون حتى قيدها تماما وقال :

— انى لن أهرب الى أى مكان ، هيا بنا نذهب الى حيث تريدون .

وعندما بدأ السير معهما ، اندفع ولداه الصغيران مع عدد من الأهالي لانقاذهم ، وأحاط باقي الأهالي برجال البوليس فى هياج شديد ، عند ذلك صرخ فيهم المفتش من فوق الجواد :

— ان لم تتصرفوا ساطق النار !!

أجاب الأهالي بهتاف مدو :

— نحيا أمنا الهند .

ونقدموا خطوات أخرى الى الأمام ، ثم هتفوا أيضا :

— تحيا أمنا الهند .

عند ذلك تأكد المفتش أن حياته فى خطر ، فخطب قائده الساتياجراها فى أدب مفاجيء :

— انهم ليسوا مجبولين على مثل هذا الهياج ، ولن يجنوا فائدة من قتلى .. أليس كذلك ؟

أجابه القائد :

— مادام واحد منا هنا ، فلن يصيبك أذى ، نحن لا نحس نحوك بالعداء ، نحن جميعا وأنت معنا ملقى بنا أرضا تحت نفس الأقدام ، انه حظنا السيئ الذى وضعنا فى معسكرين متضادين .

وحول القائد عينيه عن المفتش وأخذ يخاطب الفلاحين :

— يا اخوتى !! لقد شرحت لكم من قبل ، أن معركتنا هى معركة من أجل الحق والعدل ، بأسلحتهم فقط علينا أن نحاسب الآخرين ، لو كان هذا المفتش انجليزيا ربما كنا واجهناه بنفس التعصب ، لقد قبض على كوداى ، وأنا أعتبر هذا من حظه الحسن ، لأنهم مباركون أولئك الذين يصيبهم الأذى فى معركة الحرية ، لا تقلقوا أو تشوروا من أجل كوداى ، كونوا رحماء .. وأفسحوا الطريق لرجال البوليس لكي ينصرفوا .

وتحرك رجال البوليس ومعهم كوداى ، ومن ورائهم هتف الفلاحون بثقة واعتزاز :

— النصر لأمنا الهند .

ورد كوداى على هتافهم وقد ابطأ السير :

— تحياتى لكم يا اخوتى ، كونوا ثابتين فى نضالكم ، لا شيء يبعث على الخوف ، الله وحده السيد والسلطان على كل البشر .

واقترب منه ولداه ييكيان ، سأله احدهما مختنقا :

— ما هي أوامرك يا أبى ؟

أجاب كوداي بإيمان عميق :

— لا تفقدوا إيمانكما بالله ، ودائما عيشا كما يعيش الرجال ، ان الخوف هو السبب المختفى وراء كل الشرور ، فلينزح كل منكما الخوف من قلبه ، عند ذلك لن يستطيع أحد أن يمسكنا بسوء ، وان الحقيقة لن تقهر الى الأبد .

لم يشعر كوداي بأنه شجاع أمام البوليس كما يشعر الآن ، لم يعد يخشى السجن ، ولا الشنق ، لأنه أصبح يتطلع الى المجد ، لأول مرة فى حياته يرى الحقيقة اليوم ، فى صورتها الصلبة الجليدة ، تحديه من الخطر مثل درع صنعت من الفولاذ .

صار غياب كوداي لدى أهل القرية عارا ، فقد قبض عليه أمامهم جميعا ، ولم يفعلوا من أجله شيئا ، كيف يتخلصون الآن من عارهم ؟ على وجه كل منهم الآن ألم عميق ، كأن قريتهم كلها قد سلبت أمام عيونهم .

فجأة صرخت فيهم نوهرى :

— لماذا تقفون الآن هنا تتشاءبون ندما ؟ هل اقتنعتم تماما بخستنا ؟ أم تحتاجون الى أدلة أخرى ؟ هل تأكدتم اننا نحكم بالقوة لا بالقانون ؟ نحن جبناء .. لدرجة اننا رغم هذا العار لا نجرؤ على الكلام ، لو لم تكن جبناء وأنانيين هل كانوا تجرأوا على ضربنا بالسياط ؟ طالما انكم تسلكون مسلك العبيد باستمراركم فى خدمتهم ، فسوف تلقون منهم نفس السلوك الذى يعدم عبوديتكم ، وفى اليوم الذى تبدون فيه أى حماس .. سوف تنهال عليكم السياط ، كم من الوقت يكفيكم لتتغيروا ؟ الى متى سنرقدون مثل الرفات وتدعون سباع الطير نتغذى بكم ؟ اثبتوا انكم أحياء ، وأن أجسادكم تنبض ، وأن لديكم شيئا من احترام الذات والدفاع عن الكرامة ، اذا كان احترام ذواتكم قد تلاشى .. فما فائدة زوعكم وحرثكم ؟ كيف يكون طعم الحياة ذاتها ؟ هل تحبون فقط لتنجبوا أطفالا يلقون الهوان من بعدكم ؟ ويطحنون مثلما تطحنون ؟ اطردوا هذا الجبن عنكم ، انكم لا بد يوما ستموتون ، بوسيلة أو بأخرى ستموتون ، موتوا اذن أبطالا فى معركة الحق ، انى امرأة عجوز ، ولكن ، لو لم أكن قادرة على أن افعل شيئا ، فانى على الأقل أستطيع أن أجرف الأرض التى سيدفن فيها الأبطال ، وفى أقل القليل أستطيع ان أروح واجىء بكفى أمام وجوههم ، حتى يربطها النسيم .

قال « مايكو » ، الولد الأكبر لكوداي :

— كان عارا علينا يا خالتي ، أن نتركك تذهبين معهم ونحن فتية
أصحاء ، نحن أولادك وما نزال أحياء ، أنا سوف أذهب معهم ، وسوف
يعتنى أخي « جانجا » بالمزرعة .

قال جانجا :

— انه ليس عدلا منك يا أخي أن ترحل وأنا حي ، انك ستبقى هنا ،
سترعى الحقل والبيت ، أنا لا أجيد هذا مثلك ، فدعني أنا أذهب معهم .
قال مايكو :

— دع خالتنا تقرر من منا يذهب ، وسوف نطيع أمرها .

ابتسمت نوهري في زهو وقالت :

— من يرشوني منكما سوف يكسبني في صفه .
قال مايكو :

— هل ستتسلسل الرشوة الى محكمتك أيضا يا خالتي ؟ كان أملنا أن
تسود لديك العدالة .

قالت نوهري :

— هل تخافان على أن أبقى وحيدة في القرية ؟ ان الموت لا يخيفني .
ابتسم جانجا وقال :

— عندما اذهب الى السوق ، سوف احضر لك علبة من التبغ
الشرقي .

قالت نوهري :

— في هذه الحالة انت تكسب ، انه انت الذي يجب ان يذهب .
قال مايكو :

— ليس هذا عدلا يا خالتي !!

قالت نوهري :

— هل حدث يوما ان فرح متخصصان بقراد المحكمة ؟ كيف اذن
ستقبلان كلاهما قراري ؟

لمس جانجا قدم نوهري ، ثم عانق أخاه وقال لواحد من الفرقة :

— أرجوك • ابعث كلمة لابی غدا ، قل له اننى سأرحل •
انفجر مايكو :

— واكتب اسمى أيضا
وقفر سيفارام ووقف بجوار القائد وقال :
— اكتب اسمى •

وجاء صوت من بعيد أثار النشوة لدى الجميع :
— اكتب اسمى • • باهاجان سنج

كان باهاجان مشهورا فى قرى الناحية كلها بقوته فى المصارعة ، وجاء
بهاجان ووقف بجوار القائد ، صدره عريض بارز ، ورأسه مرتفع فى
زهو ، وجاء صوت آخر

— أرجوك ان تكتب اسمى : جور

كان جور هو خفير القرية ، حذق الناس فيه بدهشة ، كان عسيرا أن
يصدقوا ، سأل بهاجان سنج ضاحكا :

— ماذا أصابك يا جور ؟
أجاب جور :

— نفس العناء الذى أصابك ، بعد عشرين عاما من العبودية أصبحت
مريضا بها ، هل أظن مريضا يا باهاجان ؟
وجاء صوت آخر :

— اكتب اسمى : كارلى كان

كان هذا خادما لدى الاقطاعى صاحب الأرض ، عدوانيا الى أقصى حد
وفى غاية القسوة ، علت الدهشة وجوه الأهالى ، قال مايكو :
— لقد ملأت بيتك يا كالى بالسلب والنهب من بيوتنا ، أليس كذلك ؟
اجابه كالى كان بهدوء ووقار :

— ألا تسمح لى أن أعود الى الطريق الصحيح ؟ حتى هذه اللحظة كنت
أطيع سيدى الذى يطعمنى ، ملأت بيته بالنهب الذى نهبته منكم ، والآن ،
تحققت من أنى كنت أعمل بلا ادراك ، لقد أخطأت فى حقكم يا اخوتى خطأ
كبيرا ، سامحونى •

واقترب المتطوعون الخمسة من بعضهم ، وقبل كل منهم الآخر ، ثم
هتفوا كأنهم لتوهم كانوا بتشكيل الحكومة المحلية ، بل انهم اخذوا

يتهامسون ويتشاورون كأنهم شكلوا حكومتهم ، ان الحكومة موقف عقلى ،
فمادام الخوف الذى خلقه الارهاب قد تلاشى من قلبك ، تكون بذلك قد
أصبحت وحدك حكومة ، الخوف هو الذل والتسجاعة هى الحرية ، وليس
يبنى المجد سوى القانون والنظام •

وجه قائد الساتياجراها حدينه للمتطوعين قائلا :

— اهنتكم يا اصدقائى على انضمامكم اليوم لجيش الحرية ، انتم
تعرفون نوع المعركة التى نخوضها ، سوف تتعرضون لكل المشاق ، لكن
تذكروا ان عليكم ان تتخلصوا من القسوة والغضب ، كما تخلصتم اليوم
من الاغراء بالتحدى من مفتش البوليس ، علينا ان نكون عادلين على طريق
الواجب ، هل انتم مستعدون لذلك ؟

أجاب المتطوعون معا :

— نعم • مستعدون

— أرجو الله أن يبارككم •

كان هناك خايط من المتعة فى ذلك الصباح الذهبى الجميل ، من
هبات النسيم الرقيق ، ومن أشعة الشمس الدافئة ، وبدا الناس كأنهم
أصيبوا بنسوة الجنون ، كأنما آلهة الحرية كانت تنادهم إليها ، وكذلك
الذين فى المزارع والحقول والحدائق ، الرجال والنساء ، لم توجد فى
ربوع القرية من قبل مثل تلك الأفراح ، حتى نباتات الحقل وثمار البساتين
بدت كأنها فى عرس ، كل من فى القرية وما حولها ، كأنهم يخطون محاطين
بمجد غريب ، عشرات الآلاف تجمعوا قبل شروق الشمس ، وعندما لاح
رجال الساتياجراها ، رددت السماء هتافات الأهالى النقية ودعا للمتطوعين
الجدد ، عزما حزيننا من الزوجات ، وزهوا مشرقا من الآباء وتضحية من
المحاربين ، كان المشهد عظيما يبعث الدفء فى كل القلوب •

وفجأة ، جاءت نوهري تسعى على مهل ، حتى أصبحت أمامهم ،
ووقفت مستندة على عصاها ، قال مايكو :

— أرجوك أن تعطينا بركاتك يا خالتي •

قالت :

— انا أيضا سوف أصحبكم يا ولدى ، سوف تنالون بركاتى على طول
الطريق •

تكلم أناس كثيرون معا :

— ومن سيبقى هنا يا خالتي اذا ذهبت أنت أيضا ؟

اجابت بنبرات مفعمة بأعذب الأمنيات :

— يا أولادى !! لقد حان الوقت لكى اذهب ، ان لم يكن اليوم ففي يوم آخر من الشهور القليلة القادمة ، لو ذهبت الآن معكم فسوف تصبح حياتى مثمرة ، أما اذا خرجت من هنا محمولة ذات يوم قريب ، فسوف أحمل معى الى حيث أنا ذاهبة آمالى وأشواقى ، انى بخدمتى لكم سوف أخلص نفسى ، ولعل الله أن يمنحكم زمانا طيبا ، ولعلى أراكم سعداء وأنا على قيد الحياة .

قالت هذا وباركتهم واحدا واحدا ، ثم لوحت نحوهم بيديها تباركهم ، وتقدمت حتى وقفت بجوار القائد ، وتزاحم الأهالى يرقبون ، ونحركات صفوف الموكب الى الامام ، وانطلقت حناجرهم بالنشيد :

« مر بنا زمان جلسنا فيه على قمة هذا العالم

واليوم ليس هناك أحده محروم مثلنا » .

وكانت نوهرى تنقل قدميها بصعوبة ، لكنها كانت تشعر بأنها جالسة فى مركبة فضائية محلقة ، متجهة بها نحو السماء .

(فراش العرس)

تأليف : ابندراناث أشك

Abindranath Ashk.

رفع كيشى عينيه من فوق عيني عروسه الى أعلى الوسادة ، كانت هناك صورة لأمه تنوسط اطارا أنيقا ، محفورا فى خشب السرير ، امرأة حلوة القسمات ، ذات عينيْن واسعتين ، يعلوهما جفنَان رقيقا التجاعيد ، وعلى شفثيها المتقاربتيْن قليلا ابتسامة شاردة تكشف عن صف أسنان كاللآلىء الزاهية ، وفى غفلة منه اتخذ وجه العروس قسما أمه تماما .
كانت المرأتان تشبه كل منهما الأخرى الى حد بعيد ، احتوى كيشى دوار عنيف ، ووجد جسده يرتجف ، هز رأسه محاولا أن يبعد عينيه عن الصورة دون جدوى .

حتى سنوات قليلة مضت ، كان يتكىء برأسه على صدر أمه ، تماما كما يتكىء على صدر عروسه الآن ، امتلأ رأسه بفيضان من الذكريات ، وبدلا من أن يقبل عيني عروسه اللوزيتيْن وشفثيها الجائعتيْن ، سحب جسده من فوق جسدها ، واستلقى بجانبها لاهثا فى صمت ، الا من التحديق فى سقيفة الياسمين التى تظلل فراش العرس ، امتدت يده الى الوريقات التى تساقطت من حوله فوق الملاءة ، مثل بساط زهرى سميك ، ود لو يقفز بعيدا عن كل هذا ، لو يثور على تلك الحجرة . . التى وجد نفسه سجيناً بين جدرانها وشذاها .

لكنه ظل مستلقيا فى مكانه ، ساكنا وصامتا ، ماذا يمكن أن تظن به زوجته !!! الخوف من ذلك الظن فقط هو الذى أبقاءه راقدا الى جوارها ، هز رأسه مرة أخرى بعنف ، لكن صورة أمه احتلت فى خياله ربوة عالية ، راح ينهمر فوقها سيل هادر من الذكريات ، فى نفس هذه الغرفة ، وفى نفس الفراش ، كان يرى أبويه متلاصقين ، وهو فى الشرفة يحدق فيهما من مهده الصغير ، كم تبدو أمه الراقدة الى جوار أبيه ، صبية فاتنة البهاء !!!

..... ثم ها هي تصفف شعرها أمام المرأة ، وهو واقف بالباب
يرنو اليها ، جميلة كحوريات الأساطير ، وعندما تراه في المرأة .. تناديه
اليها ، يذهب ويدفن وجهه في أحضانها الرخبة ، تداعب شعره باحدى
يديها .. وبالأخرى تعود الى تمشيط شعرها الناعم الجميل .

..... ماذا دهى أبى ؟ هناك رجل يأتي كل يوم لزيارته .. حول
رقبة الرجل زوج من الحيات ، يضع فى كل من أذنيه ذيل حية ، وبراسها
يلامس صدر أبى . ثم يلف الحيتين حول رقبته مرة أخرى ، ويغرس فى
ذراع أبى ابرة طويلة ، أبى لا يصرخ ولا يبكي .. فانطلق انا فى الصراخ
والعويل .

..... أبى مستلق على الأرض بلا حراك ، كل من حوله يكون ،
نتوقف أمدى قليلا لتنحنى وتقبل أبى ، ثم تعود الى البكاء ، النساء يساعدن
أمدى فى خلع الحلى التى تتزين بها ، ثم يزلن الصبغة القرمزية عند مفرق
شعرها ، يجذبني من حضنها ، أتمسك بها صارخا فى عناد فينركننى
ملتصقا بصدرها .

..... انه فى نفس الفراش الذى سبقه اليه أبوه ، تنام أمه الآن.
الى جواره ، ترتدى ساريا ناصع البياض ، وأضواء الضحى تتدفق عبر
شراعة النافذة ، لكن أمه ترقد الى جواره غير عابثة بالعالم ، يحدث فى
وجهها طويلا ، شهى كوجه حورية ، عيناها مغمضتان مثلما تغمض عبون
الملائكة ، شعرها مبشر على صدرها وكتفيها كشلال ، وكالأميرة الساحرة
عندما يشتمق أميرها العاشق ، يقترب منها ، يقبل خديها ، تفتح عينيها ،
تمد ذراعيها وتأخذها اليها ، تقبل جبهته ، ثم عينيها وشفتيه ..

..... ينام برأسه على صدرها ، تحكى له حكاية الأمير الذى عبر
البحار السبعة لكي يتزوج الأميرة التى أحبها ، وعندما تنتهى حكايتها
تسأله وهي تبتسم :

— هل ستتزوج بأميرة ياكيشى ؟

— لا يا أمدى .. سأتزوجك أنت .

— يا للحماقة !! هل سمع أحد بولد يتزوج أمه ؟!

وعندما تراه حزينا تقسم أنها ستجد له عروسا تشبهها تماما ، فينظر
الى صورتها التى تتوسط اطارا فى خشب السرير ويهمس اليها :

— وأريد فراشا مثل هذا ..

— بل هذا الفراش ذاته يا حبيبى .. سيكون هديتى لك ليلة الزفاف .

وتضمنه الى صدرها أكثر فأكثر حتى يستغرق فى نوم هنىء .
وتميل العروس بوجهها اليه ، ثم بجسدها :
— كيشى !! ألا تشعر بأنك على ما يرام ؟

وتنحسس جبهته ، وتداعب شعره ، يهز رأسه لعل سلسلة أفكاره أن تنكسر قبل أن يجيب :

— لا شئ هناك على الاطلاق .

ويحاول أن يضحك ، فتتحول الضحكة فى صدره الى تنهيدة عميقة ، كانت أمه عند وعددها ، اختارت له عروسا تشبهها تماما ، جميلة ، هيفاء ، واسعة العينين ، حلوة القسمات ، ناعمة الشفتين ، أسنانها كاللؤلؤ ، وجاءت العروس بسرير العرس مع « الجهاز » ، لكن أمه تنازلت عن حجرة نومها بكل ما فيها .. لكى تحقق أحلام ابنها الوحيد ..

..... مالت العروس نحوه أكثر ، حدثت فى عينيه ، لتعرف سر فتوره المفاجئ وتوقف شوقه اليها ، لكنها لم تلمس الحقيقة ، ولم تقترب منها ، ترددت قليلا قبل أن تملأ يدها الى شعره ، ظل كيشى ساكنا لحظات ، ثم طوق عنقها بذراعيه ، جذبها نحوه .. وراح يقبل شعرها ، وخديها ، وشفتيها .. انفلت رأسه من بيت العنكبوت ، وسرى اليه من الجسد الفاتن دفء أجرى الدم حارا فى عروقه ، قبلها فى أماكن عديدة ، ثم أرقدها كما يشتهي ، ودفن وجهه فى دفء نهدتها ، كان الوقت قد حان ليمارس معها الجنس لأول مرة ، لكنه لم يستطع أن يفعل ، لكيلا يقع بصره مرة أخرى على صورة أمه ، بل دون أن يرفع رأسه دفع بوسادته عاليا لتغطي الصورة ، ثم رفع رأسه عن صدر العروس ، لكن الوسادة انقلبت شفاقة كالزجاج ، وراحت صورة أمه تطل عليه بكل ما فى قسماتها من بهاء ، صرخ فى داخله صرخة مدوية الصمت « لا .. لا .. لا » ، ثم استلقى ثانية على ظهره مهزوما ، استبد به الغضب من نفسه فنهض ، وقفز هاربا من فراش العرس .

من خلف ستارة النرد ، أطل القمر مكتملا ، عند كوة بجرار المشارة .. وقف ينظر الى الأشعة الفضية ، تتلاعب فوق حشائش الحديقة وزهورها ، رطبت نسيمات الكوة أعصابه المشدودة ، انتهى أن يخرج الى الحديقة ، فخرج .

راح يتجول بين أشجار الخوخ والحناء ، وفراش واسع من الخضرة
الرطبية ، وزهور الداليا الثقيلة تتمايل مع النسيم فى دلال ، وخلف سياج
الخوخ والحناء ٠٠ كان هناك بساط من الاقحوانات الصادقة الاصفرار ٠٠
وزهرة تشرب فوق ساقها لترقد على السياج ، تحسس كبشى زهرة ،
وتنسم زهرة أخرى ، وتحسس زهرة ثالثة ، هذه الزهرات فى ضوء النهار
تبهر بحيويتها وألوانها العيون ، لكنها الآن فى ضوء القمر ٠٠ ترتخي مثل
الأعصاب المجهد ، القرنفل الصفرى تحولت بيضاء شاحبة ، والقرمزية
العميقة صارت زرقاء ، والبنفسجية الزاهية اخلفت درجاتها من
القتامة ٠

وخطا كيشى الى حائط تفتحت بجواره أزهار الياسمين ، فى ظل
الحائط الداكن ٠٠ كانت الزهور تومض كوريقات من اللؤلؤ ، لماذا
تذكريننى دائما بهذه الأغنية أيتها الزهور ؟!

« بعد زمن طويل أزهر الياسمين ٠٠٠ »

وخمىلتى امتلأت ٠٠٠

بعبر الشذا ٠٠ وعبق الحياة !! » ٠

وها هى حديقته امتلأت بالشذا ٠٠ لكن عبق الأغنية ٠٠ ضائع فى
الغور السحيق !!!

خطا خطوات ثقيلة ، ذهابا وإيابا ، بين بوابة الحديقة وحظيرة هناك
وسط الزهور ، تطلع الى بعيد ، رأى ضوءا فى غرفتها ، بالتأكيد لم تنم
أمه حتى الآن ، قد تكون عمته وقريباته مازلن ساهرات فى الغرف البعيدة
٠٠ يتحدثن عن جمال العروس ، يا للألم المديد الذى اعتصر أمه وهى
تزين من أجله فراش العروس !! وهى تشرف على النسوة يخلين حجرة
المائدة تماما ، يزينها كما تشاء ، وهن يقمن بالطقوس لاستقبال العروس ،
متعاملات مع خمارها وساريها بحذر شديد ٠

٠٠٠٠ عندما جلس كيشى بين أصدقائه فى قاعة الاستقبال ، كانوا
يرتبون هدايا العرس ، والأثاث الذى جاءت به العروس ، وبعضهم كانوا
يشاركون فى تزيين حجرة نومه ليلية العرس ، وعدد يفوق الحصر من
المتطفلين والضيوف الذين جاءوا منذ الأمس ، لم يتيحوا لأمه الا قليلا من
النوم ، وقد رآها تروح وتجيء كنبأ بصحبة عمته وشابة من قرياتها ،
مشغولات بتجميل الحقل وكانهن الليلة فى خدمة الآلهة ، كان وجه أمه
يشع بهاء وفرحا ، منذ ليال عديدة وهى تسهر وتبذل جهدا غريبا لاعداد
حجرة نومه من أجل كيشى ، ولقد تعبل مرات عديدة بأنه يريد أن يرى

ما أقيم هناك من زينات ، لكن أمه وعمته فى كل مرة ، كانتا تدعاه الى الخارج قبل أن يدخل ، حتى النظرة العابرة الى حجرة نومه مع عروسه الليلة . كانت ممنوعة عليه ، الى أن يأتى الليل ويدخلها بصحبة العروس .

عندما كان يتحدث الى أصدقائه أثناء مراسم العرس ، أو يستمع الى مزاح النساء ، كانت عيناه مركبتين على أمه ، على الرغم من أنها كانت تقترب من الأربعين ، ورغم أن الاثنين والعشرين عاما من الترميل قد كست عباراتها ببعض الخشونة ، وتركت بضع حلقات داكنة حول عينيها ، فان عرس ابنها قد صنع بها معجزة ، فلا أثر على وجهها للتعب !!؟ ما حول عينيها الآن هالات من النور ، كم هى رائعة فى ساريها الأبيض ، حتى لنبدو فى عينيها أجمل امرأة رأها فى حياته حتى الآن .

كان يخشى عليها أن تمرض من الاجهاد والسهير ، لذلك كان فى كل ليلة من ليالى الاعداد للعرس ، وقبل أن يذهب لينام يقف أمامها متمتما بنبرات متوسلة :

— اذهبي الى فراشك الآن يا أمى !!

وبدلا من أن تذهب ، كانت تصحبه الى سريره ، فتمسح بالزيت جفنيه وجبينه حتى يستغرق فى النوم ، ثم تعود هى لمواصلة العمل .

ولقد تعود على ذلك منذ زمن بعيد ، ففي شهور الاسستعداد للامتحان ، حتى عندما كان يسهر الليل كله ، ولاينام الا ساعتين أثناء النهار ، كانت أمه تدلك رأسه بالزيت قبل أن ينام .

أحس أن ليلة عرسه أصبحت عبئا ثقيلا على قلبه ، ورغم اعيائه الشديد واشتياقه للرقاد ، فانه لم يتوقف عن ملاحقة أمه بعينه ، تمنى لو تأتى قبل أن يلفه النوم ، تمسح جفنيه بالزيت وتقبلهما ، ثم تلامس جبينه بأصابعها الناصعة ، تلك الملامسات الحريرية اللينة المشحونة بحب كان يثقل جفنيه ، ويفرقه فى نعاس هنىء .

كان كيشى قد تعلم من أمه فن تدليك الوجه والجفون ، وكلما أصيبت بالأرق كان يجلس بجانب وسادتها ، ويدلك بالزيت خديها ، ثم جبهتها ، وجفنيها ، الى ان ترتسم على شفثيها ابتسامة الملائكة ، وتستغرق فى النوم ، وقبل ذلك بسنوات ، عندما كان فى الثالثة عشرة أو الرابعة عشرة ، كانت أمه أثناء التدليك بالزيت ، تجذب رأسه اليها ، وتقبله فى شفثيه ، وعندما أصبح فى مرحلة الرجولة ، وحصل على شهادته الجامعية ، ثم دبلوم التربية وعلم النفس ، وعين محاضرا فى الجامعة ، بدأت أمه تقبله فى جبينه فقط دون شفثيه .

تمنى كيشى لو استطاع أن يخلص أمه من زحام النساء اللاتى أتين الى العرس ، لو يحملها بين ذراعيه ويضعها فى فراشها لتنام ، لكنها كانت منسغولة كما لم يحدث من قبل ، تصوغ من الورد والزهر قلائد وعقودا وضفائر ، لتشيدها بها اكليل العرس حول الفراش ، وعندما أحسست أن عرس الزهور لن يكتمل كما تشتهى ، أرسلت كثيرا من المدعوين الى كل أنحاء المدينة ، ليأتوا بأحمال جديدة من الورد والزهور ، كانت تنفق المال فى بذخ ، وكأن المال لم تعد له قيمة لديها ولا حاجة ، أراد أن يقول لها « لماذا يا أمى تحملين صحتك الغالية كل هذا ؟ » ان حبك عندي أجمل من كل هذه الزينات ، أنت أؤمن من كل شيء فى العالم .. فلا تعرضى نفسك للمرض » ، لكنه كان يعلم أنها لن تغير كلماته انتباهها الا بكلماتها السابقة « ان زوجي يا كيشى ، كان زواجا سريعا مهملا لا شأن له » ، وقالت له فى ليلة سابقة عندما احتج على تعبها « كان أبوك موظفا صغيرا جدا يا كيشى عندما تزوجنا ، أنا لا أريد أن تشعر عروسك بالندم ، انى عندما كنت عروسا .. لم تقدم لى أية هدايا .. ولا حتى سوار من الزهور ، عليك فقط أن تنتظر .. لترى كيف أعددت لك فراش العرس » .

جاءت عمته فجذبتة بعيدا .. أشارت له نحو حجرة النوم وقالت ضاحكة :

ـ اياك أن تضيع وقتك فى علم النفس والفلسفة بعد الآن !!

سرد لحظات .. يفكر فيما تلمح اليه تلك العمة الخبيثة العجوز ، لقد عرف هذه الحجرة طويلا وألف كل ما فيها ، التسيريحة التى تجلس أمه أمامها وتصفف شعرها فى زهو ، صندوق المجوهرات المبطن من الخارج والداخل بالقطيفة ، « الأباجورة » التى اشترتها بثمان عال من بومباي ، كل شيء تركته أمه فى مكانه ، وكل شيء هناك يبدو الآن أكثر اشراقا وسط عقود الياسمين المعلقة من خيوط طويلة تحيط بالفراش ، مثل ناموسية كاسية تعلى عرش الزواج ، تتساقط منها زهور الى جواره ، حيث ترقد عروسه ، وكأنها فلورا آلهة الزهور ، نصف وجهها مغطى بالخمار ، وملاءة السرير من تحتها مازال عذراء ناصعة البياض .

تخيل كيشى حفل زواج أمه ، كانت عروسها لموظف صغير فى « ادارة الخليج » ، بالتأكيد كان حفل زواج أمه فى كوخ فقير ، وسريها كان مصنوعا من حبال خشنة ، والليل خارج الكوخ كان مظلم ، ولم تكن تماك أمه لمحاربة الظلام سوى قنديل تخنقه ريح هوجاء ، بدا عرس أمه فى خياله قائما كحلم كثيب ، وأخيرا ، عندما رقى أبوه الى ملاحظ تنفيذ للمنشآت الهندسية ، حصلت أمه على بعض ما كانت تريد ، لكنها

بالتأكيد .. لم تنس خيبة أملها فى ليلة العرس ، لقد زيتت فراش عرسه الآن كما كانت تستهى أن يكون فراشها فى تلك الليلة البعيدة ، هى بذلك تحقق حلمها القديم الغارق فى أحداث العمر ، لكنها دون أن تدري كانت تحمل ابنها أنقلا من العذاب تتزاحم فى ذاكرته الآن مع ذكريات عمره .. فى هذه الحجرة التى يرقد فيها الى جوار عروسه .. فى أول ليلة من ليالى الزواج .

وامتلا رأسه بصدق كلمات عمته وضحكاتها « اياك أن تضيع وقتك فى الفلسفة بعد الآن » .

هل هو مقيد فى نسيج أوهامه ؟ وماذا تظن به العروس ؟ فكر فى كثير من الزيجات التى سمع عنها ، تلك التى تحطمت منذ الليلة الأولى بسبب وهن العريس ، ولكن !! هل من الضرورى أن يثبت العريس رجولته فى الليلة الأولى ؟ لماذا ترغب العرائس فى كل شئ فى تلك الليلة بالذات ؟ هل يحصلن فيها على سعادة كهنوتية يسترجعنها بقية العمر ؟ وهل كانت أمه أيضا كذلك ؟!! لكن الغريب الليلة أنها أعدت له فراشها هى لهذا الغرض .. وزينته بالزهور كما تمنى أن يكون فى ليلة عرسها ، هل مايزال فقر زوجها فى السنين الأولى .. يبدد من قلبها الشعور بالسعادة حتى الآن ؟

ضرب كيشى رأسه بقبضته ضربة عنيفة ، ماذا أصابه ؟ لماذا طلب من أمه فراشها ؟ لكنه كان طفلا عندما طلبه منها !! كان يجب عليها أن تكون أكثر علما وادراكا ..

وعاد من الحديقة الى الشرفة ، رأى عروسه واقفة هناك فى انتظاره ، سألته :

— ألا تحس بأنك على ما يرام ؟

— أنا ؟ أنا على ما يرام تماما .

— هل .. هل أسبب لك ضيقا بشكل ما ؟

تمنى كيشى لو يستطيع أن يضحك عاليا ، وبأقصى ما يستطيع ، حتى لو أصيبت زوجته بالذهول ، لف ذراعيه حول وسطها وجذبها الى الداخل ، عازما باصرار على أن يدع عقده النفسية جانبا ، ويقوم بواجبه نحوها ، دفع بها الى مخدع العرس ، ومد يديه يفك أزرار رداؤها .

كانت قد أعادت وسادته الى مكانها ، فوقعت عيناه على صسورة أمه مرة أخرى ، عاد الى رأسه الدوار العنيف ، نهض هاربا ، أمسكت عروسه بيده قبل أن تهبط قدماه الى الأرض :

— ما الخبر ؟

تطلع الى الباب الآخر ، كم يكون الأمر الآن أسهل كثيرا لو كانت أمه قد أعدت له حجرته هو بدلا من حجرتها !! هاهو باب حجرته على بعد خطوتين من سرير العرس ، لكن حجرته الآن مزدحمة « بالجهاز » الذى جاءت به العروس ، وما تبقى من معدات الحفل ، وهو لا يملك مفناح غرفته ، ألقى نظرة مكتئبة نحو الشرفة ، كانت أشعة القمر ما تزال تتلاعب هناك ، انطلق صوته هاتفا فى ضعف :

— انظري كم يبدو الليل جميلا فى ضوء القمر !! هيا بنا نخرج لنستمتع به :

أطاعته العروس ، نهضت فارتدت فستان الزفاف ثانية ، وأمام المرأة أكملت زينتها سريعا ، وغطت بالخمار جبهتها ، ونبعته الى درج الشرفة المؤدى للحديقة ، ذهبوا الى بوابة البيت عبر الحشائش والأزهار ، وعادا معا الى الشرفة ، ثم ذهبوا ، ثم عادوا ، دون أن يتبادلا كلمة ، حاولت هى أن تذيب الثلج ببضع كلمات عن ضوء القمر ، لكنه لم يرد عليها ، بل عاد يسبقها فى صمت .

لم يغير خلاء الحديقة حالهما ، فما يزال هو شاردًا فى ضباب الخيال ، وهى فى حيرة عميقة من سلوكه الغريب ، تذكرت ما قالته لها صاحباتها اللاتي سبقنهما الى الزواج عن أول ليلة فى فراش العرس ، لقد بدأ زوجها معها بنفس البداية ، ثم غير رأيه فجأة ، لقد سمعت كثيرا من الناس يمتدحون وسامته ورقته وعلمه ، هو مدرس فى الجامعة ، ولقد جمع أبوها عنه معلومات كافية قبل الزواج ، ليس فقط من زملائه ، بل ومن تلاميذه أيضا ، وهو لم يندم على الزواج الا بعد أن اقتنع بها تماما ، لكنها عندما رأت ما يبذله من مجهود شاق ، لكى يمارس معها الجنس لأول مرة ، بدا المستقبل فى عينيها غامضا وكئيبا ، نظرت اليه خلسة وواصلت السير الى جانبه ، وهى لا تكاد ترى القمر ولا أشعته الساحرة فوق الزهور . كان عقل كيشى عند ذلك يشبه أرضا ملأى بالشقوق ، لم يهتد الى طريق يهرب اليها من ورطته ، استمر فى خطوه الرتيب ويداه متشابكتان خلف ظهره ، كأنهما مقيدتان بقيد عنيده ، وعندما عادا يسيران نحو البوابة للمرة الثانية ، نادى عروسه بخشونة :

— تعالى ، سنخرج لبعض الوقت .

همست بنبرة احتجاج رقيقة :

— ان الوقت متأخر جدا .

لكنها تبعته خارج البوابة فى أحد الدروب •

استرجع كيشى حديث واحد من أصدقائه قال له يوما « ان هذا الدرب الذى يتوسط ما بين النهر وطريق العربات مظلم ومهجور ، ولا يلجأ للسير فيه الا العشاق » •

قال معتذرا لعروسه :

— لن نسير الى أبعد من خزان المياه •

وبدأ كيشى يشرح لها جغرافية المكان من حولهما •

— هذا المكان فى الماضى ، كان منطقة قاصرة على سكنى كبار موظفى السكك الحديدية من الانجليز ، انظرى !! هذه البيوت الخلوية الفاخرة استولى الهنود عليها بعد الاستقلال •

وعندما مرا بماكينة الطحين ، شرح لها كيف يطحن القمح والشعير ، وعند مخزن تبريد الخضر ، شرح لها كيف أن أربعة ملايين طن من البطاطس ، يمكن أن تحفظ فى ذلك المخزن ، ثم تطرح للبيع فى غير موسمها ، وعندما مرا بمبنى الصحافة ، دعاها للنظر عبر احدى النوافذ ، وبدأ يشرح لها معجزة ماكينة الطباعة الحديثة ، كيف أن ورقات الصحيفة تدخل من احدى الفتحات ، لتخرج من فتحة أخرى وقد طبعت فى ثوان ، وعندما اتجه بعروسه الى محطة السكة الحديد ، تذكر ما قاله له صاحبه عن الدرب الذى يصل خزان المياه بطريق العربات ، فمال فى اتجاه البوابة المؤدية الى التقاطع ، لكن البوابة كانت مغلقة ومعلق عليها مصباح ذو ضوء أحمر ، قال كيشى :

— هذه البوابة مزعجة بشكل فظيع ، فهناك دائما قطار يمر من خلفها فى هذا الاتجاه ، أو الاتجاه المضاد ، ولقد أنشأوا محطة جديدة واسعة ، لكن أحدا لم يهتم بهذه البوابة ، يجب أن يبنوا هنا جسرا علويا يستخدمه المارة بدلا من هذه البوابة المخيفة :

كان مايزال هناك بعض الوقت حتى يمر القطار ، فعبر العروسان خط السكة الحديد عبر بوابة جانبية ملتوية الى خزان المياه ، كانت هناك طريق الى اليمين مضاعة ومفتوحة للسير ، وطريق الى اليسار مظلمة تماما ، وعندما اتجه كيشى الى الطريق المظلمة ، هتفت به العروس محتجة :

— دعنا نرجع الى البيت !! ان الوقت متأخر جدا •

لكن كيشى لف خصرها بذراعه اليمنى متوددا وقال :

– ليس أكثر من نزهة قصيرة ، انظرى كيف يتراقص القمر خلف الأغصان الشجر !!

– ولماذا لانسلك الطريق الآمنة الأخرى ؟

– هل أنت خائفة ؟

والحنى فقبل جبهتها قبلة كاذبة ..

ووجدت الفتاة نفسها فى حيرة شديدة ، قالت وهى ترتعد :

– ماذا جئنا نفعل هنا ؟ فلنتجه يميننا الى الطريق الـ ..

لكنه ضحك ولف خصرها بذراعه ثانية وراح يشرح :

– على هذه الطريق أو تلك لن يرانا أحد فى هذا الوقت .

وعاد ينحنى ليقبلها ، لكنه قبل أن يفعل كان قد فاجأهما ضوء سيارة قادمة ، كانت سيارة نقل كبيرة ، عبرتهما بأزيز محركها المزعج وضوئها المبهر ، لكن صفا آخر من عربات النقل كان قادما من خلفها ، قالت العروس وعيناها ندمعان :

– دعنا نرجع الى البيت !! أنا خائفة .

– لقد اقتربنا من الطريق الرئيسية للعربات ، حيث لا تتوقف السيارات ليلا أو نهارا ، ها هو خلف طريق التدريب الحربى ، خلف الكنيسة المهجورة .

توسلت اليه ثانية :

– أنا فى غاية الخوف والاجهاد !!

أطبق بذراعه على وسطها ، وسار بها نحو طريق التدريب الحربى ، كانت البيوت الخلوية الواسعة على جانبي الطريق تلمع فى ضوء القمر ، يلفها سكون غريب كأنما هى مندهشة من شيء غامض ، وتحت الأشجار الكثيفة كانت بقع الأضواء والظلال تشكل على أرض الطريق نقوشا سريعة التغير كلما هبت نسيمات جديدة على الأغصان .

حاول كيشى أن يتخيل أين تسكن آلهة الليل ومن أين تطلق شذاها فى ذلك الفضاء ، احتوى عروسه بكلتا ذراعيه ، واندفع بها الى منطقة الظلال :

– هل أنت حقا متعبة ؟

لم تجب ، ومالت برأسها على صدره ، رفع اليه رأسها وأخذ يقبل شفيتها •

من مسافة قريبة على الطريق ، سلط عليهما ضوء بطارية فافترقا سريعا ، شحِب وجه كيشى وازدادت ضربات قلبه ، تذكر أن المروّز ممنوع فى تلك المنطقة الحربية بعد منتصف الليل ، كان هناك عند مصدر الضوء فرقة جنود يرتدون زيا حربيا بلون الزيتون ، وبدأوا يغنون أغنية من فيلم حديث •

هل أنت القمر عندما يكتمل !!

أم أنت الشمس فى ثوب البهاء ؟

كيفما تكونين يا حبيبتى ...

فقد وهبتك السماء جمالا يلا نظير •

ومستخفين بضوء القمر •• سلط الجنود مزيدا من الضوء على العروسين ، تمنى كيشى أن يأخذ عروسه بين ذراعيه ، أن ينظر فى عينيها ويغنى لها أغنية الجنود ، لكن سلوكهم الساخر أحمَد فى قلبه الأمنية ، وتذكر حادثة ، شاب وأخته من أصدقائه دعيا لتناول العشاء ذات ليلة ، فى إحدى هذه البيوت الخلوية ، ولم يدرك الأخ وأخته ان الوقت كان قد تأخر عند عودتهما ، ولم يجدا فى هذه المنطقة عربية من عربات الريكتسو ليركباها الى المدينة ، فاضطرا الى أن يسيرا على الأقدام بعد منتصف الليل ، فوقفهما الجنود هنا ، وأرغموهما على العودة معهم الى البيت الذى كانا يتناولان فيه العشاء ، لكى يتأكدوا انهما كان حقًا أخا وأخته •

وقبل أن تستطيع العروس أن تطلب من كيشى الانصراف من ذلك المكان ، كان قد استدار للخلف استعدادا للعودة ، لكن الضوء سلط من بعيد على وجه العروس بصورة استفزت كيشى • وفكر أن يهجم على حامل البطارية ويصفعه على وجهه ، لكنه خشى أن يصبح الأمر فضيحة ، ماذا لو وجه اليه سؤال « ماذا يفعل المحاضر الجامعى وعروسه الآن فى هذا المكان المظلم ؟ » بماذا يمكن أن يجيب ؟ لذلك قاوم فى نفسه الرغبة فى الاحتكاك بالجنود ، واتجه بكل حقه الى أمه ، والى السرير الذى أهدته اياه ، والى ضعفه الذى وصل به الى تلك الحال •

عاد فى اتجاه البيت بخطوات أكثر نشاطا ، وتبعته عروسه بخطوات متعثرة ، ابطأ السير بعد أن عبر بوابة البيت ، أما عروسه ، ففى ثورة من الغضب أسرعت رأسا الى حجرة النوم ، وألقت بنفسها فوق الفراش ، وعندما لحق بها كيشى وجدها راقدة فوق الفراش ، وقدماهما متدليتان على الأرض مع طرف السارى ، وفتحة « البلوزة » التى فكت

أزرارها •• تكشف عن استدارة ثدييها ، وعما فيهما من ليونة ودفء
ونداء ، فكر أن يجثو على ركبتيه ، ويضع رأسه فوق صدرها ، لكنه مرة
أخرى وجد عينيه ترحلان الى ما فوق الوسادة ، الى صورة أمه الصغيرة
الجميلة •

ظل واقفا وسط الحجرة شاردا ، وظلت الفتاة محدقة في السقف
بفيض من الدموع ، نظر كيشي الى ما خلف الفراش ، الى باب غرفته
القديمة ، سأل العروس :

— هل باب هذه الغرفة مغلق بالمفتاح ؟

— أجل •

— دار كيشي حول الفراش دورتين ثم هتف :

— وأين المفتاح ؟

— ربما يكون مع عممتك ، فهي التي كدست بداخلها الأثاث •

وخرج كيشي مسرعا عبر الشرفة الى طرف الحديقة ، لقد أطفئ
النور في حجرة نوم أمه ، والنسوة الأخريات لابد قد ذهبن الى غرف
الضيوف واستغرقت في النوم ، هل يذهب ليوخط أمه ؟ واذا استيفلت
عمته أيضا !! سوف تسلط عليه لسانها المرح الجارح ، عاد أدراجيه
وراح يدور حول الفراش ، اختلس نظرة الى العروس ، كانت دموعها
ما تزال رائية الى السقف ، اتجه الى باب غرفته القديمة خلف السرير ،
دفعه دفعة قوية بالكتف ، اكتشف أن الباب مغلق بالترباس السفلي
فقط ، لكن التراباس بدا أقوى من دفعات الكتف ، دائما كانت أمه تهتم
بالترباس السفلي ، لو كان الباب مغلقا من الداخل بالترباس العلوي
فقط ، لكان من السهل الآن ان يحطم زجاج الشراعة ، ويدخل يده بين
قضبانها ليجذب التراباس •

تراجع الى الخلف قليلا وأخذ يفحص الباب ، كل من الضلفتين
لها شراعة علوية بقضبان معدنية ولوح من الزجاج ، لو استطاعت يده
أن تصل الى التراباس السفلي !! فكر ان يحطم الزجاج ليحرب ، لكن احتمال
استيقاظ أمه على الصوت جعل برودة الخوف تغمر جسده ، عقد يديه
خلف ظهره وراح يحدق هنا وهناك ، مرة أخرى وجد نفسه يفحص الباب
المغلق ، كان جزء من أسفل الضلفة اليمنى معطوبا وتالفا ، وهناك شرخ
عميق يتعدى الطلاء الى جسد الباب ، انبطح أرضا ، أسند ظهره الى
السرير ، استجمع كل قوته في قدميه ضد منطقة الشرخ ، لكن السرير
انزلق ، بعروسه الى الخلف ، وظل الباب صامدا •

ماتزال العروس راقدة فى سكون ، عيناها معلقتان بالسقف ، وكأنها لم تشعر بانزلاق السرير ، اختلس كيشى نظرة اليها ، التفتت اليه ، تقابلت عيونهما فى صمت ، حدث كيشى نفسه : « اليسست عيناها تسخران منى ؟ ألم تنظر الى نظرة الى طفل مخبول ؟! واحتواه دافع من الخبل بدد ذكاه تماما ، ففز واقفا ، وبضربة عنيفة حطم الشراعة السفلى ، فتناثرت شظايا الزجاج داخل غرفته القديمة ، نهضت العروس جالسة فوق الفراش فى فزع ، لكنه لم ينظر نحوها ، مد ذراعه اليسرى وشد الترباس ضاعطا على وسط الباب بيده اليمنى ، تباعدت الضلفتان قليلا ، ثم عادتا مطبقتين بقوة على ذراعه اليمنى ، استعان بذراعه اليسرى حتى خلص اليمنى ، لكن مرفقها كان قد جرح ، وبدأ الدم ينشع من كم القميص ، صرخت العروس لمراى الدم :

— يا الهى !! ما هذا الذى فعلت ؟

كانت نبراتها قد امتلأت بالاهتمام ، وراحت تبحث عن شىء يصلح ضمانة للجرح ، لكن كيشى لم يكن مهتما بما أصابه على الاطلاق ، بل عاد يدفع الباب بيديه وكتفيه دفعات جنونية متوالية حتى انتصر عليه ، واندفع الى الداخل ، كان يعرف الطريق الى مفتاح النور ، رأى الغرفة فى الضوء مزدحمة بالهدايا والأثاث ، وهذا هو السرير الذى جاءت به العروس ، وهذه ماكينة الخياطة التى جاءت بها أيضا ، واتجه الى حقائب ملابسها الثقيلة ، حملها واحدة فواحدة وراح يطوح بها تباعا فوق فراش العرس عبر عرش الياسمين ، كانت العروس الآن واقفة خلفه قليلا ، تحديق فيه وترتعد من الخوف ، التفت اليها ، وضع يديه على كتفيها ناظرا الى عينيها الدامعتين ، رأت عينيه لأول مرة خاليتين تماما من اللامبالاة ، وملئتين بأعوار من السهوة ، لفحت أنفاسه أذنيها . وما خلف أذنيها ، وفى أحضانها الدافئة ، بدأت أطرافها تنفض الجمود والخوف ، ورفعت إحدى يديها لترتب شعره المهوش ، ومدت يدها الأخرى تحت قميصه المبطل ، حتى غابا معا فى القبلة المشتهاة .

استيقظت أمه فى الصباح الباكر ، وأسرعت الى غرفة العروسين ، فوجئت بالباب مفتوحا ، أطلت برأسها فى انزعاج ، ثم اندفعت الى الداخل ، مزقت الستارة المقامة فوق الفراش ، شبهقت مضطربة الانفاس فقد كان الفراش خاليا ، وقعت عيناها على الباب الآخر المفتوح وعلى شظايا الزجاج ، صرخت :

— هل كان هناك لص فى البيت ؟

ورُحِطت حتى عتبة الباب الآخر ، وهناك توقفت غارقة في الدهول ،
كان العروسان في الداخل مستغرقين في نوم عميق ، فوق سرير خشن
لم يجهد للنوم ، السرير الذي جاءت به العروس فكّدت مع الزحسام ،
ولم يكن مع العروسين فوق السرير سوى وسائد الأريكة ، التي جاء بها
أهل العروس .

« أخبرنا »

قصة قصيرة بقلم : ساتياجيت راى (★)

Satiajit Ray

(اليابان - مدينة أوساكا فى ١٢ مارس) •

هنا مظاهرة علمية •• يحضرها أكثر من ثلاثمائة عالم ومائة صحفى
من كل انحاء العالم •

وضع (أخبرنا) على قاعدته الشفافة ذات الأرجل الثلاث •• فوق
منصة صالة المحاضرات بمعهد (ناسمورا) للتكنولوجيا ، وعندما دخل
اثنان من عمال المعهد يحملان الكرة البلاتينية الناعمة •• دوت القاعة
بتصفيق جماعى صاخب •

هذا الجهاز الذى يستطيع الاجابة عن مليون سؤال دون ارهاق ،
لا يزيد حجمه عن حجم كرة القدم ، ويزن اثنى واربعين كيلو جراما فقط ،
لكنه يحمل المفاجأة الكاملة المذهلة لجمهور الحاضرين •

والحق أنه فى عصر العاظم المتعاطف هذا ، لا حاجة الى أن يزيد حجم
جهاز مهما كان معقدا عن هذا الحجم ، وهذا منطقى مع تقدم العلم ، فمنذ
خمسسين عاما فقط ، عندما كان جهاز الراديو بملاحقته يحتاج الى غرفة

(★) ساتيا جيت راى •

- مخرج سينمائى هندى حاصل على جائزة الاوسكار ••• توفى فى اوائل
التسعينيات وهو يقترب من السبعين •

- مدرسة عالمية متفردة فى الاخراج السينمائى تناولتها كتب عديدة •

- أحد أساتذة السينما الجادة فى هذا القرن ، لذلك فإن أفلامه تحدث دويما فى
المهرجانات الدولية •

- كاتب ومفكر ، طموحاته الفنية والأدبية وأشواقه الى العالم الافضل والى عناق
المجهول •• لا تتسع لها أعمار مئات البشر •

خاصة ، لم يكن أحد يتخيل أنه سيشاهد برامج التليفزيون على شاشة في ساعة يده كما يحدث اليوم .

ان (أخبرنا) بلا شك هو انتصار للتكنولوجيا الحديثة ، لكنه حقيقي أيضا ٠٠ أنه في عصر الأجهزة المعقدة ٠٠ لم يعد الانسان قريبا من الطبيعة أينما كان ، وهذه الآلة الصغيرة التي صنعناها تحتوى على عشرة ملايين دائرة كهربية ، لكن المخ البشرى الذى لا يزيد حجمه عن ربع حجم (أخبرنا) يحتوى على مائة مليون خلية عصبية عاملة ، وهو رقم يوضح مدى تعقيدات مخ الانسان .

ولأكشف لك منذ الآن ، أن المخ الالكترونى الذى وضعه العاملان أمامنا على المنصة ، عاجز تماما عن حل المسائل الحسابية ، ذلك لأنه لم يصمم ليقيم بعمل هذا العمل التافه ، بل ليجيب عن أسئلة تحتاج الى كل دوائر المعارف ، لكن الأخطر من هذا هو أن الجهاز يجيب عن الأسئلة شفاهيا باللغة الانجليزية وبنبرات فى قمة الوضوح ، من يريد أن يوجه اليه سؤالا عليه فقط أن ينطق باسم الجهاز أولا (أخبرنا) ٠٠ وهذا يكفى لتنبه خلاياه واثارتها للعمل ، وعلى السائل أن يقول فى نهاية الحوار (أشكرك) ، وهذه كافية أيضا لإيقافه عن العمل ، وللجهاز بطارية من نوع خاص قوتها على العمل مائة وعشرون ساعة ، وهى موضوعة فى خزانة خاصة داخل الكرة ، وعلى مساحة بوصة مربعة من سطح الكرة هناك مائتا ثقب دقيق تدخل عبرها الأسئلة وتخرج الاجابات ، ويجب أن تكون الأسئلة ذات اجابات قصيرة ، ولاضرب لك مثلا على أهمية ذلك :

كان أعضاء الوفود قد أعدوا أسئلتهم ذات الاجابات القصيرة قبل أن تتجمع فى صالة المعهد ، الا أن صحفيا من الفلبين سأل الجهاز أن يتحدث عن الحضارة الصينية القديمة ، وكان طبيعيا ألا يجيب الجهاز . وعندما سأل نفس الصحفى عن نقاط محددة فى الحضارة الصينية ٠٠ أصابنا الجهاز بالذهول ، فقد أجاب على الفور اجابات فى منتهى الدقة .

و (أخبرنا) ليس قادرا فقط على امدادنا بالمعلومات ٠٠ بل انه قادر على المناظرات المنطقية ، سأل العالم البيولوجى البيجورى دكتور سولومون ٠٠ عما اذا كان من الأسلم ترك قرد صغير أمام غزال جائع ، أم أمام شمبانزى جائع ، فأجاب (أخبرنا) على الفور :

— أمام غزال جائع .

فعاد العالم البيولوجى يسأل

— لماذا ؟

— لأن الشمبانزى من أكلة اللحوم •

هذه حقيقة لم يكن يعلمها أحد الا الآن ، اذ كان الجميع يعتقدون أن كل أنواع القرودة والقرودة العليا حيوانات نباتية لا تأكل اللحوم • كذلك فان (أخبرنا) يستطيع أن يكون طرفا فى ألعاب البريدج والشطرنج •• وأن يكتشف أى خطأ موسيقى فى النوتة أو فى العزف ، وبعد سماعه لوصف لوحة ، يمكنه أن يحدد نقاط الضعف فيها ، وأن يشرح للرسام كيفية الارتقاء بفنه فى اللوحات التالية ، كما يستطيع (أخبرنا) أن يملئ قوائم بالدواء والغذاء لكثير من المرضى ، وأن يحدد فرص بقاء كل منهم على قيد الحياة ، بعد سماعه لوصف الحالة المرضية •

ان كل ما ينقص (أخبرنا) من قدرات حتى الآن ، هو أن يفكر ، ويشعر ، ويتأمل فيما وراء الطبيعة ، فعندما سأل البروفيسور ماكسويل الأستاذ بجامعة سيدنى ، عما اذا كان الانسان سيظل يقرأ الكتب لمائة عام قادمة ، ظل (أخبرنا) صامتا لأنه لا يملك القدرة على التنبؤ ، لكنه رغم هذا يتفوق على الانسان فى خصوصية واحدة ، هى أن المعلومات التى يغذيه بها الانسان لا تذبل ، مع أن أكثر الناس ذكاء يعانون من ذبول فى الذاكرة كلما تقدموا فى السن ، وأنا نفسى بالأمس وجدتنى أناذى على خادمى (برااذ) باسم (براياج) ، وهذا خطأ لن يقع فيه (أخبرنا) على الاطلاق ، فمع أنه من صنع الانسان •• الا أنه يتفوق عليه فى قوة الذاكرة وثبات قوتها •

كان الذى طرح الفكرة الرئيسية لهذا الجهاز هو العالم اليابانى الشهير (ماتسو) ، وهو أحد الأسماء الرنانة عالميا فى الالكترونيات ، ولما تأكدت حكومة اليابان من صحة مشروعه وافقت على تحمل نفقات انتاج الجهاز ، وقد تولى التنفيذ الخبراء الفنيون بمعهد (ناسمورا) •• خلال سبع سنوات من العمل الشاق ، وفى السنة الرابعة ، قبيل انتهاء العمل التمهيدى ، دعا ماتسو سبعة علماء من خمس قارات ليعاونوه فى تغذية الجهاز بالمعلومات ، كنت أنا واحدا منهم ، وكان الستة الآخرون هم : دكتور جون كينسلى من بريطانيا ، ودكتور ستيفن ميريفيل من معهد ماساكوسيتى للتكنولوجيا ، ودكتور ستاسوف من الاتحاد السوفيتى ، والبروفيسور ستراتون من ملبورن ، ودكتور يوجاتى من غرب افريقيا ، والبروفيسور « كوتنا » من المجر •

وقبل أن يعود دكتور ميريفيل الى معمله بثلاثة أيام •• مات بنوبة قلبية ، فحل محله البروفيسور وينجفيلد من نفس المعهد •

كان بعض هؤلاء العلماء قد ظلوا ثلاثة أعوام ضيوفا على حكومة اليابان ، وآخرون - وأنا منهم - عادوا الى بلادهم . ثم أخذوا يترددون على اليابان في فترات منتظمة ، وقد جئت أنا الى اليابان احدى عشرة مرة خلال السنوات الثلاث الأخيرة .

ولا بد لي أن أذكر هنا حادثة غير عادية : أول أمس الموافق العاشر من مارس ، حدث كسوف للشمس ، ووقعت اليابان في منطقة الكسوف الكلي ، ولأننا نعرف مواعيد الكسوف بدقة فقد رتبنا أن نتم عملنا قبل الكسوف بيومين ، لكننا اكتشفنا أن الجهاز لا يرد على أى سؤال .

كان الجهاز كرة مصنعة بحيث يمكن فكها الى نصفى كرة ، ثم تفكيك العشرة ملايين توصيلة كهربية التي بداخلها . لاكتشاف التوصيلة التي تسببت في الخطأ ، وقد قضينا في البحث عن الخطأ ليلتين ويومين بلا انقطاع ، وفي العاشر من مارس ، قبيل أن يبدأ الكسوف في الواحدة وسبع وثلاثين دقيقة بعد الظهر ، انطلق صغير عال من مكبر الجهاز ، أكد لنا أن الخطأ قد صحح ، فتنهدنا جميعا بارتياح وخرجنا الى الخلاء لمشاهدة الكسوف ، وقد استولت على دهشة عميقة : ترى !! هل هناك توافق ما بين كسوف الشمس والوشيك وعودة الجهاز الى الحياة ؟!

ظل (أخبرنا) محفوظا في المعهد داخل حجرة بنيت خصيصا له . للتحكم في درجة الحرارة التي تناسبه ، وهي أكثر الغرف أمانة في المعهد ، وهناك يرقد الجهاز فوق السطح المقعر لقاعدته الشفافة . عند منتصف الجدار المواجه لباب الحجرة ، ومن فوقه في السقف تجويف يتخلله ضوء غير مباشر . لكنه ضوء قوى يغمر جسم الجهاز بصفة دائمة ، ولأن (أخبرنا) الآن ثروة قومية . فقد وضعت حجرته تحت الحراسة ، اذ يجب أن يوضع في الحسبان أنه حتى الدول والشعوب يمكن أن تدفعها المغيرة الى الحماسة ، وقد سمعت وينجفيلد قبل ذلك مرتين . يحكى في حديث عابر عن تخلف الولايات المتحدة عن اليابان . في مجال تكنولوجيا الحاسبات ، ولا بد هنا من كلمة عن وينجفيلد : انه بلا شك عالم قدير ، لكنه شخصية مكروهة من الجميع ، لعل السبب في ذلك أنه يحمل أكثر الوجوه جهامة وعبوسا . وأن أحدا لم يره يضحك خلال السنوات الثلاث التي قضاها هنا في أوساكا .

هناك ثلاثة علماء أجانب سيعودون اليوم الى بلادهم ، والباقيون بعد ذلك هم : وينجفيلد وكينسلي وكوتنا وأنا ، نسيت أن أقول لك إن وينجفيلد يعاني من مرض النقرس ، وانه يتردد على أخصائي في أوساكا للعلاج ، وأنا أستعد لجولة قصيرة حول أوساكا ، سوف أذهب غدا مع كينسلي الى (كيو تو) ، وكينسلي يشغل بالعلوم الطبيعية لكن اهتماماته

واسعة المدى .. الى حد أنه يعتبر مرجعا مهما في الفن الياباني ، وطالما عبر عن شوقه لزيارة كيوتو ، على الأقل لرؤية المعابد البوذية وحدائق (زن) الشهيرة ، أما العالم البيولوجي المجري (كوتنا) فهو لا يهتم كثيرا بالفن ، هناك شيء واحد يثير اهتمامه أنا فقط الذي أعرفه .. فهو لم يناقشه الا معي ، وهو موضوع لا أراه واقعا في دائرة اهتمامنا ، ولأوضح لك ذلك بمثال :

كنا نتناول الافطار معا في ذلك الصباح ، أخذ كوتنا رشفة من كوب القهوة ، ودون توقع خرج عن هدوئه وقال : أنا لم أشاهد كسوف الشمس في ذلك اليوم .

لم أكن أنا أهتم بذلك ، فكسوف الشمس ليس أكثر من ظاهرة طبيعية معروفة ، رغم أن حالة الشعاع التي أحاطت بقرص الشمس عند اكتمال الكسوف في ذلك اليوم ، جعلتني معلق البصر بها الى حد أني لم أعرف من الذي كان يقف بجواري ، وقد دهشت من أن كوتنا حرم نفسه من رؤية هذه الظاهرة ، وعندما سألته بعد ذلك عن السبب ، وجه الى سؤال غريبا :

هل للكسوف تأثير على البلاتين ؟

لست أعرف !! ولماذا هذا السؤال ؟

لماذا اذن فقد الجهاز بهاءه أثناء الأربع دقائق ونصف التي استغرقها الكسوف الكلي ؟ لقد رأيت بوضوح أن غلالة ما غطت الجهاز بمجرد أن اكتمل الكسوف ، ثم رأيت الغلالة تنقشع في نفس اللحظة التي انتهى فيها اكتمال الكسوف !!

لم أدر ماذا أقول لكوتنا ، رحنت أتأمل وجهه العجوز متعجبا ، ترى !! هل هناك علاقة بين التقدم في السن وبين أسئلته الغريبة ؟! وسألته :
- هل تظن أن الجهاز أصيب بالشيخوخة ؟

- ليس، لدى اجابة محددة ، لأن الفكرة جديدة تماما ، كل ما أستطيع قوله : هو أنه اذا كانت الغلالة التي رأيتها مجرد خداع بصري .. فسوف أكون في منتهى السعادة ، اني لست زاهدا في رؤية الكسوف ، لكن فكري الآن مركز في العقول الصناعية ، عندما دعاني ماتسو للحضور الى هنا وأتيت .. قلت له شيئا مما يؤرقني : اذا استمر الانسان في صناعة الماكينات وتطورها .. فقد يأتي يوم تغلت فيه العقول الصناعية من سيطرة الانسان !!

وتوقفت المناقشة بوصول كينسلى ووينجفيلد .

ان احساس كوتنا بالماكينات والأجهزة لم يعد شيئا جديدا ، كثيرون
فنا يفكرون فى احتمال أن يصبح الانسان عبدا لهذه الماكينات ، فلقد كان
ساكن المدينة - قبل عصر الآلة - يمشى على قدميه نحو عشرة كيلومترات
كل يوم بسهولة ، لكنه الآن يشعر بالعجز عن التنقل دون مركبات ، ليس
معنى هذا أن نطالب بايقاف التقدم العلمى ، بل ان مزيدا من الماكينات لابد
أن تصنع ، والا فسيصبح التقدم الى الوراء نحو العصور البدائية .

(كيوتو فى ١٤ مارس) :

مهما كنت قد قرأت أو سمعت عن جمال كيوتو ، فانها أروع من
كل هذا !! لم أكن أصدق أن الحس الجمالى لدى الانسان يمكن أن يغطى
مدينة بأكملها !!

بعد ظهر اليوم زرنا معبد (زن) الشهير وحدائقه الرائعة ، من
الصعب أن أتخيل مكانا فى العالم أهدأ من هذا ، قابلنا فى المعبد رجل
الدين العالم الشهير (تاناكا) ، شخصية قديس وديع متوافق تماما مع
كل ما حوله ، وعندما سمع منا عن (أخبرنا) ابتسم برقة وقال :

— هل يستطيع جهازكم أن يخبرنا عن : ارادة من تلك التى تحرك
الشمس والقمر بهذا التوافق أثناء كسوف الشمس ١٩ ؟

حقا انه سؤال فيلسوف !! عندما كنت صبيا ورأيت الكسوف
لأول مرة ، انتابتنى دهشة عميقة ، كيف يمكن أن يجيب (أخبرنا) عن
سؤال (تاناكا) ؟ سوف نقضى هنا يوما آخر ثم نذهب لزيارة
(كاماكورا) ، لقد استفدت كثيرا من رفقة كينسلى ، ان الأماكن الرائعة
تصبح أكثر روعة ، عندما تزورها بصحبة شخص يعرفها ويحبها .

(١٥ مارس)

أكتب هذا فى مقصورة القطار بمحطة (كيوتو) ، فى الساعة
الثانية والنصف صباحا من الليلة الماضية حدث هنا زلزال عنيف ،
الهزات الأرضية أمر عاذى فى اليابان ، لكن هذه الهزة كانت جسيمة
واستمرت تسع ثوان كاملة ، هذا هو السبب الرئيسى الذى جعلنا
نغادر المدينة ، والسبب الاخطر من هذا أن حادثة وقعت فى (أوساكا)
تدعونا الى سرعة العودة اليها ، فى الخامسة من صباح اليوم اتصل بى
(ماتسو) . وفاجأنى بالخبر :

حديث النهر - ١١٣

ـ لقد اختفى (أخبرنا) .

لم يكن سهلا أن يمتد الحديث عبر التليفون ، لأن ماتسو يتحدث
بانجليزية ضعيفة ، لكنه فى هياجه استطاع أن يعبر بوضوح عما حدث :
بعد الزلزال مباشرة ٠٠ وجد أن القاعدة الشفافة قد سقطت من على المنصة
الى أرض الحجر ، وأن (أخبرنا) قد ضاع ، ووجد حارساه فاقدى
الوعى وأرجلهما مكسورة ، وهما الآن فى المستشفى ومازالا فاقدى
الوعى تماما ، ولم تعرف حتى الآن حقيقة ما حدث .

هنا فى كيوتو قتل تسعون شخصا نتيجة لانهيار المنازل ، كل من
فى المحطة يتحدثون عن الزلزال ، عندما بدأ الزلزال ليلا كنت فى غاية
الاضطراب والقلق ، وهرولت أنا وكينسلى الى خارج الفندق متخبطين فى
الزحام .

يا للكارثة !!! كم من الخبرة والمال أنفقت فى صناعة الجهاز !!
أئمن جهاز فى العالم !! يختفى بعد اكتمال صنعه بثلاثة أيام !!؟

(أوساكا فى ١٥ مارس ـ الحادية عشرة مساء)

أجلس الآن بغرفتى فى بيت الضيافة العالمى المثل على الميدان ، فى
الجانب الآخر من الميدان يواجهنا معهد (تاسمورا) ، من نافذتى هذه
كنت أرى برج المعهد ٠٠ لكنه الآن ليس هناك فقد انهار بالأمس تحت
وطأة الزلزال .

كان ماتسو قد جاء بعربته الى المحطة لاستقبالنا ، واتجهنا
مباشرة الى المعهد ، أحد الحارسين استرد وعيه وقال : عند بداية الزلزال
سرع هو وزميله فى الهرب ، لكنهما سمعا صوتا صادرا من حجرة
(أخبرنا) ٠٠ فهرولا الى هناك فتحا الباب وأخذا يبحثان ٠٠٠ مستحيل
أن يصدق أحد هذه الرواية ، أن الحارس يقول :

ـ عندما دخلنا الى الغرفة وجدنا القاعدة الشفافة ملقاة على الأرض
و (أخبرنا) يتدحرج ذهابا وجيئة بين الجدران ، وعندما بدأ الزلزال
تقدمنا من الجهاز لتسبيك به ، لكنه اتجه نحونا مهددا ، وانهار على
أرجلنا ضربا حتى كسر عظامها وفقدنا الوعى .

ان تكن هذه الرواية كاذبة ، فالاحتمال الآخر هو أن الجهاز قد
سرق ، لابد أن الحارسين كانا مخمورين ، والذى استرد وعيه كان أقل
سكرا ، لم يكن طبيعيا أن يندفع الحارسان للهرب من المبنى وهما

مخموران !! كان هناك آخرون يعملون بمعمل المعهد فى تلك الليلة
وهربوا أيضا أثناء الزلزال ، هذا يعنى أن معظم الأبواب كانت مفتوحة .
وأن الغرباء كان يمكنهم دخول المعهد ، أى لص نشيط الحركة كان
بإمكانه أن ينتهز فرصة الفرع ويهرب بالجهاز ، دون أن يراه أحد !! .

سرقة ؟ أم لاسرقة ؟ ان (أخبرنا) ليس فى مكانه الآن ، فمن الذى
أخذه ؟ والى أين أخذه ؟ وحتى اذا أمكن استرداده فستظل هناك أسئلة
بلا جواب .

لقد سارعت الحكومة فأعلنت فور وقوع الحادث عن جائزة مقدارها
نصف مليون « ين » لمن يعيد الجهاز ، والشرطة بدأت البحث على أوسع
نطاق ، والحارس الثانى استرد وعيه وأكد بشدة أن الكرة لم تسرق ،
لكنها - بقوة غامضة - هاجمته هو وزميله بقسوة وهربت .

كان كوتنا هو الوحيد الذى صدق حكاية الحارسين ، رغم أنه
لم يستطع أن يدعم الحكاية بتفسير منطقي واحد الا أنه صدقها ، بينما
أكد كينسلى ووينجفيلد أن السرقة هى التفسير الوحيد لاختفاء الجهاز .

ان البلاتين معدن نفيس لا يفوقه الا الذهب ، وشباب اليابان فى
هذه الأيام - تحت تأثير المخدرات - يميلون الى الأعمال الطائشة ، وبعض
الراديكاليين منهم يرتكبون مثل هذه الأعمال لمجرد احراج الحكومة ، وربما
أيضا من أجل الحصول على المكافأة الضخمة !!

لن يكون البحث سهلا ، فالهياج الذى أحدثه الزلزال لم يهدأ
بعد ، لأن أكثر من مائة وخمسين شخصا قتلهم الزلزال فى أوساكا ، وعدد
المصابين زاد على ألفين ، وليس هناك ما يؤكد أن الهزات الأرضية قد
تخمدت تماما . كان كوتنا هنا منذ قليل ، ومع أنه يؤمن بأن (أخبرنا)
قد اختفى دون تدخل من أحد . الا أنه لم يجد سببا واحدا يدفع الجهاز
الى الهرب ، هو فقط يرى أن ارتطام (أخبرنا) بالأرض أثناء الزلزال
قد أثر بشكل ما فى سطح كرة الجهاز ، مما جعله يفقد عقله ، أما أنا
فأشعر شعورا قاسيا بفداحة الخسارة ، شعورا محزنا لم أتعرض لمثل
من قبل .

(١٦ مارس ٠٠ الحادية عشرة والنصف ليلا)

على أن أتخلص من الارهاق العصبى الذى عانيت منه طوال النهار ،
ليس فينا واحد يرفع رأسه عاليا سوى كوتنا ، لأن افتراضه أوشك أن
يصبح حقيقة !! بسبب هذه الكارثة أشك فى أن أحدا سوف يغامر بعد
ذلك ببناء عقول صناعية أخرى .

فى الليلة الماضية - بعد أن انتهيت من كتابة مذكراتى اليومية -
لم أستطع أن أنام ، فصممت على أن أتناول قرصا منوما ، وبمجرد أن
نهضت من فراشى لأحضر علبة الحبوب المنومة ٠٠ شد بصرى الى النافذة
الشمالية ، هذه النافذة هى المطلة على الميدان فى مواجهة معهد
(ناسمورا) ، كان ما شد بصرى هو ضوء بطارية فى الميدان ، كانت
البطارية تضاء وتطفأ متجولة فى مساحة كبيرة نسبيا ، استمر ذلك لمدة
ربيع ساعة ، كان واضحا أن الذى يحمل البطارية يبحث عن شيء ما ،
لكنه فجأة - بمساعدة ضوء البطارية - اختار طريقا ما واختفى من
الميدان .

فى هذا الصباح وصفت لزملائى الثلاثة حادثة البطارية ، اتفقنا على
أن نلقى نظرة على الميدان بعد تناول الافطار ، وفى حوالى الثامنة نزلنا الى
الميدان ، مثل كل مدن اليابان كانت طرقات أوساكا غير مستوية ، وكان
علينا أن نرتقى طريقا متحدرا لى نصل الى الميدان ، وهناك اتخذنا طريقا
بين الأشجار التى تتشابك زهوها مشكلة أية مديدة جدرانها أشجار
القبب والقسطل والبتولا والبلوط ، لقد بدأ اليابانيون منذ زمن طويل
فى اقتلاع أشجارهم وزراعة الأشجار الانجليزية بدلا منها ، وبعد أن مشينا
نحو ربع ساعة التقينا بتلميذ يابانى فى نحو العاشرة ، أسود الشعر
متورد الخدين ، يعلق حقيبة كتبه على كتفه ويتجول محدقا فى الأرض ،
توقف التلميذ لرؤيتنا وراح ينظر إلينا بانزعاج ، كان (كوتنا) يعرف
اليابانية فسأله :

- ما اسمك ؟

- سيجى .

- ماذا تفعل هنا يا سيجى ؟

- ذاهب الى المدرسة .

- عما كنت تبحث فى هذا الدغل ؟

لم يجب الصبي ، بينما خطسا كينسلى بضع خطوات الى اليمين
وهتف :

— أقبل يا شانكو !!

كان كينسلى هناك يحدق فى الحشائش ، أسرعنا اليه أنا ووينجفيلد ،
هناك رقعة من الحشائش عليها غصن زهرة برية ديس بجسم ثقيل ،
وعلى بعد أقدام قليلة رأينا سـحلية مبططة ومليصقة بالأرض ، التفت
كينسلى الى كوتنا وقال :

— اسأل الصبي ان كان يبحث عن كرة •

وجاءت اجابة الصبي هكذا : قال انه كان قد رأى كرة معدنية خلف
الدغل وهو عائد من مدرسته فى اليوم السابق ، وعندما اقترب منها
قد حرجت حتى ابتعدت عنه ، ولما تعقبها ظلت تبتعد عنه حتى فشل فى
اللاحاق بها ، ولما عاد الى البيت علم بأمر الجائزة من التليفزيون ، ولذلك
عاد يبحث عنها بالبطارية فى الليلة السابقة ، لكنه لم يجدها •

قلنا له اننا اذا عثرنا على الكرة فسوف نمكنه من الحصول على
الجائزة ، عند ذلك بدا عليه الارتياح •• فأعطانا عنوانه وهرول الى
المدرسة •

وتفرقنا نحن الأربعة فى أربع اتجاهات لعل أحدها أن يعثر على الكرة
فينادى على الآخرين ، أهملت آثار الأقدام وبدأت البحث خلف الأدغال ،
اذا كان (أخبرنا) قد أصبح يملك أن يتحرك وحده فمن الصعب أن
يستسلم ، أما اذا كان قد ارتقى ولو قليلا نحو الكينونة البشرية ••
فمن العسير أن ننبأ بشئ من تصرفاته •

مستجمعا كل نقطة عيني واصلت السير خمس دقائق أخرى ، فرأيت
فراشتين على الحشائش ، أحدهما كانت ميتة والأخرى ما تزال
تترفرف بجناحيها رفرفات واهنة ، شئ ثقيل مر فوق الفراشتين
منذ لحظات قليلة !! تقدمت ببطء وحذر شديد إلى أن جذب انتباهي
صوت مفاجيء حاد ، لو أن أحدا يستطيع أن يعبر عن الصوت الذى سمعته
بالكلمات لكتبه هكذا : (كوو اى) ، كنت أحاول أن أحدد الموقع الذى
صدر منه الصوت عندما سمعته مرة أخرى مفاجئا وحادا (كوو اى) ، انه
بالتأكيد جهازنا الضائع •• ونداؤه يعنى شيئا واحدا : انه يلعبنا
لعبة « حاورينى يا طيطة » !!

لم أستطع التقدم أكثر من ذلك ، فقد رأيت (أخبرنا) هناك خلف
شجرة خبازى قريبة تتلألأ فى أشعة الشمس ، لكنى عندما اقتربت منه
لم يتحرك ، لا شك أن (كوو اى) هى التى دلت زملايى الثلاثة على أن

(أخبرنا) قريب ، فقد أسرعوا قادمين نحوي ، يبدو أن ٠٠ هل ؟ هل هناك تغير ما في مظهر (أخبرنا) ؟ علينا أولاً أن نزيل التراب والحسائش العالقة بسطحه ، هبط كينسلي على ركبتيه وسط الحشائش وراح يصرخ منادياً :

— أخبرنا ! أخبرنا ! أخبرنا !

ثم راح يصرخ فينا أن نقترب ونصرخ في الجهاز لننشطه ، لكننا شغلنا باكتشاف ما أصاب جسم (أخبرنا) أولاً ، فجأة وجه وينجفيلد سؤالا للجهاز :

— في أى المارك انتصر نابليون ؟

كان أحد الصحفيين قد وجه نفس السؤال عندما اجتمعنا في صالة المعهد لاختبار الجهاز ، وقد أجاب (أخبرنا) حينذاك فوراً على السؤال ، لكنه الآن لا يجيب ، تبادلنا النظرات وأحسست بالتشاؤم يتراكم في قلبي ، تقدم وينجفيلد أكثر نحو الجهاز وكرر السؤال :

— أخبرنا ؟ في أى المارك انتصر نابليون ؟

وإذا بالجهاز يجيب بسؤال مضاد :

— ألسنت تعرف ؟

انتفض وينجفيلد ٠٠ وفغر كوتنا فاه خوفاً ودهشة ٠٠ كأنما أحس بقوى تتحداه من وراء الطبيعة !!

ان (أخبرنا) لم يعد كما كان !! انه يوسائل مجهولة قد تجاوزت مهارة الانسان الذى صنعه !! والآن تأكدت من أنى أستطيع أن أحاور الجهاز :

— هل جاء بك أحد الى هنا ؟ أم جئت وحدك ؟

— جئت وحدى ،

استفز كوتنا الى الحد الذى أرعش جسده وملا جبهته بحبات العرق ، لكنه استجمع نفسه وسال :

— لماذا أتيت الى هنا ؟

وبسرعة البرق أجاب (أخبرنا) .

— لكى ألعب .

ووجدتنى مستفزاً أكثر من كوتنا فصريخت ؟

— لكى تلعب ؟

كان وينجفيله قد ارتمى أرضا ، وأجابنى الجهاز :

— ان الطفل من حقه أن يلعب •

وانطقت الدهشة الطاغية ألسنتنا جميعا بنفس السؤال :

— الطفل ؟ وهل أنت طفل ؟

— نعم ، أنا طفل لأنكم جميعا أطفال •

لست أعرف شعور زملائى عند ذلك ، لكننى استطعت أن أعى ما كان يريد أن يقوله (أخبرنا) كان يريد أن يقول : انه على الرغم من أن القرن العشرين يوشك أن ينتهى •• فان الانسان لا يعرف الا القليل بالنسبة لما يجهله ، وان الجاذبية تحتضن هذا الكون كله ، وان ذلك الذى نحس بوجوده فى كل لحظة لا يزال سرا غامضا ، واننا بهذا المقياس أطفال •

أصبحت مشكلتنا عند ذلك هى كيف نتصرف مع (أخبرنا) بعد أن أصبح له عقله الخاص ، من الأفضل أن نسأله ، وسألته :

— هل انتهيت من اللعب ؟

— نعم ، لقد كبرت •

— وماذا ستفعل الآن ؟

— سأفكر •

— هل ستبقى هنا ؟ أم تأتى معنا ؟

— سأذهب معكم •

— أشكرك •

وحملناه على طريق العودة ، وفى دار الضيافة اتفقنا على أنه لم يعد ممكنا أن نحفظ بالجهاز فى المعهد ، فلا بد أن يكون تحت مراقبتنا طول الوقت ، كما أنه لم يعد من الحكمة أن نعقد اجتماعات عامة لاختباره •

وتمسك ماتسو بالأسلوب الذى اقترحه للجهل ، كانت هناك كرتان للتجارب صنعتا قبل صنع (أخبرنا) اقترح ماتسو أن تحفظ احدهما بالمعهد فى مكان (أخبرنا) ثم يعلن أن (أخبرنا) قد أعيد الى مكانه ،

بينما يحفظ (أخبرنا) الحقيقي في دار الضيافة ، حيث لا يوجد أحد سوانا نحن الأربعة ، ودار الضيافة مكونة من طابقين يحتويان على ست عشرة حجرة ، نحتل نحن أربعا منها ٠٠ وتربط بيننا خطوط تليفونية جيدة .

بعد ساعات قليلة أرسل ماتسو الى حجرتي صندوقا زجاجيا ، وضعنا فيه (أخبرنا) محاطا بفراش وثير من القطن ، وقد لاحظنا بعد تنظيف (أخبرنا) من الغبار ، أن سطحه لم يكن ناعما كما كان من قبل ، ان البلاطين معدن شديد الصلابة ، ولذلك فانه رغم السحرجات العديدة التي تدرجها (أخبرنا) منذ الزلزال ، فانه لم يكن هناك مبرر علمي لكى يفقد سطحه ما فقده من النعومة واللمعان ، وقد سألت أخبرنا عن ذلك فأجاب بعد لحظات :

— لست أعرف ، انى أفكر .

وجاء ماتسو الى حجرتي بعد الظهر ومعه مسجل من نوع خاص ، تمثل خصوصيته في أنه يبدأ التسجيل في لحظة انطلاق الصوت ٠٠ ويتوقف لحظة أن يتوقف الصوت ، وضع ماتسو المسجل أمام (أخبرنا) وقد سيطر على قسماته اليأس ، لم تعد أستاذيته فى الالكترونيات شيئا مفيدا له فى ذلك الموقف ، عرض ماتسو أن يفكك الجهاز الى أجزائه الأساسية لكى يختبر كلا منها على حدة ، لكنى أثنيتة عن ذلك قائلا :

— مهما يكن الخطأ الذى حدث داخل الجهاز ٠٠ فان المهم الآن هو ألا نتدخل ، ان الانسان قادر على صنع الآلة ، وسيفعل ذلك كثيرا فى المستقبل ، ولكن ٠٠ ليست هناك مهارة بشرية تستطيع أن تصنع جهازا مثل (أخبرنا) كما هو الآن ، كل ما علينا اذن هو أن نراقبه ونجرى معه مزيدا من الحوار .

وفى المساء كنا نحن الأربعة جالسين فى حجرتي نتناول القهوة ، عندما سمعنا صوتا آتيا من الصندوق الزجاجى ، صوتا معروفا ، حادا كالصغير ، ولكن !! لم يكن أحد قد نطق باسم (أخبرنا) لكى يبدأ فى العمل !! لقد أصبح مؤكدا أنه صار قادرا على تنشيط نفسه بنفسه لكى يبدأ العمل !! خطوت نحو الصندوق وسألت :

— هل قلت شيئا ١٩

أجاب أخبرنا على الفور :

— أصبحت الآن أعرف ، انه السن ٠٠

اذن فقد وجد (أخبرنا) جوابا لسؤالى الذى وجهته اليه فى

الصباح ، ان خشونة سطحه هى مظهر من مظاهر الشيخوخة ، سألته :

— هل أصبحت عجوزا ؟

— لا ، انى الآن فى مرحلة الشباب .

كان سلوك وينجفيلد غريبا ، فعندما اقترح ماتسو تفكيك الجهاز كان وينجفيلد هو الوحيد الذى أيد الاقتراح وتعجل تنفيذه ، بحجة أن (أخبرنا) لم يعد يخدم الغرض الذى أنشئ من أجله ، وكلما كان يتأكد أن أخبرنا بدأ يعتمد على نفسه كان يصاب بالقلق ، انى أعترف بأن سلوك (أخبرنا) الآن غير طبيعى . ولكن لماذا يتصرف عالم كبير مثل وينجفيلد هذا التصرف ؟! والحقيقة أن (أخبرنا) قد قفز اليوم قفزة غير سارة ، فخلال الدقيقة التى تحدث فيها الى ، كان وينجفيلد قد ترك مقعده وأسرع الينا ليسأل الجهاز :

— ما المعارك التى كسبها نايليون ؟

وجاء الجواب مثل لسعة سموط مفاجئة :

— أن تريد أن تعرف ما تعرفه من قبل ، فهذا مظهر من مظاهر البلاء .

لا أستطيع أن أصف وقع هذه الاجابة على وينجفيلد ، لكن الكلمات التى نطق بها بعد ذلك . . كانت تدل على أنه صار مساعدا صغيرا يخاطب أستاذه العالم الكبير ، ولحق فان الخطأ كان خطأ وينجفيلد ، وقد أخطأ قبل ذلك بعناده فى رفضه لاقامة (أخبرنا) معنا فى دار الضيافة ، لكن أكثر الأمور غرابة كان رد (أخبرنا) على دهشة وينجفيلد من وصفه بالبلاء ، فقد فاجأنا بعد ذلك بقوله :

— وينجفيلد !! انى أحذرك .

ولم يعد وينجفيلد قادرا على البقاء معنا فى الحجرة ، فأنصرف مسرعا غاضبا ، صافقا الباب من خلفه على عنف متوتر ، وبقي معى كينسلى وكوتنا ، عبر كينسلى عن اعتقاده بأن وينجفيلد حالة (سيكوباتية) ، وبأنه كان عليه أن يرفض الدعوة أصلا للحضور الى اليابان . . خاصة وأنه لم يقدم لزملائه معونة تذكر ، وأضاف كينسلى قائلا :

— لو كان ميريفيل حينا حتى الآن لاختلفت الأمور كثيرا !!

وتناولنا الغذاء فى حجرتى ، لم يتكلم أحد منا ، وكذلك فعل

(أخبرنا) ، وقد لاحظنا جميعا أن سطح الكرة يزداد خشونة بمرور الوقت .

وبعد ان انصرف زميلاي أغلقت الباب وجلست على السرير ، وفجأة انطلق صوت (أخبرنا) وبدأ المسجل فى العمل ، نهضت متعجها نحو الصندوق الزجاجي ، لم يكن صوت (أخبرنا) عاليا هذه المرة ، بل انطلق هادئا مهيبا وجليلا يسألنى :

— هل أنت ذاهب لتنام ؟

— ولماذا تسأل ؟

— هل تحلم وأنت نائم ؟

— أحيانا ، مثل كل البشر !!

— لماذا تنام ؟ ولماذا تحلم ؟

— السبب ليس واضحا حتى الآن ، لكن لدينا نظرية عن النوم تقول : لقد تعود الانسان البدائي على الصيد والقنص طوال النهار لكي يحصل على طعامه . ثم الجلوس فى ظلمة كهفه حتى يأخذه النوم ، وكان ضوء النهار يوقظه من النوم ، ربما نكون ورثة لهذا السلوك البدائي حتى الآن !!

وعاد (أخبرنا) يسألنى :

— والأحلام ؟

— لسبب أعرف ، ولا أحد غيرى يعرف .

— أنا أعرف .

— هل تعرف ١٩ ؟

— أعرف الكثير ، أعرف كيف تعمل الذاكرة ، وأعرف سر الجاذبية ، ومضى ظهر الانسان لأول مرة على الأرض ، وأعرف الكثير عن ميلاد هذا الكون .

كنت أرقب (أخبرنا) وأنا فى غاية التوتر ، وكان المسجل يعجل ، ترى !! هل كان أخبرنا على وشك أن يبوح بكل الأسرار ١٩ انه لم يفعل ، توقف قليلا ثم أضاف :

— لقد وجد الانسان اجابات لأسئلة عديدة ، وسيجد يوما تفسيراً للنوم والأحلام ، لكن ليس الآن ، فالطريق ليس سهلا بعد . وبعد فترة صمت أخرى عاد يقول :

– لكن هناك شيئا واحدا لن يعرف الانسان سره الى الابد ، وأنا
ايضا لا أعرف سره حتى الآن ، لكنى سأعرف ، فأنا آلة ولست انسانا .
– عن ماذا تتحدث ؟

لكن (أخبرنا) لاذ بالصمت ، فتوقف المسجل ، وبعد دقيقة عاد
المسجل الى العمل ليسجل آخر كلمتين قالهما (أخبرنا) :
– ليلة سعيدة .

(١٨ مارس) .

أكتب هذه المرة في المستشفى ، أشعر الآن بتحسّن ، يقولون انهم
سيخرجوننى من هنا بعد الظهر ، ليس لدى فكرة عما ينتظرنى من
أحداث ، وأعترف الآن بأننى أخطأت عندما لم أعمل بنصيحة (أخبرنا) ،
أهس الأول كنت قد ذهبت الى الفراش بعد أن قلت له (تصبح على خير) ،
واستغرقت في النوم بعد دقائق ، أنا عادة أنام نوما خفيفا وأصحو عند
سماع أى صوت ، لذلك عندما رن التليفون في تلك الليلة نهضت فورا ،
كانت ساعة الحائط تشير الى الثانية والنصف وثلاث دقائق ، وكان
وينجفيلد على التليفون يقول :

– شانكو !! لقد نفذت حبوبى المنومة ، هل يمكنك أن تساعدنى ؟
قلت له اننى سأذهب اليه بالحبوب بعد دقيقة واحدة ، فأجابنى
بأنه سيأتى هو ليأخذها .

أخرجت علبة الحبوب من حقيبتى ، دق جرس الباب ، وعلى الفور
سمعت صوت (أخبرنا) يحذرنى :

– لا تفتح الباب .

فزعت ، سألته :

لمأذا لا أفتح الباب ؟

لأن وينجفيلد شرير .

ما هذا الكلام يا (أخبرنا) ؟

ودق جرس الباب مرة أخرى ، وتبعه صوت وينجفيلد قلقل :

– هل استغرقت في النوم يا شانكو ؟ لقد أتيت من أجل الحبوب

المنومة !!

كان (أخبرنا) قد حذرني وأغرق في الصمت ، وجدت نفسي في ورطة ، بأية حجة لا أفتح الباب ١٩

وكيف أستطيع أن أبرر هذا السلوك ؟ وماذا لو كان تحذير (أخبرنا) على غير أساس ١٩ وفتحت الباب ، ففى لحظة تلقيت ضربة قوية فى رأسى ورحت فى غيبوبة ، وعندما استعدت وعيى وجدت نفسى فى المستشفى والعلماء الثلاثة من حولى يحكون لى ما حدث هكذا : بعد أن فقدت الوعي ٠٠ قذف بى وينجفيلد الى خارج الحجرة ، ثم قام بتفكيك (أخبرنا) ، وأخذ نصفى الكرة البلاستية الى غرفته حيث وضعهما فى حقيبتيه ، وعند الفجر هبط الدرج الى مدير الدار ، طالبا منه أن يعد له عربة تحمله الى المطار ، وعندما استولت الرية على الشيال بسبب ثقل الحقيبة ٠٠ أبلغ رجل الشرطة الواقف ببوابة الدار ، اعترض الشرطى طريق وينجفيلد الذى تهور وسحب مسدسه ، لكنه لم يسحبه بالسرعة الكافية ، وهو الآن محبوس باتهامات عديدة منها قتل زميلنا ميريفيلد الأستاذ بمعهد (ماساكوسيتى) .

كان وينجفيلد يخشى من أن (أخبرنا) بقدراته الخارقة يمكن أنه يكشف عن حقيقته المفجعة ، لذلك كان قلقا يتعجل تفكيك الجهاز والهربة بالكرة ، آملا أن يتصرف فيها على طريق المطار .

بعد أن استمعت الى الرواية الغريبة سألت :

واين (أخبرنا) الآن ؟

أجاب ماتسو :

— أعيد ثانية الى المعهد ، لم يكن يمكن الحفاظ على سلامته طويلا فى دار الضيافة ، وهو الآن فوق قاعدته الشفافة بعد أن أعدت تركيبه كما كان .

— هل قال شيئا منذ أعدت تركيبه ؟

— طلب أن يراك .

لم أستطع أن أتمالك نفسى أكثر من ذلك ، فليذهب الألم الذى فى رأسى الى الجحيم ، كان على أن أسرع الى المعهد ، سألنى كوتنا :

هل تقوى على الذهاب ؟

— بالتأكيد .

وبعد نصف ساعة كنا فى غرفة (أخبرنا) الأنيقة ، كان جالسا على عرشه فوق القاعدة الشفافة المقعرة ٠٠ يستحم فى عمود الضوء الذى

يخترق اليه السقف ، واستطعت أن أرى شقوقا منتشرة على سطحه ،
لكنه أعفى من الأسئلة طيلة الأيام الأربعة الماضية !! فما الذى جعله
يتقدم هكذا فى العمر ١٩

تقدمت نحوه ، اقتربت ، وقبل أن أقول شيئا سمعت صوته الهادئ
الجليل يقول :

— لقد جئت فى الوقت المناسب ، بعد ثلاث دقائق ونصف سيقع
زلزال ، مجرد هزة أرضية متوسطة لن تحدث أضرارا ، وعندما
تنتهى تلك الهزة الأرضية ، سوف أعرف جواب سؤال الأخير .

لم أكن أملك الا أن أحبس أنفاسى وأنتظر ، كانت الساعة الكهربائية
معلقة على ارتفاع بضعة أقدام ، وعقرب الثوانى يتحرك على صفحتها بانتظام
وثبات ، دقيقة ، ٠٠٠٠ دقيقتان ، ٠٠٠٠ ثلاث دقائق ، ٠٠٠٠ وفى ذهول
رحنا نرقب البريق الذى بدأ يغمر (أخبرنا) ، بينما أخذت التسقوق
تتسع ، وتغير لون الكرة سريعا فتحول البلاتين الى ذهب ٠٠٠٠ !!

خمس عشرة ثانية ، ٠٠٠ عشرون ثانية ، ٠٠٠ خمس وعشرون
ثانية ، ٠٠٠ وعند الضربة التى تشير الى الثانية الثلاثين تماما ، اهتزت
الأرض تحت أقدامنا ، وفى نفس اللحظة انفجرت الكرة الى زحام من
الشظايا تناثرت على الأرض ، ومن خلال حطامها سمعنا صوتا عاليا مفزعا
يهتف :

— أنا أعرف ما بعد الموت .

الضوء فوق البحيرة

بقلم : شامان • ناهاي

كان الرجل المسن قد أتى الى (سريناجار) للراحة والاستجمام ، كان كل شيء في حياته خشنا ومرهقا ، زواجه ، تربية أولاده ، عمله ، لم ينته أى شيء من هذا كما أراد له أن ينتهى ، لقد صنع لنفسه شهرة لا بأس بها كرسام ٥٥ فلوحاته غزت كثيرا من المعارض والبيوت ، ولجان التخطيط للفنون لم ننس ان تستعين بخبرته ، ولكن !! من ذا الذى يهتم اليوم بالسمعة الطيبة ؟ أو بأى نوع آخر من السمعة ؟ هل هو الآن راض عن الحياة التى عاشها ؟ هل كانت حياة طيبة ؟ ان الحياة الطيبة هى تلك التى تشعرك بالرضا ، هل كان راضيا عن السنين التى ولت ؟ أم كانت تلك السنون كومة متراكمة مهمة من الذكريات ؟!

لقد جاء الى هنا وحده ، استأجر كوخا فى (هازراتبال) يطل على بحيرة (دال) ، وفى الصباح الباكر قام بجولة لا تزيد عن ميل واحد على قدميه حول البحيرة ، كان - بعدد السنين - عجوزا ، لكن جسده محتفظ بنشاطه وبارادة الشباب ، كثيرا ما كان يلهث أثناء جريه على شاطئ البحيرة ، يظن انه سيسقط وينهار ، أو يصاب بنوبة قلبية ، لكنه كان يطرد هذه الخواطر الثقيلة جانبا ويواصل الجرى ، انه أفضل لك أن تسقط لاهثا وتموت ، من أن تموت موتا بطيئا ، لم تكن تلك الخواطر تلازمه سوى لحظات خاطفة ، لم تكن الا اشفاقا منه على نفسه ، أو حسرة طارئة تشعل فى نفسه الغضب .

كان فى أحسن حالاته الصحية ، ظل دمه يتدفق فى عروقه كأنه شاب حديث التخرج ، وفى كل انحناءة مع جسر البحيرة كان يحلم بمشهمه مثير أو معجزة تحطم ركود الحياة ٥٥ حتى لو تمخض حلمه عن جنى أو شبح .

كان كوخه يقع على حدود حديقة (ناسيم باج) التى تحيط بها الأشجار ، البعض يقولون ان هناك تسعمائة شجرة من أشجار « الشينار »

فى تلك الحديقة ، وان الذى غرس هذه الأشجار هو السلطان أكبر ، أوجاهانجير ، أو لعله شاه جاهان ، افتتن الرجل بهذه الروايات فقد جعلته يحس بأنه يواكب تاريخ الهند القديم ، وكانت هناك أشجار أخرى فى الوادى ، صنوبر وكافور وغيرهما كثير ، لكن أشجار « الشينار » هى التى كانت بالغة الفتنة والشموخ .

نظر الى تلك الأشجار ، كانت ضخمة ومتقاربة ، ذات جذوع ثقيلة وأغصان عريضة ذات أوراق تشبه أوراق شجر القيقب ماعدا تلك التى كانت أكبر قليلا ، كانت أوراقا طرية رقيقة الملمس ، بكل منها خمس ثنيات تشبه أصابع اليد ، وبسحر العادة أراد الرجل أن يستخدم إحدى تلك الأوراق كلوحة صغيرة يرسم عليها شيئا ، لكن لونها الأخضر الفاتن جعله يتردد ، لا ، لم يعد لديه بقية من حب لأى لون من ألوان العالم ، كل الألوان فُسلت فى أن تطفىء الحريق الذى ظل مشتعلًا حتى التهمه تماما ، اطلالات الفجر ، وداعات الغروب ، قوس قزح يعبر السماء الواسعة ، الحقول المثلثة بالمحاصيل ، النساء الطازجات المستحبات على النهر بجواردهن الذهبية ، الطيور والوحوش بألوانها المعربة ، كل هذه قد رسمها بألوانها وأطيافها وظلالها ، دون أن يحس بالرضا ، الخضرة ، لون الحشائش ، الأرض التى نما فى حضنها ، والتى سوف يعود إليها يوما بلا حراك ، كل شيء يبعث على الاستخفاف !! كم بحث عن ألوان أخرى ، لكن كل البقاى أقفرت الا من هذه الألوان !! وحتى خياله لم يعد يستطيع أن يخلق لونا واحدا جديدا من كل صبغات الأرض ، لم يعد يبتكر أو يخترع !! ترى !! هل يعنى هذا انه انتهى كفنان ؟! أين يجب أن يوجد الفنان عندما تهجره طاقة الابداع ؟! هل يظل مستحقا لأن يحيا ؟!

لكنه استطاع أن يطوح بهذه الفكرة السوداء بعيدا ويستمر فى الجرى والاهتزاز حتى بلغ موقع (المدينة) الى (هازراتبال) .

جرى نحو سرداب الشيخ عبد الله .. لكنه عاد فاستخدم الطريق الرئيسية نحو مدينة (تالبال) وهى الطريق التى تحاذى البحيرة الى يساره ، انه لم يأت الى هنا ليستريح ، بل جاء لنفس الهدف المعذب ، ليظعم خياله المفقّر بزاد جديد .

— هل هناك أية أشباح فى (ناسيم باج) يا عبد الله ؟

هكذا سأل الطبيب الذى يعد له الطعام فى الكوخ . . .

— أشباح ؟ نعم يا سيدى !! ان (ناسيم باج) مسكونة بالأشباح !!

ان هناك شبحا فى كل شجرة يا سيدى .

نظر الرجل الى عبد الله ، الى لحيته الأنيقة السمراء التي فرشت
ظلالها على وجهه الأبيض القرمزى مثل كل أهل كشمير ، لكن عبد الله
كان بالغ الوسامة ، طويلا ممتلئا متواضعا وذا أسنان لامعة دقيقة ، هل
يحاول عبد الله الطيب أن يخيفه !!

انفجر الرجل يقهقه وهو يقول :

— لكنى قضيت هنا أسبوعا كاملا ولم أر أشباحا !!

— ولا أنا يا سيدي .

ثم شبك يديه خلف ظهره واستطرد :

— لقد عملت هنا أكثر من عامين كطباخ ، ان هذا يا سيدي
يعتمد على ...

— يعتمد على ماذا ؟

— على ما اذا كانت الأشباح ترغب فى أن ترى أم لا .

— كيف هذا يا عبد الله ؟ ان الأشباح دائما تحب أن ترى .

— ولكن يا سيدي ... نحن نتحكم فى حياتنا ، وهى أيضا تتحكم
فى حياتها ، فلو كانت الأشباح سعيدة فيما بينها ... فلماذا تهجر عالمها
وتأتى لتضايقنا ؟

ضحك الرجل كثيرا ، بينما ظل عبد الله جامد النظرات .

— وهل هذا الكوخ أيضا مسكون بالأشباح ؟

— لست أدري يا سيدي .

وبالفريزة تفحص الرجل الغرفة التى يقفان فيها ، كانت غرفة
للمعيشة والطعام ، بمنضدة صغيرة وقليل من المقاعد ، وبجوارها مباشرة
غرفة المطبخ ، ثم غرفة النوم بحمام محشور فى أحد الأركان .

سأل الرجل وهو يخفى وجهه عن عبد الله :

— وعلى فرض وجود العفاريت ، فان الحجرتين أكثر أمنا للنوم ؟

ولاحظ عبد الله ان الرجل يضحك فاجاب :

— ان الأمر لا يتطلب الضحك يا سيدي ، ولو كان هناك مكان
واحد .

تردد فى الحديث قليلا ثم استطرده ..

- مكان واحد يجد الناس فيه سعادة عجيبة ..

- أين يا عبد الله ؟

- فى (تشار شبنارى) يا سيدى !! فى ظلال واحدة من تلك المجموعة الرباعية من المنارات المكسوة بالزهور .

وأشار نحو النافذة ، سار الرجل على أطراف أصابعه .. كمن يخشى أن يفقد سرا يوشك أن ينكشف ، نظر الى خارج النافذة نحو ذلك الجزء من بحيرة (دال) والمشهور هناك باسم (بودال) فرأى الجبال الثلاثة العالية التى تنحدر نحو مياه البحيرة ، كان الوقت نحو النامنة صباحا ، الشمس ساطعة ، وسحابة بخار معلقة فوق سطح المياه البنفسجية ، وفى وسط البخار الشفاف رأى الرجل الجزيرة التى يشير اليها عبد الله بأصبعه ، لقد رأى هذه الجزيرة منذ أول يوم له فى (سريناجار) ، ولقد ذكرته بالقرط البديع الذى يتدلى من أنف المرأة الجميلة ، فالجزيرة أيضا قرط بديع يزين البحيرة الفاتنة ، لكنه لم ينتبه من قبل الى أنها جزيرة مربعة تماما ، وهناك أربع مجموعات من المنارات عند كل ركن من أركانها ، منتصبة هناك كالمآذن ، ومعطية للجزيرة اسمها المميز ، وكان هناك أيضا مبنى عند طرف الجزيرة الأيسر ، وبجواره ثلاث مظلات حجرية ، تصلح لأن يجلس تحتها ثلاثة أزواج من العشاق ، ثم هناك خضرة بملء المكان ، وشجيرات ونباتات بلا عدد ..

ظل الرجل يتفحص الجزيرة قبل أن يستدير الى عبد الله متسائلا :

- وهل هناك أشباح على هذه الجزيرة أيضا ؟

أجاب عبد الله متجهما :

- أنا سعيدة الحظ يا سيدى أنى لم أر شيئا ، لكن آخرين كبيرين قد رأوا هناك ضوءا يشق ظلام الليل .

- وماذا أيضا ؟

- لا أعرف يا سيدى ، لا أحد قد ذهب الى هناك ليرى أكثر من هذا ، لكن الكثيرين رأوا الضوء ، الكل يعرف أن الجزيرة مسكونة ، ولقد سمع الناس أصواتا آتية من هناك ، ان هناك يا سيدى حكايات كثيرة ...

وتوقف عبد الله عن الحديث قليلا ثم قال :

— هل أذهب الى السوق يا سيدى ؟ ماذا تريد أن أطبخ لك اليوم ؟

هل أعد لك (السخنى) ؟



كان الرجل يجيد التجديف ، وقد أحب تلك القوارب الكشميرية التى يسمى الواحد منها بلغة كشمير (شيكارا) ، أحبها لسبب غامض ينأرجح بين حبه للحياة وحبه للموت ، لكن تلك (الشيكارات) — أيا كان السبب — استولت على عقله وهى تنطلق عبر البحيرة .. زوارق مستطيلة ضيقة متناثرة ، تظل مقدماتها مرتفعة فوق الماء بوصات قليلة ، تتحرك تحركا كاذبا من الجانب الذى يجلس فوقه ، توشك الشيكارا وهى تغير اتجاهها أن تنقلب وتنكفى فى الماء ، لكنها تنحنى وتنفوس وتنطلق ثانية كالسهم ، واثقة الانطلاق فى الاتجاه الذى يريده قائدها ، أن تلك الزوارق الواسعة النخيلة ، التى تعود أن يجدف بها طيلة عشرات السنين فى مياه ولايته البعيدة .. كانت أكثر أناقة ورحابة من هذه الشيكارا ، لكنها كانت تنقلب على الرياح بصعوبة لتتقدم الى الأمام !! لكنه ما أن يجلس عند مؤخرة هذه الشيكارا ، ويشق العامل بمجدافيه الماء وثعابين السمك والحيات ، حتى تندفع الشيكارا فى نعومة وسهولة الى الأمام ، بينما مقدمتها ترتفع وتغوص تباعا ، فى زهو ورشاقة ، مثل قبيرة فرحة تحوم فى الفضاء .



زافق عبد الله الى السوق ، واستمتع بمساومة عبد الله العنيدة لاستئجار شيكارا ، وأخيرا قال له :

— دعنى أستأجرها دون معونتك يا عبد الله ، ثم انى أريد أن أستأجرها بلا عامل التجديف ..

— لماذا يا سيدى ؟

— لأنى أريد أن أتنزه بها وحدى فى البحيرة .

— سوف يغشونك يا سيدى !! انك لا تعرف لغتهم ولا ساوكلهم !!

— حسنا ، ولكنى أريدهم أن يغشونى ...

هرش عبد الله رأسه وقال :

— فى هذه الحالة ، لن تسألنى ثانية أن أساوم فى أسعار الطعام ؟

— على الاطلاق ، أنا دائما كنت أغش خلسة — لكننى اليوم أحب
أن أسرق جهرا •

كان عيد الله يتخابث ليجير الرجل ، ضربه الرجل ضربة رقيقة على
كتفه وابتسم ••

لم تكن الجزيرة أفضل مما بدت له من بعيد ، انه يراها الآن منل
هدية خرساء أهديت الى أحد الملوك •• ومحافظة على جمالها الوحشى
الصامت بعد أن حولها الملك الى ملجأ شبه مهجور ، كان البناء الذى
هناك — فى عيون أهل المدينة — محاولة باهاء لاقامة مطعم فخم على هذه
الصورة هناك ، معتنى به كل هذه العناية من أجل عيون الخلاء والتأملات ،
أن تقديم الشاي والوجبات الخفيفة فقط لا يتناغم مع هذا البناء العتيق
المعقد ، ولا مع المظلات والحواجز الحجرية التى تحيط بالجزيرة ، ولا مع
الحديقة المنسقة ذات النافورة • ان قوالب الطوب التى استخدمت فى
هذا البناء أصغر مما يمكن أن يتخيله انسان ، محمرة شاحبة ، ومتماسكة
مع بعضها بالملاط ، وهناك مشروع تخطيط قديم بالطوب اللبن لحديقة
زهور ، بينما نوافذ المطعم مزججة لامعة ، أحس الرجل بسعادة غامضة
لأن هذا المجهود كله وحيد فى الخلاء ، رأى الحجرات عارية والأثاث مهشما
خلف أبواب مغلقة ، وتمنى لو أن اعصارا غاضبا هب فدمر كل ما هناك ،
البناء والنافورة الصدئة ، والحديقة المهملة محزونة العشب والزهر ،
لا بد أن السلطات المعنية بالجزيرة ترسل الى هنا بمن يفعل شيئا من وقت
لآخر ، فى هذا الممر المزروع بين الحشائش والأدغال •

بحث الرجل عن قبور فى الجزيرة فلم يجد الا الصمت والخلاء
والرياح •

كانت الشيكارات الأخرى تحمل السائحين من (هازرانبال) الى
حدائق (نيشات) أو (شاليمار) ، ورغم أن هناك مرسى بالجزيرة فإن
أحدا لم يهتم بالتوقف فيه ، الى أن رأى شيكارا تتوقف ببعض السواح ،
ظل عمال النجديف فوق سطح الشيكارا ، بينما هبط السائحون وراحوا
يلتقطون لهم الصور ، ثم رست شيكارا أخرى باثنين من السائحين
الأجانب ، قال أحدهما للرجل (هاللو) ، لكن الرجل نظر الى الجهة
الأخرى ولم يجب ، فانصرف السائحان الى زورقهما واختفيا فى البحيرة •

راح الرجل يتجول فى الجزيرة ، رأى طحالب نامية وسط وسائد الزهر بين فجوات الطوب اللبن ، وفجأة تغيرت نظرتة الى الخضرة ، لم يعد يراها لونا بلا معنى ، وانتشر نبات الجنيات بأوراقه البنفسجية والزرقاء الزاهية على أسطح المظلات الحجرية ، خالقا من تلك المظلات قصورا خرافية للسعادة .

وجد الرجل نفسه ينادى :

- هل هناك أحد ؟

وشعر بالأسى لأنه لم يسمع لصوته صدى ، فكر أن يعتلى احدى المظلات ويصرخ بملء رئتيه ، وفعل ، لكنه لم يتلق صدى من أى اتجاه ، وليس حوله همس ولا هسيس ، دار حول المنارات الأربع ، ومشى فوق قوالب الطوب المتناثرة ، وقريبا من النافورة نادى بصوت رقيق :

- هل هناك أحد ؟

لكنه أيضا لم يتلق جوابا .

جدف بقاربه متعبا نحو الطرف البعيد من البحيرة ، بمنطقتين من البحيرة كانت المياه فيهما مرهقة ضعيفة الجريان ، ونبات التبغ النامى فى البحيرة كان متعفنا ، لكن الهواء الجبلى الطازج .. كان يحمل رائحة العفن تباعا ويقذف بها فى المدى ، واستولت عليه الدهشة اذ لم تكن هناك رائحة فى جزء ثالث من البحيرة تتوسطه جزيرة صغيرة بأربع منارات أيضا ، منتصبة كالحراس الديدبان فى أركانها الأربعة ...

واستوقف قاربا يحمل امرأة فى زحام الحشائش ..

سألها :

- هل هذه الجزيرة مسكونة أيضا ؟

كانت المرأة ذابلة فى مثل سنه ، قالت :

- مسكونة ؟ ماذا تعنى ؟

وفتحت فمها عن لثة مشوهة بلا أسنان ، قال الرجل :

- لا عليك ، لا يهم .

وأهملها ، أحس بلمس شريحة من النشوة ، هو على الأقل لديه أسنان ، وليس ذابلا مثلها ...

وانتبه الى قوارب الباعة تقترب ، كان فى أولها رجل يبيع السكاكين ، اقترب البائع بقاربه أكثر حتى تلامس القاربان ، كان القارب متجرا محملا بأنواع عديدة من السكاكين ، بعضها للنحت ، وبعضها كبير كالسيوف ، وأخرى دقيقة مدببة مثل الرماح ، وجلس البائع فى وسط قاربه كأنه مالك امبراطورية واسعة ، أمامه صندوق النقود ، وبجانبه دفاتر حسابات عديدة مربوطة برباط أحمر ، وإلى جانبه الآخر (النارجيلة) ، متكئا بظهره على وسادة دسمة ، واحدى ساقيه تمتطى الأخرى ، بينما هناك شخص آخر يمسك بالمجداف تدل هيئته على أنه خادم لدى التاجر .

لم ترق للرجل بضاعة السكاكين التى راح يلوح له بها البائع حتى ضاعت توسلاته سدى ، انبسطت نصال السكاكين تحت الشمس فى بهاء عظيم ، امتصت النصال أشعة الشمس ولم تعكسها ، ولم يلتفت الرجل كثيرا الى ألوانها البيضاء والوردية اللامعة . .

أوماً البائع لخدمه فابتعد بهما القارب ، لكنه قبل أن يبتعد كثيرا سأل الرجل ساخرا :

— أين العامل الذى يقود لك القارب يا سيدى ؟ أم انك تحب توفير المال ؟

ابتلع الرجل الالهانة فى هدوء ابتعادا عن المعارك الصغيرة ، وأجاب فى اقتضاب .

— نعم ، أحب توفير المال .

كان قارب التجارة الثانى يعرض أحجارا كريمة بكل الألوان أبهى من كل ما رأى الرجل من مجوهرات ، مجموعات الأحجار مرصوفة رأسيا مرة وأفقيا مرة أخرى ، لكن الرجل لم يطل إليها النظر ، فقد مل كل الألوان .

ووجد نفسه يسأل البائع .

— هل لديك حجر لا لون له ؟

— الماس .

وراح البائع يفض الرباط عن ربطة أحجار الماس ، لكنها بدت فى عينى الرجل مثل السكاكين ، رغم كل فتنتها فقد هز رأسه للبائع .

كان القارب الثالث يبيع أكلات خفيفة ، اشترى منها الرجل
(سندوتشا) وزجاجة مياه غازية ، وسأل البائع مشيرا الى بعيد :

— ما هذا الذى هناك ؟

قال البائع :

— هذا ياسيدى (بارىما هال) انه دير قديم للرهبان •



وهو يفكر فى بارىما هال ، وفى أماكن العبادة فى الخلاء المهجور
استسلم للنوم فوق سطح الشيكارا ، ظل القارب طافيا به حتى استيقظ
من النوم ، وجد الوقت يقترب من المساء ، النسيم أوشكت على الاختفاء ،
شمس أكتوبر ساطعة الصفاء المتباطئة الخادعة ، التى ترفض أن تطيل
تدفئة الأرض ، بل تهجرها فجأة ، ملقية عليها بالسلام والعواصف
والغبار •

وفىما تبقى من ضوء الشمس الهاربة ، اقتربت شيكارا بها طفلان
والتصقت بقارب الرجل ، كانت شيكارا هزيلة فقيرة بالنسبة لغيرها ،
مجرد سطح خشبي صغير بلا مظلة ولا مهمات ، كان الطفلان ولدا وبنطا
ما بين سن الثامنة والعاشرة ، كل منهما يرتدى جلبابا وشالا رخيصين ،
فوق رأس الولد طاقية ريفية رقيقة ، هما بالتأكد فقيران مثل قاربيهما
الصغير ، لكن خدودهما كانت فى حمرة التفاح •

عرضت الطفلة على الرجل برعما من تلك البراعم التى تنمو بالآلاف
فى نفس البحيرة ، ودون أن تقول شيئا بدأت الطفلة تنزع الأوراق
الملتصقة بالبرعم حتى ظهرت من تحتها زهرة اللوتس ، وكرر الولد
إيماءة العرض التى أومات بها الطفلة ، عارضا على الرجل برعما آخر من
براعم اللوتس •

كانت الزهرتان صفراوين ذابلتين بلون المساء ، لكن الرجل
لم يمل النظر إليهما ، نسي ضيقه بالألوان ، ونسى كل شيء الا أن يراقب
الطفلين ، كانا جميلين جمالا مذهلا ، وفقيرين فقرا مذهلا ، ترى هل هما
فاقدان النطق والسمع ؟! قال بصوت خافت وعيناه مصوبتان الى
شفاههما :

— من أين أتيتما بهذه الزهور ؟

ضحك كلاهما بفتور •• وقال الولد :

— من البحيرة •

وقالت الطفلة للولد بابتسامة معاتبة :

— ومن أين أيضا ؟

تلاحقت أنفاس الرجل ، وفي صمت تناول الزهرتين ، ومد يده بورقة ذات خمس روبيات . امتلأت عيون الطفلين بالدهشة ، قال الولد في أسف وخوف :

— نحن لانملك الباقي .

قال الرجل :

— لست أريد باقيا ، احتفظ بالخمس روبيات .

شكره الولد بتحية من يده ، وفي لحظات كان الطفلان قد ابتعدا بقاربهما نحو سائح يركب قاربا آخر ، راقبهما الرجل باهتمام عميق ، كانت الطفلة تجلس عند مؤخرة القارب ، والطفل عند المقدمة الضيقة المدببة ، تولت الطفلة القيادة من الخلف ، دون التفات الى الوراء كانت تجدف مع الولد في ألفة واتقان ، بخفة وثقة كانت الأذرع النحيلة الأربع تضرب بالمجاديف ماء البحيرة ، بينما الطفلان يتبادلان النصائح :

— أمسك المجداف بكلتا يديك .

— ادفع الماء بقوة الى الخلف .

— اتجهى بنا يسارا .

— والآن الى اليمين .

وعندما كانا يتبادلان المواقع ، كان كل منهما يسرع في خفة فيأخذ مكان الآخر في رتابة وهدوء ، وظل الرجل يرقب ضرباتهما المجدايفية الصغيرة ، ولون وجهيهما الذي يزداد بياضا ونصاعة كلما تزايدت برودة المساء .

ووصل الرجل الى أكثر مناطق البحيرة ازدحاما ، حيث الزوارق المزينة بالزهور تميل عائدة بالأجانب عشاق الخيال ، وبيع الهنود الغارقين أيضا في الأوهام والرؤى ، وبدأ الرجل يقرأ الأسماء المكتوبة على جوانب الزوارق ، مثل « باكنجهام » ، « كوين اليزابيث » ، مع ما فى كل منهما من أخطاء الاملاء ، كانت كل الزوارق آنذاك محاصرة بقوارب الباعة . . والباعة يعرضون بضائعهم بكل ما أوتوا من نشاط واغراء بالمساومة .

وعندما كان الرجل يستقل عربة خاصة عائدا الى هازراتبال عبر شوارع سريناجار ، كان غارق التفكير فى الطفلين بائعى اللوتس ، بقاريهما العارى الفقير ، باحثا عنهما بخياله وسط البحيرة بين زحام القوارب .

ومرت ثلاثة أسابيع . . لم ير الرجل أى ضوء على الجزيرة ، واقترب موعد سفره من كشمير فانتابه القلق ، كيف يترك هذا المكان الملىء بالنشاط ويعود الى الحياة الخاملة ؟! انفجر بالتبرم فراح يتجول كل يوم ويمشى اضعاف ما كان يفعل .

قريبا منه كانت جامعة (سريناجار) ، طالما تجول فى هذه المنطقة من (ناسيم باج) التى تضم (كلية المقعدين) ، هكذا شاع اسم الكلية فى أنحاء كشمير ، هنا فى داخل أسوار الكلية يستضاف زوارها الأكاديميون ، لكنهم هذا الموسم جاءوا بأكثبر من طاقة الاستضافة ، فأنزلوهم فى الثكنات المحيطة المقسمة الى غرف قبيحة ، لم يهتم الرجل بذلك المكان ومن فيه وأسرع الى بعيد .

وقعت عيناه على (كلية المقعدين) من بعيد ، وعلى الطلبة الشبان اليانعين الذين تصورهم غير راضين عن المكان ، بنظرة خاطفة اكتشف أنهم خبراء فى موضوعات منحرفة ، متأنقون مأظنون ، وجوههم مكسوة بتعبيرات غريبة متلاثلة ، ذوو أحجام ضخمة . لكن حركتهم الفاترة كانت اشارة كافية الى رغباتهم ، سأل الرجل واحدا منهم كان يزحم الطريق :

— هل أنت خبير ياسيدى ؟

كان هذا الواحد ثقيلأ أصلع ، ومتأنقا مخنثا مثل رفاقه المتناثرين ، مضافا الى ذلك آثار الجدرى على ذقنه الرخوة ، أجاب وابتهامته اللينة تلتهم وجهه :

— نعم ، أنا محاضر فى الكيمياء ، من مدينة بنارس .

تخلص الرجل من أدبه وفضوله ، كان يود أن يقول انه كان يظن أن بنارس المدينة المقدسة لدى الهندوس مشهورة بشيئين فقط ، المصلحين والمومسات ، لكنه لم يستطع أن يكون فظسا الى هذا الحد ، وبينما ظل الخبير واقفا فى احتياله بتأنقه الشديد ، قال الرجل :

— لم أكن أعرف أن فى بنارس كلية عظيمة للكيمياء .

استرد الخبير جرأته وقال :

— بل هي أعظم كلية للكيمياء في الهند كلها .

خطا الرجل مقتربا من الخبير ، لكنه تردد وتقاعس عن الاقتراب ، لا فائدة الآن من صراع العقل والمنطق ، كل سهامه أصابها الكلل . ولا سلاح من أسلحته عاد اليه بنصر أو فخار ، في دهشة مفاجئة نظر الرجل نحو الجزيرة ، أين الأشباح ؟ لماذا لم تظهر حتى الآن ؟ لقد ذرع (ناسيم باج) في كل ساعات اليرم ؟

في ذلك المساء أمطرت السماء مطرا خفيفا ، ومن الأوراق ذات الخمس أصابع صدر حفيف غريب ، مثل حفيف آلاف الأيدي التي تقوم بالتمثيل فوق رأسه تمثيلا صامتا ، وتساقطت قطرات الماء من الأشجار مثل حبات الثلج ، وتطايرت الأوراق المتساقطة عاليا مثل طائرات الأطفال ، ثم انقلبت متدهورة عائدة الى الأرض ، وبومات عديدة راحت تنعق بأصوات مبحوحة مثل أصوات الآلات الصدئة ، وتخيل الرجل أن الأشجار تحدث الى بعضها ، فقد كانت كل شجرة تميل على رفيقتها ، ثم تبتعد عنها عندما تسمع عواء الريح من بعيد ، داخله يقين في ذلك المساء بأن تلك الطبيعة الخارقة على وشك أن تتسلم أمور العالم ، لكن شيئا لم يحدث ، حتى بعد أن عاد الى كوخه مبتلا وذاهلا ومكتنبا .

كان تأثير تلك الأحداث غريبا عليه ، ما هذا الشوق المدمر الذي انتابه الى طبيعة خارقة ؟! لقد كان رجلا عمليا ، يسخر من مجرد ذكر ما وراء الطبيعة !! رغم أنه هندوسي فإن أبويه لم يرغباه يوما على دخول المعبد ، ومع الأيام نسي تماما ماضيه مع الأساطير !! وحتى ذلك اليوم لم يكن قد لجأ الى أحد ليقرا له الطالع ، ولا قدم كفه لمنجم ، ولا ارتدى حجابا ، ذات مرة فقط في إحدى حالات سروره سمح لنفسه بارتداء حجاب يضم سنة نمر حول رقبته ، وكان مفروضا أن نطرد سنة النمر العين الشريرة . . لكنه لا يتذكر عين من كان يريد ان يحمي نفسه منها !! كان المفروض أن يخفي الحجاب تحت قميصه ، لكنه بعد أن أخذ حماما تسميها تماما ، تذكر سنة النمر فقط بعد أن ارتدى كل ملابسه ، ومرة أو مرتين أعاد خلع ملابسه بعد الحمام ليعلق سنة النمر في رقبته تحت القميص . . لكن المجهود كان شاقا فنبت ارتداء الحجاب تماما ، ونبت مراقبة سلوك العين الشريرة معه بعد ذلك ، لعل هذا هو السبب في أن كل حياته كانت مرة المذاق !! ترى هل كان مخطئا في انحيازه لمنطق العقل ؟!

كان قد وصله خطاب من زوجته منذ عدة أيام ، لكن الخطاب كان ما يزال مغلقا فوق مكتبه !! وخطاب آخر من ابنته لم يفتح أيضا !! وخطاب من ابنه المتزوج الذي لم يكتب اليه من قبل !!

نعم ، فى هذه المرة أراد الرجل ان يواجه غير المعقول ، وأن يصافح
السحر !! نأق الى اجتياز الأبواب السرية ، حتى لو كان ثمن ذلك هو
الهلك !! بل انه اشتاق الى الهلاك فى الطريق الى المجهول !! لكنه لم يتلقى
بعد أية أسارة تناديه الى هناك ..

توقف المطر .. لكن الماء ظل يتساقط على سطح الكوخ ، بعض
المنسارات ، كانت أعلى من المبنى الذى هنالك !! و .. واسمجر حفيف
أوراق الشجر ، وعواء الريح حتى انتهى من عشمائه ، وانتهى عبد الله من
رفع الاطباق وذهب لينام فى المطبخ ، ولم يهتم الرجل بالنظر من النافذة
فقد بدا ذلك فى نظره بلا فائدة ، لكنه أخيرا استجاب لشوقه وعبر ببصره
النافذة

أوه !! كان الضوء هناك فوق الجزيرة !! ضوءا ثابتا يتلأأ فى المركز
بين مجموعة المنارات الرباعية !!؟ نظر فى ساعته ، كانت الحادية عشرة ،
ازدادت ضربات قلبه وهو يجذب مزلاج الباب وينقلت جريا بلا صوت
لكيلا يوقظ عبد الله ، اندفع على الطريق الدائرية عبر (ناسيم باج) الى
المعدية ، وكان الطريق الى هناك غير ممهد بشكل طيب ، وفى بعض الأماكن
لم يكن هناك طريق للسير على الاطلاق !! لكنه استمر مندفعا فى الجرى
عبر مآزق التكنات حول كلية المقعدين ، كان يخشى أن يقابل من يوقفه عن
بلوغ الهدف رغم يقينه بأن أحدا لن يقابله ، من ممر صغير عند نهاية
التكنات وجد طريقا ، انحدر عليها الى الباب الدوار لا يتسع للمرور شخص
واحد ، عبره الى مكتب البريد حيث وجد بوابة تؤدي الى طريق (سريناجار) ،
وبعد قليل واجه بوابة أخرى تؤدي الى الحديقة التى تضم ضريح الشيخ
عبد الله والننى تجاور البحيرة ، دار حولها ، من لحظة لأخرى كان يمر
بقوارب محطمة ترتفع بعض أجزائها فوق الماء ، ربما كانت ملكا للذين
يأتون من القرى القريبة ليبيعوا بضاعتهم للسائحين !! كيف يمكن أن
يستأجر قاربا فى تلك الساعة الحرافية من الليل ؟! تتمم بالصلاة عندما
رأى قاربا ملقى بجوار الضريح وعلى سطحه المجدافان ، كلفه انزال القارب
الى الماء بعض الكدمات فى يديه لكنه لم يهتم بها ، ولم يهتم بدقات قلبه
المضطرب ، المهم الآن أن يتقدم بالقارب فى مياه البحيرة ، ووجد نفسه
يصلى مرة أخرى لكيلا يهتم أحد غيره بما هناك فى الجزيرة

كان سطح البحيرة مثل لوحة فضية قهرها السكون ، وهناك قمر صغير
جدا فى السماء يذرف شعاعا خافتا ، بدت معه اللوحة الفضية أكثر انساعا
وعمقا ووحشة وكآبة ، أحس بجسمه يتصبب عرقا تحت صفعات الريح ،
لكنه استمر يضرب الماء بكل قوته ، لعله يصل الى هناك قبل أن يخفت

(الضوء هناك أو يختفى ، أحس بالعرق يتزايد على ظهره وتحت ابطيه ، وبالبرد يتزايد أيضا ، كان يرتدى (باوفر) وسروالا من (الجينز) ، لسنوات طويلة كان يستخدم نظارة للقراءة رغم أن عينية سليمتان ، طالما غاظنه صديقاته بقولهن ان كل جاذبيته على جسده ، وفي هاتين العينين الواسعتين بما فى حدقتيهما من سواد جذاب ، وفى شعره الناعم الذى ورثه لأبنائه ، ان عينيه الآن تغطيهما سحابة من رذاذ النسمات الباردة ، لكن بربشاته الدائبة جعلت الجزيرة لا تغيب عن بصره . . .

واقتربت به ضربات المجدف من المكان ، كان الضوء ما يزال هناك ، يحتمل ان يكون هناك نار خلف النباتات والمنارات ، أصبح على بعد خمسين ياردة ، على بعد عشرين ، قاربه الصغير يصطدم بالشاطئ بصوت مكنوم ، وفى هدأة الليل كان الصوت المكتوم يشبه انفجارا ، خاف الرجل أن تفزع الأرواح ، لابد انها تكره المتطفلين فتختفى ، لم يكن يعرف تماما ماذا يتوقع أن يجد الآن فى الجزيرة ، للحظات عابرة طفت فى عقله صور الأشباح والعمالقة التى فكر فيها أو قرأ عنها ، هل هى قبيحة أم جميلة ؟ طويلة أم قصيرة ؟ ذكور أم اناث ؟ ملوك أو أوغاد ؟ ملكات أم خادومات ؟ انه متأهب لأن ينقبأها على أية حالة ، تلك الكائنات غير الطبيعية الآتية من عالم آخر هى أمله الوحيد ، لكى يتجدد كإنسان وكرسام ، ورمى بنفسه على أرض الجزيرة ساعيا الى المشهد الذى يدور هناك ، انه مستعد أن يلقي بنفسه فى داخل المشهد ، حتى لو تحول معه الى تراب مسحوق ملون بواسطة تلك القوى الغريبة ، طالما ناجى هذه الأشباح برشته فى رقتها وفى صخبها !! لكن الأشباح التى يقترب من أضوائها كانت غريبة السكون ، لم يسمع من حولها الا هسهسات نار متواصلة .

من خلف إحدى مجموعات المنارات تطلع نحو النافورة ، لم يستطع أن يصدق ما رأى ، كانت هناك نار بالتأكيد ، نار صريحة قريبة جدا من قاعدة النافورة ، نار تشتد وترتفع بينما أوراق الشجر والأغصان تطلق وهى تحترق ، وفى زحام النار المشوش المتراكم يكن هناك أرواح ، كان هناك طفلان صغيران ، نفس الطفلين اللذين باعاه زهرات اللوتس منذ أيام ، فى نفس ملابسهما الفقيرة ، لكنها كانت مبتلة ، وكانا يوحوان من البرد ويبيكان ، اندفع الرجل اليهما على الفور ، استمع الى القصة على لسان الولد ، واستمرت الطفلة فى البكاء والوحوة .

كانا يعيشان فى (تلبال) ، وتعودا ملاحقة قوارب السائحين فى الجزء النائى من البحيرة ، ساعنين كل يوم ، وفى طريق عودتهما اليوم الى تلبال فاجأهما المطر الثقيل ، وتعرض زورقهما لرشح الماء من ثقب لم يلاحظاه

من قبل ، وبدأ الزورق يغوص ، فقفزا منه الى الماء ، وبهشقة بالغة استطاعا أن يسبحا الى المنارة قبل أن يقعا فى شرك الأعشاب المتزاحمة فوق سطح البحيرة .



خلع الرجل (البلوفر) ووضع الطفلين بداخله ، وراح يوسع فتحة (البلوفر) العليا حتى استطاع ان يخلق طريقا لرأسيهما تطلان منه .

— كيف اشعلتما النار ؟

أجاب الولد :

— نحن دائما نحمل ثقابا فى علبة محكمة من الصاج .

— والأغصان المبتلة ؟

— وجدنا أغصانا جافة فى خفاء المباني .

كان الطفلان يرتعدان بقسوة ، قربيهما الرجل من النار واقترب معهما ، ثم ما لبث ان احنواهما بين صدره وذراعيه .

— هل كان لديكما أمل فى النجاة ؟

قالت الطفلة بصوت باك نحيل ممطوط :

— لا يا سيدي ان الجزيرة مسكونة .

— كيف عرفت هذا ؟

وراحا يحكيان له عن الضوء والأشباح سألهما :

— اذن كنتما خائفين .

— كنا نشعر بالرعب ، وعندما رأيناك تقترب طنناك واحدا من ...

منهم .

وربت الرجل رأسيهما وقال :

— ليس هناك أشباح ، ان آخرين مثلكما كانت سفنهم تتحطم فيلجأون الى الجزيرة ، ويوقدون النار ويتكلمون لا تخافا مرة أخرى من الاشباح ، وسوف آخذكما الى البيت .

كان الرجل يبكى فى صمت وهو يضرب الماء بالمجدافين نحو مرسى
(هازراتبال) ، ومنها الى (تلبال) ٠٠

هل كانت رحلته الى هنا ضلالا ؟ لا ، بل ان مجيئه الى (سريناجار)
كان منة وعزاء ، كان فرحا داخليا غامرا ، انفعالا رائعا لم يكن يتخيل
جماله ، ألم ير الطفلين يبكيان من الرعب ثم يضيئان شيئا فشيئا كما قال
والدهما العجوزان ؟! وكما أحس عندما احتضنه الطفلان فى حب قبل أن
ينصرف من بيتهما !!

كانت أسرة ريفية تسكن بيتا أفضل بكثير من خرائب دلهى وبومباى،
بيتا مبنيا بالطوب الحجرى وبه غرفة خاصة للداشية والعلف ٠٠
أعد له العجوزان الشاى الكشميرى اللذيذ من لوزات الشاى المسحوقة،
همس الرجل الى نفسه :

(كيف أستطيع أن أصف هذه الفترة من حياتى ؟ هذه الأيام التى
قضيتها فى كشمير والتى تقول : ان الحياة بأفراحها العابرة ، بكل ما فيها
من براءة وظهر ومجد وجلال ، ليست باقية الا فى عنصر الحياة ، فى
الانسان) ٠

وهمست نفسه اليه :

(ولقد آمنت بذلك وفعلته طيلة حياتك ، فاستمر) ٠
ووجد نفسه يستخف بكل الأشياء الأخرى الزائلة ويقول لها « الى
الجحيم » ٠



ماذا حدث بداخله فى تلك الأيام !! تقدم به العمر ؟ لكنه استطاع
هنا ببساطة أن يتقبل هذه الحقيقة ، وأن يتقبل كل ما هو مر مذاق ،
وألا يصارع من أجل اصطیاد ألوان أخرى ، ان الألوان التى تعود أن يرسم
بها تكفى ، ولسوف يجدد الرضا كل ألوان الحياة ٠٠

« ليلة شتوية »

PREM CHAND

بقلم : برم تشاند

- ١ -

قال هالكو Halkoo لزوجته :

- لقد جاء ساهنا Sahna هاتي ما لديك من نقود لكي أسدد له الدين ، لابد أن أتخلص من هذا الرجل *

كانت موني Munni تكنس أرض الدار ، استدارت نحوه وقالت :

- لا يوجد سوى ثلاث روبيات ، اذا بددتها فكيف تشتري البطانية ؟ كيف ستحتمل ليالى هذا الشتاء القارسة ؟ قل له اننا سندفع له بعد الحصاد *

وقف هالكو يفكر لحظات ، لن أستطيع أن أنام فى الحقل بدون بطانية !! لكن ساهنا لن يقبل التأجيل !! وقد يشتم ويهدد ، حسنا سأتحمل اهاناته ، هذا أفضل. من أن أتجمد فى الحقل ، ولكن ساهنا لن يتحرك دون أن يأخذ حقه !! اقترب بجسده الضخم من زوجته وقال :

- أعطيه الثلاث روبيات يا موني ، وسوف أبحث عن وسيلة أخرى للحصول على بطانية *

قالت موني وهى تبتعد عنه مقبلة :

- قل لى ما هى هذه الوسيلة الأخرى ؟ هل هناك من سيهبك بطانية ؟ ان ديوننا عديده ولن نستطيع سدادها الى الأبد ، انى أسألك لماذا لا تترك الزراعة ؟ عند الحصاد سوف يحاصرنا الدائنون ، هذه هى الزراعة ، كأننا نعمل طول العمر لتسديده الديون ، لو عملت أجيرا سوف تكسب قوتك وكفانا هذا من الزراعة ، انى لن أعطي الروبيات لأحد *

- اذن سألتقى منه الشتائم .

قالت موئى بغضب :

- ولماذا يسيتم ؟ هل هو حاكم فى هذا البلد ؟!

قالت هذا وارتخت فى جبينها التوترات ، الحقيقة المخفية وراء حالة هالكو برزت أمامها مثل حيوان مفترس ، اتجهت نحو الرف ٠٠ عادت من هناك بالروبيات ٠٠ وضعتها فى كف هالكو وقالت :

بعد موسم الحصاد القادم عليك أن تهجر الزراعة ، لو عملت أجبرا فانك على الأقل ستجد رغيفا تأكله فى هدوء ، يجب ألا نعانى من تهديد الدائنين ، قل لى ما هذه الزراعة العجيبة ؟ تعمل وتكدح ثم لا تجنى الا التهديد ؟

سار هالكو بالنقود ، كأنما كان ذاهبا لبدفن قلبه ، لقد جمع هذه الروبيات من أجل البطانية ، جمعها من كسور الروبيات ومن كسور الكسور كلما باع شيئا من المحصول ، وها هو الآن يخسرها !! ومع كل خطوة تقدمها ليسدد الدين ، كان ظهره يزداد انحناء تحت وطأة الفقر .

- ٢ -

ليلة شتوية مظلمة ، حتى النجوم بدت كأنها تجمدت ، كان هالكو يرتعد من البرد وهو نائم عند رأس الحقل ٠٠ تحت سقيفة من عصى الغاب وأوراق القصب والخرق البالية ، والى جواره كان يرقد الكلب جابرا Jabra يعوى من البرد . وقد خبأ رأسه تحت صدره ٠٠ عاجزا مثل هالكو عن النوم .

ثنى هالكو ركبتيه الى أعلى حتى لامس بهما عنقه وقال :

- جابرا ؟ هل انت بردان ؟ اه ؟ قلت لك ابق فى الدار ونم على القش ٠٠ فلماذا أتيت ؟ ماذا كنت تتوقع أن تجد هنا ؟ ماذا يمكن أن أفعله من أجلك الآن ؟ ظننت أنى جئت الى هنا لألتهم الأطعمة المدسمة اللذيذة وحدى ؟ يمكنك الآن أن تبكى وتئن كما تنساء !!

حرك جابرا ذيله ٠٠ ثم رفع رأسه ليثن بصوت أعلى ، تشاب ، انخفض صوته ، ربما لأن صوتا فى داخله قال له : عيب أن ترعج-بأنيك نوم سيدك ٠٠٠٠

أخرج هالكو يديه من تحت الملاءة ، ربت بها ظهر جابرا وقال :

— من الغد ٠٠ لا تأت معى ، والا فسوف تموت من البرد من أين تأتى
الرياح الغربية بكل هذا الصقيع ؟ الله وحده يعلم ، دعنى أنهض وأدخن
مرة أخرى ، لقد أوشك الليل أن ينتهى ، دخنت حتى الآن ثمانى مرات ،
هذه مكافأتى من الزراعة ، هناك آخرون محظوظون ٠٠٠ الشتاء يفر من
مساكنهم خوفا من الدفء الذى يسبه حرارة الصيف ، لديهم أغطية ثقيلة
ووسائد ، وسجاجيد فاخرة وبطاطين ، ليس للشتاء سلطان عليهم ، أية
أدوار غريبة هذه التى يلعبها القدر ؟ حظنا يا جابرا أن نعمل ٠٠ وحظهم
أن يستمتعوا ، ونهض هالكو ، نبش فى حفرة النار حتى عثر على جمرة
صغيرة جهز بها غليونه الفخارى ، ونهض جابرا أيضا ، جذب هالكو نفسا
من الدخان وقال :

— هل تدخن ؟ التدخين لا يحمى من البرد لكنه يقتل الوقت .

نظر اليه جابرا بعينين مليئتين بالحب ، قال هالكو :

— عليك أن تصبر الليلة على البرد ، غدا سأفرش لك فرشة من
القش ، يمكنك أن تحبى نفسك فيها من البرد .

رفع جابرا كفيه الأماميتين ووضعهما فوق مرفقى هالكو ، ثم قرب
فكه الى وجهه ، شعر هالكو بدفء أنفاس جابرا ، انتهى من التدخين وعاد
الى الرقاد لعاه ينام ، بعد لحظات قليلة أحس بقلبه يرتجف ، تقلب على
جنبه لكن البرد كان يدق قلبه كشيطان ، وعندما لم يعد قادرا على احتمال
البرد جذب اليه جابرا ببطة ٠٠ وأخذ رأسه فى حضنه ، انبعثت من الكلب
رائحة كريهة لكنه وجد فى عناق الكلب شيئا من الراحة . راحة لم يحس
بها منذ شهور عديدة ، وربما أحس جابرا أن حضن هالكو هو الجنة ،
ولم تشمئز روح هالكو النقية من رائحة الكلب ، بل انه يعانقه بنفس
الشعور الذى عانق به من قبل أخا أو صديقا ، لم يحس بازدياد آلام الفقر
الذى أوصله الى هذه الحال ٠٠ بل ان هذه الصداقة الغريبة بينه وبين
كلبه تهون عليه الآن كثيرا من المعاناة .

وفجأة ، سمع جابرا صوت حيوان ما ، سحب رأسه من صدر هالكو
وهب واقفا ، خرج من الكوخ يجرى وينبح ، نادى عليه هالكو وأعاد النداء ،
لكن جابرا لم يعد ، راح يشق الحقل دون أن يتوقف عن النباح ، مرات
عديدة كان يتوقف لحظة ثم يهم بالعودة ٠٠ لكنه سرعان ما يعاود الجرى
والنباح .

ومرت ساعة أخرى ، بدأ الليل يتلفف رياحه القارسة ويذروها فوق الحقول ، نهض هالكو لاصقا ركبتيه بصدرة وملقيا برأسه فوقهما ، شيء غريب !! ان البرد لم ينقص !! دماؤه تجمدت وبدلا منها هناك جليد يتندفع فى عروقه ، رفع رأسه نحو السماء ليرى كم بقى من الليل ، كان نجم الدب الأكبر ما يزال فى منتصف الطريق ، عندما يصبح الدب الأكبر فوق رأسه تماما يطلع الصباح ، لا يزال الوقت طويلا حتى ينقشع هذا الليل !!

قريبا من حقل هالكو كانت هناك حديقة مانجو ، هناك أكوام من الأوراق الجافة تملأ أرض الحديقة ، فكر فى أن يجمعها ويشعل فيها النار ليستدفى ، لو شاهده أحد هناك سيظنه شبحا ، ويمكن أن يكون هناك حيوان أو كلب مفترس ، لكنه لم يعد قادرا على التحمل !!

اقتلع بضعة جذور جافة من الحقل المجاور ، أشعلها وحملها فى يده كمصباح ، اتجه نحو حديقة المانجو ، رآه جابرا فأسرع نحوه من وسط الحقل وجاء يهز ذيله ، قال هالكو :

— البرد سيقتلنى يا جابرا ، تعال معى نشعل نارا فى هذه الأوراق ، وعندما نشعر بالدفء نسرع الى عشتنا وننام .

عبر جابرا عن موافقته بالنباح وسبق هالكو الى حديقة المانجو .

كان الظلام هناك ثقيل ، والرياح تعوى بين الأوراق ، وقطرات الندى تتساقط من الأشجار ، وفجأة هبت ريح محملة برائحة الحناء ، قال هالكو :

— ما أجمل رائحتها يا جابرا !! هل أنت أيضا تشمها ؟

كان جابرا قد عثر على قطعة من العظم وراح يقضمها ، وضع هالكو الجذور المشتعلة على الأرض وبدأ يجمع الأوراق الجافة ، فى لحظات كان قد جمع كومة كبيرة ، البرد يوشك أن يشل يديه ، وقدماه الحافيتان فقدتا الاحساس تماما ، همس لنفسه : (على أن أحرق البرد فى هذه النار حتى أحوله الى تراب) .

تحولت النار التى أشعلها الى حريق نائر ، لامست النار أغصان الشجرة القريبة ، وامتدت السنة اللهب الى هنا وهناك ، بدت الأشجار الضخمة كأنها تحمل على رؤوسها ظلمة الليل الواسعة ، وبدأ الحريق مثل قارب صغير يتقلب فوق أمواج محيط من الظلام .

هالكو يستدفيء الآن أمام النار ، لحظات ولملم الملاءة من على جسده
ووضعها الى جواره ، فرد ساقيه الى الأمام كأنه يتحدى البرد ، سأل
جابرا :

— حسنا يا جابرا ، ألا تشعر الآن بالدفء ؟

نبح جابرا نباحا خافتا كأنما يقول :

— بل على ألا أشعر بالبرد الى الأبد .

قال هالكو :

— اننا لو فكرنا في هذا العلاج من قبل ، لما تجمدنا هكذا من البرد
هز جابرا ذيله موافقا .

— حسنا دعنا نقفز فوق النار ، فلنر من منا يستطيع أن يعبرها ،
ولكن اسمع يا ولدي !! اذا أصبت بحروق فلن أحضر لك أدوية .

نظر جابرا بخوف الى النار الهائلة ، بينما أضاف هالكو :

— اياك أن تحكى عن هذا لمونى ، والا فانها ستتساجر معى !!

قال هذا وقفز فوق النار ، قفزة واحدة ووجد نفسه على الجانب
الآخر ، لامست قدماه النار لكنه لم يهتم بذلك ، ودار جابرا حول النار
حتى لحق بصاحبه ، قال هالكو :

— لا لا ، ليس هذا حسنا ، عليك أن تقفز فوق النار ، انظر !!
هكذا .

وقفز هالكو فعبر النار مرة أخرى .

— ٤ —

احترقت الأوراق تماما ، وخيمت الظلمة ثانية على حديقة المانجو ،
كانت هناك بعض جمرات خافتة تحت تراب الحريق ، عادت الريح تبعث
فيها الحياة ، لكنها مالبت أن أغمضت عيونها وانطفأت .

لف هالكو نفسه في الملاءة مرة أخرى ، واقترب أكثر من تراب
الحريق وراح يندذن بأغنية قديمة ، كان جسده دافئا ، لكن البرد عاد
يتكاثر حتى بدأ هالكو يرتعد ، بينما راح جابرا ينبج غالبا وهو يجرى
نحو الحقل ، شعر هالكو كأن قطيعا من الأبقار اقتحم حقله ، أصوات

القطيع تصل الى أذنيه ، القطيع يرعى فى الحقل ، انه يسمع خوار البقر وصوت أسنانها وهى تمضغ النبات ، قال لنفسه (لا ، مادام جابرا هناك فلا حيوان يستطيع أن يدخل الحقل والا مزقه جابرا اربا ، انى !! انى مخطيء !! لقد خدعت ، انى لم أسمع أى شىء !!) .

ونادى بصوت عال :

— جابرا ؟ يا جابرا ؟

لكن جابرا استمر هناك ينبج ولم يعد .

عاد هالكو يسمع صوت القطيع يرعى ، هل يخدع نفسه ثانية ويقول انى لم أسمع أى شىء ؟ لكن . مستحيل أن يترك مكانه الدافئ ، بدت له فكرة مستخيلة أن يطارد القطيع فى هذا الصقيع ، ولم يتحرك .

جابرا هناك لا يزال ينبج ، والقطيع يلتهم المحصول الناضج ، ما كان أروعه من محصول !! لابد أن البقرات الشريرة قد أتت عايه الآن تماما !!

ونفض هالكو بعزم جديد ، خطأ خطوتين ، لكن الريح لطمت وجهه وجسده لطمات قاسية البرودة فعاد الى النار الخامدة ، وراح يقلب فى رماده بحثا عن بصيص من النار .

كان صوت جابرا قد بح من كثرة النباح ، بينما قطيع البقر قد استلقى مضطجعا فوق شجيرات الحقل ، وهالكو مستلق بجوار الرماد الدافئ فى هدوء ، عاجزا عن الحركة تماما ، كأن أطرافه مقيدة بالحبال ، الى أن لف نفسه بالملاءة واستغرق فى النوم .

عندما استيقظ فى الصباح ، كان ضوء الشمس الساطعة يغمر المكان، وكانت موني واقفة الى جواره تقول :

— ألن تستيقظ اليوم ؟ تنام هنا والمحصول قد ضاع ؟

نفض هالكو يسألها :

— هل كنت فى الحقل الآن ؟

— نعم ، لقد دمر المحصول تماما ، لماذا تنام هنا ؟ ما فائدة الكوخ الذى فى حقلنا اذن ؟

قال هالكو فى صوت ضعيف :

— انك تفكرين فقط في محصولك ، هل تعرفين أنى فى الليلة الماضية
اقتربت من الموت ؟ كنت أعانى من مفص-قاتل يا مونى ، لا أستطيع أن
أصف لك ما كنت أعانى .

وذهبنا معا الى الحقل ، لم يعد هناك ما يستحق أن يحصله ، وجائرا
منبطح كأنه ميت تحت سقيفة الغاب .

تجولا بعيونهما فى الحقل ، كان الحزن يكسو وجه مونى ، لكن
هالكو بدا سعيدا ، قالت مونى كأنها تنتحب :

— والآن ، عليك أن تعمل أجيرا لنحصل على القوت !!

أجاب هالكو بفرح :

— نعم ، على الأقل لن أنام هنا ثانية فى البرد الكئيب .

رائحة الكيوسين

● بقلم : الأدبية : أمريتا ● بريتام ●

خارج البيت صهلت فرسة ، تعرفت (جوليرى) على الصهيل
فهرولت الى الخارج ، كانت الفرسة من قرية أبويها ، وضعت رأسها على
رقبة الفرسة وكأنها تسند رأسها على باب بيت أبيها .

كان والدا (جوليرى) يعيشان فى تشامبا على بعد أميال قليلة من
قرية زوجها الواقعة على أحد المرتفعات الجبلية ، والتي يربطها بقرية
والديها طريق منحدر نحو السفح ، يستطيع الناظر من قمته أن يرى
تشامبا ، قرية كبيرة راقدة تحت أقدام المرتفعات عند نهاية المدى ، وكلما
كان الحنين يستبد بالزوجة الصغيرة (جوليرى) الى موطنها القديم ،
كانت تطلب من زوجها أن يصحبها الى مشارف الطريق المنحدر ، حيث
تستطيع أن ترى بيوت (تشامبا) تتلألأ فى ضوء الغروب ، وتعود بعد
ذلك الى بيت زوجها وقد توهج قلبها بالزهو .

مرة واحدة كل عام ، بعد موسم الحصاد ، كان يسمح للزوجة
الصغيرة أن تقضى عدة أيام مع أسرتها فى تشامبا ، كانت هناك اثنتان
من صديقاتها ٠٠ متزوجتان أيضا خارج منطقة تشامبا ، تأتيان الى القرية
فى نفس الوقت من السنة ، كانت البنات الثلاث يتطلعن الى لقاء بعضهن
كل عام ، يقضين معا عدة ساعات كل يوم ، يتحدثن عن خبراتهن منذ
الزواج ، وما يلاقين من أفراح وأحزان ، يتجولن فى شوارع القرية الى أن
يجى عيد الحصاد ، كانت البنات الثلاث يجهزن ملابس جديدة لهذا
العيد ، وتصبغ كل منهن شالها بالألوان الزاهية ، وترصعه بحلى براقة ،
وتشتري عديدا من الخلاخيل والأقراط الفضية .

كانت (جوليرى) كل عام تعد الأيام الباقية على موسم الحصاد ،
وعندما تهب نسيمات الخريف فتتقى السماء من سحب رياح المونسون ٠٠
كانت تبدأ فى الاستعداد للرحلة الى تشامبا ٠٠ لكنها تستمر فى القيام
بأعمالها اليومية ، تطعم الماشية ، تطهو الطعام لوالدى زوجها ، ثم تعود

الى الجلوس لتحسب عدد الأيام الباقية ، الى أن يأتى أحدهم من تشامبا ،
ليأخذها الى بيت والديها .

والآن ، مرة أخرى ، جاء وقت الزيارة السنوية ، راحت تلاطف
الفرسة بفرح ، ثم حيت (ناتو) خادم والديها الذى جاء بالفرسة ،
وأخذت تستعد للرحيل فى اليوم التالى .

لم يكن فى وسع (جوليرى) أن تصوغ فرحها فى كلمات ، لكن
وجهها كان كافيا للتعبير ، سحب زوجها (ماناك) نفسا من نرجيلته
وأغمض عينيه ، بدا كأنه لا يستسيغ طعم التبغ أو كأنه لا يتحمل أن
يواجه عيني زوجته ، ناشدته زوجته قائلة :
- ستأتى الى مهرجان تشامبا ، أليس كذلك ؟ لابد أن تأتى ولو
ليوم واحد .

وضع ماناك النارجيلة جانبا ولم يجب .
قالت جوليرى ملاطفة :

- لماذا لا ترد على ؟ هل أقول لك شيئا ؟
- أعرف ما تريدني قوله ، تريدني أن تقولى انك تذهبين الى بيت
أبيك مرة واحدة كل عام ، أليس كذلك ؟ ان أحدا لم يمنعك من قبل .
- اذن لماذا تريد أن تمنعنى هذه المرة ؟
- نعم ، هذه المرة فقط يا جوليرى .
قالت فى عناد طفولى :
- ان أمك لم تقل شيئا ، فلماذا تقف فى طريقى ؟
- أمى . . . يا جوليرى . . .
ولم يكمل ماناك عبارته .

وفى الصباح الذى انتظرته طويلا . . كانت (جوليرى) جاهزة
للسفر منذ ما قبل الفجر ، لم يكن لديها أطفال لأنها لم تنجب ، لذلك
فلم تكن هناك مشكلة أطفال تتركهم مع والدى زوجها أو تأخذهم معها ،
أسرج (ناتو) الفرسة بينما كانت جوليرى تودع والدى زوجها ، اللذين
رهب كل منهما رأسها وياركها .

قال ماناك :

- سوف آتى معك جزءا من الطريق .

وانطلق الـركب ، جوليرى فى قمة السعادة ، تخبىء ناي زوجها تحت شالها ، بلغ الـركب قرية (كاجيار) ، ثم انحدر نحو تشامبا مباشرة ، أخرجت جوليرى الناي من تحت شالها وأعطته لزوجها ، ثم احتضنت يده بيدها وقالت :

ـ هيا ، اعزف على الناي .

لكنه كان غارقا فى أفكاره تماما .

ـ لماذا لا تعزف ؟

نظر اليها بحزن ، ثم رفع الناي الى شفـتيه ، وراح يعزف لحنا حزينا كالنحيب ، وفجأة توقف وقال :

ـ جوليرى ! لا تذهبي بعيدا عنى ! أرجوك ثانية .. لا تذهبي هذه المرة .

ـ ولكن لماذا ؟ ستأتى الى تشامبا يوم عيد الحصاد ، وسنعود معا ، أعدك لن أبقي هناك بعد العيد .

ولم يعاود ماناك الرجاء .

توقف الـركب على جانب الطريق ، سحب (ناتو) الفرسـة وابتعد بها الى الأمام ليترك الزوجين وحدهما ، غرق ماناك فى ذكرياته ، منذ سبع سنوات ، وفى مثل هذا الوقت من العام ، كان قد ذهب مع أصدقائه على نفس هذه الطريق ، ليحضروا مهرجان عيد الحصاد فى تشامبا ، وفى ذلك المهرجان رأى جوليرى لأول مرة .. ووهب كل منهما قلبه للآخر ، وعندما استطاع أن يلتقيا على انفراد بعيدا عن ضجيج المهرجان ، أخذ يدها فى يده وقال :

ـ انك تشبهين حبات القمح الطرية المليئة باللبن داخل سنابلها .
فى ذلك اليوم البعيد أجابته جوليرى ويدها ترتعش فى يده :

ـ ان الماشية هى التى تجب السنابل طرية ، أما الناس فيحبونها مشوية ، اذا كنت تريدنى فاذهب الى أبى واطلب منه يدى .

وكالعادة ـ بمعونة أحد أقرباء ماناك ـ كان يجب أن يتحدد مهر العروس ، كان ماناك قلقا لأنه لم يكن يعرف كم سيطلب والد جوليرى مهرها لها ، فاذا بوالدها أحد أثرياء تشامبا ، وقد أقسم منذ كانت طفلة ألا يأخذ لها مهرا ، فقط يريد لها شابا يستحقها ومن أسرة طيبة ، ولما كان هذان الشرطان ينطبقان على ماناك ، فسرعان ما تزوج بحبيبته جوليرى .

أفاق على يد جوليرى فوق كتفه وهى تسأله فى عتاب :

ـ بماذا تحلم ؟

لم يجب ، وصهلت الفرسة عاليا ، استحثت جوليرى الفرسة على
الرحيل وهى تسأل ماناك ؟

ـ هل تعرف الغابة الصغيرة ذات الأزهار الزرقاء التى تبعد عن
هنا ميلين ؟ يقال ان من يخترقها يصاب بالصمم .

ـ نعم .

ـ يبدو أنك عبرت هذه الغابة لأنك لا تسمع شيئا مما أقول .

تنهد بعمق وقال :

ـ أنت على حق يا جوليرى ، أنا لا أسمع شيئا مما تقولين .

ونظر كل منهما الى الآخر دون أن يفهم ما يدور برأسه ، ثم قالت
جوليرى برقة :

ـ سوف أذهب الآن ، عد أنت فقد قطعت معنا جزءا كبيرا من
الطريق .

ـ وأنت ! لقد سرت على قدميك كل هذه المسافة ، اصعدى فوق
ظهر الفرسة .

ـ اذن خذ الناي .

ـ خذيه أنت معك .

سألته باسمه وكان الشمس أشرقت فى عينيها :

ـ هل ستأتى وتعزف عليه فى المهرجان ؟

أدار وجهه بعيدا عنها ، حارت ، لكنها هزت كتفيها واتخذت طريقها
فوق الفرسة نحو تشامبا ، وعاد ماناك الى بيت والديه .

ارتقى جالسا على حافة سريره فى فتور واحساس بالهوان ، وجاءت
أمه تسأله :

ـ لقد تأخرت طويلا ، هل صحبتها الى أعلى البتل ؟

تجبرت فى حلقة الكلمات .

ـ لماذا أنت مجنى الظهر هكذا مثل امرأة عجوز ؟ يبقى فقط أن

تبكى مثل طفل محروم !

وظل صامتا ، واستطردت أمه :

— لن أدع الأمر يصل الى ثماني سنوات .

كانت قد اتخذت قرارا من قبل ودفعت خمسمائة روبية مهرا لعروس أخرى ، وبمجرد أن ذهبت جوليري الى بيت أبيها بدأت أم ماناك تعد لزواجه الثاني .

طاعة لأمه وللتقاليد .. استجاب جسد ماناك للمرأة الجديدة ، لكن قلبه كان قد مات في صدره .

وذات صباح بينما كان يدخن النارجيلة .. مر به صديق قديم ، ناداه ماناك قائلا :

— بهافاني ؟ الى أين أنت ذاهب مبكرا هكذا ؟

توقف بهافاني ، كان يحمل صرة صغيرة على كتفه ، أجاب أجابة غامضة :

— ليس الى مكان معين .

تعجب ماناك وقال :

— لابد أن تكون ذاهبا الى مكان معين يا بهافاني ! لماذا لا تجيء وتدخن معي النارجيلة ؟

جلس بهافاني بجانبه ، ثم تناول من يده خرطوم النارجيلة وقال :

— أنا ذاهب الى تشامبا لأحضر مهرجان الحصاد .

اخترقت كلماته قلب ماناك مثل سلاح حاد ، سأل شاردا :

— هل المهرجان اليوم ؟

أجابه بهافاني بنبرات جافة :

— انه نفس اليوم كل عام يا ماناك ! هل نسيت ؟ ألم تكن معنا في نفس المهرجان منذ سبع سنوات ؟!

ولم يسترسل بهافاني ، لكن ماناك أدرك ما يعنيه صديقه القديم فأطبق عليه وجوم حزين ، ووضع بهافاني خرطوم النارجيلة وحمل الصرة على كتفه مرة أخرى ، كان هناك ناي في الصرة برز منه جزء خارجها ، ودع بهافاني صديقه وانصرف ، بينما ظلت عينا ماناك ترنوا الى الناي البارز من الصرة .. حتى اختفى عن عينيه .

فى عصر اليوم التالى .. وكان ماناك فى حقله .. رأى بهافانى عائدا فحول بصره فى الاتجاه الآخر ، لم يكن يود أن يتحدث اليه أو يسمع منه شيئا عن المهرجان ، لكن بهافانى انحرف عن الطريق الى الحقل وجلس أمام ماناك ، كان وجه (بهافانى) مظلما مثل جمرة مظفاة ، قال بنبرات حزينة :

— جوليرى ماتت •

— ماذا ؟

— عندما سمعت بزواجك الثانى ، تقعت ملابسها فى الكيوسين ثم ارتدتها وأشعلت فيها النار •

آخرس الألم ماناك ، فقط راح يحدق فى لا شيء .. شاعرا بأن حياته أيضا قد استعلت فيها النار •

ومرت الأيام ، عاد ماناك الى عمله بالحقل ، وأصبح يتناول غذاءه عندما يقدم له ، لكنه أصبح شبه ميت ، وجهه شاحب ، وعيناه خاويتان ، الى أن بدأت زوجته الثانية تشكو :

— أنا لست زوجته أنا مجرد امرأة تزوجها بالصدفة •

ومع ذلك فقد حملت ، سعدت أم ماناك بالخبر وراحت تزفه اليه ، لكنه بدا كأنه لم يفهم ما قالت له أمه ، ظلت عيناه خاليتين من التعبير ، وشجعت أمه الزوجة الحامل بأن تتحمل زوجها حتى تلد ، مؤكدة لها أنه بمجرد أن يجرى الطفل فإن ماناك سيتغير •

ولد الطفل فى موعده ، بابتهاج غسلت أمه جسده ، وألبسته ملابس جميلة ، وذهبت به فوضعتة فى حجر ماناك •

حدق ماناك فى الطفل الموضوع فى حجره .. ولم يبد على وجهه أنه أدرك ما جرى ، ظل وجهه شاحبا خاليا من التعبير عن شيء ، وفجأة امتلأت عيناه بالرعب ، وانطلق يصرخ فى هستيرية صاخبة :

— خذيه بعيدا عنى ، خذيه بعيدا ، تفوح منه رائحة الكيوسين •

قبعة المهرج

بقلم : د . مولك راج أناند

انقضى النهار صبحوا ، ومع اقتراب المساء تجمعت السحب فوق الأشجار المترامية . . . كأنها تستعد للسقوط فوق الجبال ، ازداد الضباب قتامة ، ثم تدفقت أصوات الرعد في قلب الخلاء .

كان الكولونيل « أنطون برت » قد عاد لثوبه من رحلة صيد في الغابة ، والكولونيل أنطون هو قائد معسكر السجناء الشمالى فى جنوب أفريقيا ، تقدم الجاويش « كوزمو » فأعطاه زجاجة الخمر ذات الثلاثة نجوم ليطفىء بها ظمأه .

وعلى مرمى البصر من شرفة البيت الكبير الذى يسكنه الكولونيل ، تنائرت الحجارة الناتجة عن عملية تفتيت الصخور بالديناميت ، والتي يقوم بها السجناء ، حتى شتكت ما يشبه أرضا مخصصة لعرض الأحجار ، وإلى يسار البيت الكبير بدت القلعة الصغيرة بجدرانها العالية هزيلة كثيفة ، شعر الكولونيل بنوع غريب من الأعياء والغثيان ، نصفه مرارة ونصفه حنين إلى الوطن ، إلى بيته المحاط بحدائق الزيتون فى « كيب تاون » ، وراق له أن ينادى على الجاويش ، وقال له أمرا :

« كوزمو ! قل لهؤلاء السود أن يرقصوا » .

يبلغ الآن ٩٠ عاما ، أهم الروائيين الهنود المعاصرين ، يكتب بالإنجليزية ، له عشرون رواية وعشر مجموعات قصصية ، وعشرات الكتب فى الفن والثقافة والفلسفة والمطبخ الهندى والمسرح والسياسة والتعليم والرسم واللغة العامية وتقاليد القبائل وتاريخ البريد فى الهند ، نال عدة جوائز أكاديمية وسياسية ، يكمل الآن كتابة سيرته الذاتية فى سبعة مجلدات باسم (عصور الإنسان السبعة) ، زار معظم بلاد العالم ، أشهر رواياته : المنبوذ - ورقتان وبرعم - وثلاثية لالو .

فى تلك البقاع المهجورة الشاسعة بدت له القلعة مثل حارس وحيد
لحضارة الرجل الأبيض ، وفيما عدا القرى القليلة الموالية للحكومة لم
يكن هناك ما يمكن أن يخلق البهجة فى قلب الكولونيل سوى ما يترامى
إليه من غناء النساء أو صوت الطبول .. أو دمدومات نيران الرقص
المجنونة ، لكن القرية على بعد ميل ، وهم هناك يبدأون مهرجانات الليل
متأخرين ، والمسجونون هنا تخيم عليهم الكآبة .
تظاهر كوزمو بأنه لم يسمع أمر القائد .

عبرت السماء سحب ثقيلة تنذر بالمطر ، شد الكولونيل نفسه من
كل هذا الطقس الردىء .. الذى يتراوح بين الحرارة الاستوائية والبرد
القطبى ، عبر خدمته رأى التلال المترامية فى ولاية البرتقال ، ورأى نفسه
أصم أمام السماوات المحملة بالسحب الرمادية ، وعندما كان يتدرب فى
« ساند هيرست » ببريطانيا رأى الرذاذ الذى لا ينقطع ، لكنه هنا لم
يستطع أن يتحمل العصيان ، صرخ :

— كوزمو !

انتزع الجاويش نفسه من الآلام المبرحة فى عظامه لكى يقوم بواجبه ،
تلك الآلام التى يتخفف منها بفضل التراتيل وإيقاع الأقدام ، أسرع الى
الشرفة حيث أدى التحية العسكرية ، رفع الكولونيل وجهه ذا الخدين
الفائزين وصرخ :

— ألم تسمع ندائى ؟

أجاب كوزمو كاذبا :

— لا يا سيدي .

— الرقص !

— لقد جاء الفلاحون بالأمس ورقصوا فى عيد القديسة فاتيما ولن
يجيئوا مرة أخرى

— لقد أعطيتهم نقودا بالأمس .

ظل كوزمو خافضا بصره أمام سيده ، زادت ظلال السحب وجهه
قتامة ، وفى السماء انفجر غضب آخر شق أبواب السماء ، كان حراب
حشود المتمردين قد اقتحمت بيت الله .

— قل للحراس أن يحضروا ذلك الطبيب الأسود ، دكتور آدم رئيس
العصابة ، وقل للحراس أن يأتوا ليشرّبوا الروم ماركة « كولينز » .

أحنى الرقيب رأسه كأنما ليؤكد بالفطرة نغمة الأمر ، ضرب
الكولونيل الأرض بقدمه وأرعد :

— هيا اذهب ! اخرج .

كان صوت الرعد فى السماء أقوى من صوت الكولونيل ، مما ضاعف
الفرع فى نفس كوزمو وجعله ينصرف عدوا .

كانت هناك رقرقات نسيم دافئة ، وبدا كأن المطر على وشك السقوط ،
لكن الكتلة الرئيسية من السحاب راحت تعبر الفضاء نحو التلال
المنخفضة ، بينما أخذ حشد متمرد من سحب أقل كثافة يتجمع فوق
الصخور ، متتابعة متباطئة ، كأنما هى حشود تتجمع على الأرض ، آتية من
حيث لا يدرى أحد . . . ومهددة أساس النظام .

فى نظرة طويلة رفع الكولونيل عينيه السوداوين الضاربتين الى
الزرقعة نحو السماء ، كأنما بنظرة واحدة سوف يشتت القوى المعادية ،
لكنه فى الحقيقة أحس بأنه جبان أمام عناصر الطبيعة ، ودار نسر منطقاً
من عشه غائصاً فى حائط العاصفة ، أهمل الكولونيل خفقة فى قلبه كرد
فعل تلقائى ضد نفسه ، ثم خفض عينيه عائداً الى الشراب .

رفع الكأس ، لمس بها خده الأيمن الجاف ، ليشعر بالبلسم المهدئ
للمسها الحريرى ، وخرجت أنفاسه حارة من بين شفثيه ، كأنها تضرعات
من أجل البركة .

انتبه الى صوت أقدام متثاقلة ، أحس بالقوة متوقعا قدوم الطبيب
الأسود ، وظهرت مقدمة الموكب الصغير ، كأنما بزغت فجأة من باطن
أرض الغناء ، وظهر دكتور آدم ، رجل نحيل متوسط الطول ، يبرق بياض
عينيه فى أعلى قامته التى تشبه أشباح الموتى ، ولون جاكته الصفراء
مضاء لوجهه الأبيض .

قال الكولونيل كلاماً خبيثاً ذا معنيين ، كلاماً مكوناً من تلك الألفاظ
الشائعة فى « ليفنجستون » :

— دكتور آدم ! أنا أخمن أن . . .

لكن دكتور آدم لم يحركه الاستهزاء ولم ينطق بأية كلمة ، كل
ما فعله أنه ظل واقفاً حيث هو ، على بعد خمس ياردات من الحاكم ، ووقف

حراس القلعة الخمسة خلف السجين • عبرت الأفق نسيمات قليلة قلقة ،
ثم برق خط من الضوء عبر الجبل البعيد •

أحس الكولونيل أن الله قد فضل هذا الرجل الأسود اذ أحاطه
بجيش من الحراس ، انتظر الفرصة مستحضرا مقدرته على المرح :
انى أسمع أنك تعلمت رقصة الثعلب ، والفالس ، وحتى رقصة
التانجو تعلمتها فى لندن • أليس كذلك ؟

طاطاً دكتور آدم رأسه ، لقد منحته المعاناة فى معسكر الاعتقال
رباطة جأش فوق الهدوء ، وأضيف الى هذا ما يعترى وجهه الآن وحشة •
لقد أحببت بناتنا الانجليزيات وأخذتهن بين ذراعيك ، أليس كذلك ؟
لا شك أنك كنت تختار الصبايا فقط لتراقصهن !

تلوت قسمات السجين ، لكن بياض عينيه انخفض هاربا بكبريائه
من العار الذى تحمله سوقية الكولونيل •
- وسمعت أنك نسيت الرقصات الوطنية القبلية !

هز دكتور آدم رأسه بعلامة النفي •
طالما انهزم الكولونيل أمام صمت هؤلاء السود ، لكن هذا الرجل
يفوقهم دون جدال •• بأفكاره وأحاسيسه ، هل هم بشر ؟ ينبغي أن
تنشق السماء وتصب نارا ، لكنهم سوف يظلون على ثباتهم !
كأن الله استجاب لتنبؤات الكولونيل ، فقد لمع البرق مصحوبا بتمزق
ستائر السماء ، ومع ذلك فقد عاد للجلوس طلبا للراحة ، وظلت هيئة
دكتور آدم ثابتة ، قليل الكلام ومتجهما ، فكر الكولونيل : هل هناك
ابتسامة خفيفة تمر على شفתי السجين ؟ أم أننى أتخيل ذلك ؟!
- اذن هيا ، ارقص احدى رقصات قبيلتك ، دعنا نستمتع بشيء
من اللهو !

ظل الرجل واقفا كتمثال •• كأنه شبح لنفسه ، جن جنون الكولونيل
فهتف بخادمه :
- كوزمو !

تقدم الجاويش من بين الحراس ، أيضا مثل شبح :
- أعطه قبعة المهرج •• تلك التى اشتريتها بالأمس من رجال
القبائل ! قبعة القرد الحمراء انه بها سيرقص أفضل
أسرع كوزمو الى الشرفة ، وجاء بالقبعة التى كانت معلقة على حامل
القبعات ، وقدمها للكولونيل •

— ضعها على رأسه ! أو ضعها على رأسك !

وثب كوزمو الى الأمام مدفوعا بثقل صوت الكولونيل ٠٠ وتقدم نحو السجين ٠

عبر العذاب الطويل ٠٠ كانت هذه مجرد حادثة واحدة في حياة دكتور آدم ، لذلك لم يضطرب عندما راح كوزمو يحكم وضع قبعة المهرج على رأسه ٠

عند أول نظرة ألقتها الكولونيل على رأس السجين بالقبعة ٠٠ ضحك الكولونيل ضحكة مصطنعة ، ولدت الضحكة بهجة ما لبثت أن انتهت فجأة ، ذلك لأن أحدا لم يشاركه اللهو والمرح ، اكتأب وجهه ، أصبح المعذب معذبا ، وفجأة زعق في الحراس :

— انظروا الى هذا المهرج واضحكوا ! لماذا لا تضحكون !؟

في ظلال الفناء لم يجد جديد سوى ابتسامات قليلة مصطنعة ، كان أيسر عليهم أن يطلقوا الرصاص على السجين من أن يضحكوا منه ، ذلك لأنه كان هناك الرعب دائما من أن يضحك السجين منهم أو يبصق على وجوههم ، كما فعل الأفارقة قبل ذلك مرارا ٠

جف حلق الكولونيل ، رفع زجاجة « الروم » وعب ما تبقى بها من خمر ، سال بعد لعابه وهو يصرخ :

— ارقص أيها الرجل ! ارقص ٠

ازداد الرعد في الفضاء حتى أصبح مثل سيمفونية هستيرية ، ورأى دكتور آدم أن صوت الرعد ليس مصاحبا لائقا « للباليه » الذي يطلبه الكولونيل ٠

قفز الكولونيل من مجلسه المرتفع ، أمسك بيد السجين وراح يديره في مدار دائري وهو يصرخ :

— ها ها ها ! ها هو الرجل القبلي يرقص !

استسلم الرجل للدوران ، وانشقت السحب عن ضوء باهر كأنه بشير بالتحير ، بينما تشبث الكولونيل بالضحك :

— الأبله بقبعة المهرج ! هاها !

وبينما هو يدير السجين خطر له أنه ليس هناك فريق يشاركة الرقص ، أفرغه هذا الحاطر تماما من الرضا ، توقف ، ركل السجين في ظهره ، سقط دكتور آدم بين الحراس ، عاد الكولونيل يصرخ :

- ارقص ! ارقص أيها الأبله أو اذهب الى الجحيم .
ارتجف الحراس قليلا لفورة الغضب التي انتابته قائدهم ، ثم
أمسكوا بالسجين المنهار .
عاد الكولونيل الى الجلوس على مقعده متهدما ، وعادت النسمات
المترققة القلقة تكنس الفناء ، ركز الكولونيل بصره على السجين ، وفجأة
زمجر صاخبا :
- اخسرج !
ثم بهياج أقل :
- اذهب يا ابن الزانية !
وانهمرت من السحب سيول المطر ، كان أشباح رجال القبائل قد
أذابت قلب الله ، وهمهم الكولونيل بنبرات مدممة :
- خذه الى زنزانه .
واستسلم دكتور آدم لدفعات الحراس وركلاتهم ، وعلى بعد خطوات
قليلة استدار الى الكولونيل ضاحكا وهائفا :
- هاهما !
ثم همهم الى نفسه :
- سوف نرى من الذى سيضحك أخيرا !

العودة الى البيت

بقلم : رابندرانات تاجور

كان (فاتيك تشاكرافارتي) زعيما لشلة الصبية الأشقياء في القرية ، وذات يوم وضع خطة لاختيار أشقياء جدد يمكن أن يكونوا أهلا للانضمام الى الشلة .

كان هناك على جسر النهر جذع شجرة ثقيل ملقى فوق الطين . . . في انتظار أن يشكل صاريا لمركب شراعية ، وكانت خطة فاتيك هي أن يعمل أفراد الشلة معا لنقل جذع الشجرة الى بعيد بدحرجته فوق الطين ، وعندما يأتي صاحب الجذع ولا يجده في مكانه سيئدهش ثم يغضب ويشتم . . . بينما أفراد الشلة سوف يستمتعون بالضحكات والمرح .

وافق الجميع على خطة فاتيك وبدأوا الاستعداد لتنفيذها ، ولكن بمجرد بدء التنفيذ وسط الصخب والفرح . . . تلكا (ماكهان) الأخ الأصغر لـ (فاتيك) ، ثم جلس أمام جذع الشجرة ولزم الصمت ، تحير الأولاد لحظة ، ثم تقدم أحدهم فدفعه بحذر طالبا منه أن ينهض ، لكن (ماكهان) ظل جالسا دون أدنى اهتمام ، وبدأ آنذاك مثل فيلسوف صغير يتأمل لعبة عابثة حمقاء ، اقترب (فاتيك) من أخيه وصرخ فيه :

— ماكهان ؟ اذا لم تنهض فورا فسوف أسحقك !!

لكن ماكهان لم يفعل شيئا سوى أن زحف قليلا الى مكان مريح أكثر للمجلوس أمام جذع الشجرة .

اذا كان على فاتيك أن يحافظ على كرامته الآن فعليه أن ينفذ تهديده لأخيه ، لكن شجاعته خائنه عند مواجهة الموقف ، ومع ذلك فقد عثر عقله الخلاق بسرعة على وسيلة جديدة لاهانة أخيه . . . وتقديم تسليية أيضا لاتباعه ، أعطى أمرا بدحرجة الجذع و (ماكهان) معا ، أجس ماكهان انه أصبح أمام خطر حقيقي لكنه بقي جالسا في مكانه ،

حديث النهر - ١٦١

وبدأ الأولاد يستعدون لدرجة الجذع بكل قوتهم وهم يهللون :

— واحد ، اثنين ، ثلاثة ، ابدأ •

(وعند كلمة « ابدأ » تدحرج جذع الشجرة ، وتدحرجت معه فلسفة
(ماكهان) وكرامته واعتزازه بنفسه ، هلل الأولاد بأصواتهم الخشنة ،
لكن (فاتيك) أحس بنوع من الخوف مما قد يحدث ، وقد حدث
ما توقعه ، في لحظة خاطفة نهض (ماكهان) مندفعاً كالقضاء وهادراً مثل
بركان ، انقض على (فاتيك) بكفيه وأظافره حتى أدمى وجهه ، ثم راح
يضربه بقبضتيه ويركله بقدميه حتى أحس بأنه قد استرد كرامته ، وبعد
ذلك اتجه نحو البيت باكياً •

هكذا انتهى الفصل الأول من الصراع •

مسح (فاتيك) وجهه من الدماء ، وربت ما به من جروح ، ثم سار
خطوات الى حيث جلس على حافة صندل بعضه غارق في مياه النهر ،
وراح ينزع من حوله بعض الحشائش ، ليقضمها بأسنانه في غيظ ثم
يطوح بها تباعاً •

لاحظ لعينية مركب قادمة نحو الشاطئ ، ظل يرقبها حتى هبط
منها رجل متوسط العمر ذو شعر رمادي وشارب أسود ، تقدم الرجل
الى (فاتيك) وسأله عن بيت الـ (تشاكرافارتي) ، أجابه فاتيك دون
أن يتوقف عن قضم الحشائش •

— هناك

كان مستحيلاً أن يفهم الرجل أية « هناك » يقصد الصبي فسأله
مرة أخرى ، لكن الصبي راح يؤرجح قدميه أماماً وخلفاً ثم قال للرجل :
— اذهب وابحث عنه •

وعاد الى قضم الحشائش •

في تلك اللحظة جاء خادم من البيت وقال لفاتيك :

— أمك تريدك أن تعود الى البيت •

رفض فاتيك أن يتحرك فأنقلب الخادم الى سيد ، مد يديه نحو فاتيك
وجذبه بغلظة جعلته ينهض رغم أنفه ، ثم راح الخادم يركله في غضب
فبرغمه على السير أمامه نحو البيت •

عندما وصل فاتيك الى البيت صرخت فيه أمه :

— اذن فقد ضربت (ماكهان) مرة أخرى ؟

أجاب فاتيك سباحطاً :

- لا ، لم أضربه ، من قال لك انى ضربته ؟

صرخت فيه أمه مرة أخرى :

- لا تكذب !! لقد ضربته !!

قال فاتيک مقطبا :

- أنا لم أضربه ، اسأليه !!

فكر (ماكهان) لحظات ، ثم فضل الا يغير أقواله وهتف :

- نعم يا أمى ، ضربنى •

نقد صبر فاتيک ، لم يستطع أن يتحمل كذب أخيه مرة أخرى
اندفع نحوه •• أمطره بوابل من الضربات وهو يردد فى هياج :

- اذن ، خذ هذه ، وهذه ، وهذه ، لأنك كذاب ، خذ ••

قفزت الأم فجرت فاتيک بعيدا وهى تضربه بغضب أكبر من غضبه ،
عندما دفعها فاتيک بعيدا عنه صرخت فيه مدعورة :

- ماذا ؟ ماذا أيها الوغد الصغير ؟ هل تضرب أمك ؟!

عند ذلك أطل عليهما الرجل الغريب ذو الشعر الرمادى والشارب
لأسود وهو مندهش ، نظر اليه فاتيک فى خجل ، وعندما وقعت عينها
لأم على الرجل الغريب انقلب غضبها الى دهشة ، كان هذا الغريب
أخاها •

- أخى !! لماذا ؟ من أين ؟ من أين أتيت ؟ وانحنى نحو الأرض
تحييه بلمس قدميه بيديها •

كان أخوها (بيشامبر) قد رحل عن الولاية بعد زواج أخته
مباشرة ، الى حيث وجد لنفسه عملا فى مدينة بومباى ، وكانت أخته أثناء
غيابه قد فقدت زوجها ، ولما عاد (بيشامبر) الى كلكتا أخذ يسأل طويلا
عن أخته ، حتى عرف أنها انتقلت الى تلك القرية ، فأسرع اليها •

كانت الأيام القليلة التالية مفعمة بالبهجة ، سألها أخوها كيف
استطاعت أن تربي ولديها !! قالت له ان (فاتيک) دائم الازعاج ،
وكسول وغير مطيع ومتوحش ، لكن (ماكهان) ولد نقى كالذهب ••
هادى كالحمل الوديع ، وعاشق للقراءة والتأمل ، عرض عليها
(بيشامبر) أن يأخذ (فاتيک) معه ويعلمه مع أبنائه فى كلكتا ، وعلى
الفور وافقت الأرملة ، ووجه بيشامبر السؤال للصبي :

- فاتيک ؟ هل تود أن تأتي معى الى کلکتا ؟
فرح فاتيک فرحا غامرا ، وفى نبرات واثقة هتف :
- أوه !! بالتأكید يا خالى سوف أذهب معک .

كانت خدمة كبرى للأم ، فهى بذلك ستتخلص من ازعاج فاتيک .
خاصة وأن الحب مفقود بينه وبين أخيه ، انها كثيرا ما كانت تخشى أن
يفرق فاتيک أخاه فى النهر ، أو يشج رأسه فى احدى المعارك ، أو يدفعه
الى خطر ما ، وفى نفس الوقت كانت دهشتها مختلطة بالحزن ، وهى تسأل
نفسها عن سر هذا الشوق الطاغى لدى الصبى لأن يترك بيته !!

الى أن انتهت استعدادات الرحيل لم يتوقف فاتيک عن سؤال خاله
كل دقيقة عن موعد السفر ، كان ينتظر الموعد بشوق عارم ، الى حد أنه
ظل مستيقظا معظم ساعات الليل ، وفى الصباح مد يديه نحو أخيه
باقتناع كامل ، فأهداه سسنارته ، والمطواة الطويلة ، ثم عاد فأهداه
كل ما يملك من قطع الرخام ، حتى بدا كرمه نحو أخيه ساعة الرحيل
كرما بلا حدود .

فى کلکتا ، رأى فاتيک زوجة خالة لأول مرة ، لم تكن زوجة الخال
سعيدة بهذه الاضافة غير الضرورية لأسرتها ، كان يكفيها عناء تربية
أبنائها الثلاثة ، أما أن يعجى لها زوجها بصبى آخر فى سن الرابعة عشرة ،
فهذا أمر يدعوها الى الضيق والقلق ، كان يجب على زوجها ، أن يفكر
كثيرا .. قبل أن يقدم على هذا التصرف الأحمق .

ليس فى العالم شيء أكثر ازعاجا من صبى فى الرابعة عشرة ، فلا هو
مسلم ولا مفيد ، مستحيل أن تحنو عليه كما تحنو على طفل صغير ، وهو
دائما متمسك برأيه فى عناد ، اذا تلعث فى الكلام خجلا فهو فى نظـر
الآخرين طفل صغير ، واذا تحدث بأسلوب الكبار فهو ولد غير مهذب
وقليل الحياء ، حديثه دائما يبعث على الاستياء ، انه فى سن لا تريح
الآخرين ، يخلع ملاپسه فى عجلة ويقذف بها كيفما اتفق ، صوته أجش
وعال ومضطرب ، ملامحه فى هذه السن تزداد حدة وتفقد جمالها القديم ،
من السهل أن تغفر للطفل الصغير قصوره ، لكنه من الصعب أن تتحمل
أخطاء صبى فى الرابعة عشرة ، حتى لو كانت هذه الأخطاء هفوات
صغيرة ، ان لدى الصبى فى هذه السن شعورا مرضيا بالذات ، فهو
مع الكبار اما متهور لا يتحدث فى الوقت المناسب .. أو خجول الى درجة
يبدو معها أنه يكره الذين جاءوا به الى الحياة ، وهو غالبا يشتهي الحب

والتعارف ، ويصبح عبدا مخلصا لمن يبسدى نحوه التقدير والاحترام ، وفي الغالب لا يبسدى له أحد حبا لأن ذلك يعتبر تدليلا غير ملائم لولد في هذه السن ، أما اذا وجه أحد اليه اللوم أو الزجر ، فانه يصبح مثل كلب ضال تاه من صاحبه .

ان البيت هو الجنة الوحيدة التي يمكن أن يحبها صبي في الرابعة عشرة ، أما أن يعيش في بيت غريب مع أناس غرباء فهذا بالنسبة له أشد العذاب ، لكنه يصبح في منتهى السعادة اذا اختصته النساء بنظرات الود ولمسات المرح . حتى لو كانت مشوبة بشئ من الاستخفاف ، ولذلك فقد كان عذابا لفاتيك أن يكون ضيفا غير مرحوب فيه من زوجة خاله التي كانت دائمة الاحتقار له والاستخفاف به ، ومع ذلك فانها عندما تطلب منه أن يقوم بأى عمل بدلا منها كان يؤديه باتقان وهو يحلق على أجنحة السعادة ، ولكنها كانت كثيرا ما تقول له بعد القيام بالعمل الذى كلفته به :

— لماذا أنت غبي الى هذا الحد ؟ هيا ، هيا عد الى دروسك .

هذا السلوك من زوجة خاله رسب في نفسه شعورا بالاضطهاد ، وبالرغبة فى الانطلاق ، يحس بالحاجة الى ملء رثتيه بهواء نقي فى الخلاء ، ولكن من أين له بالخلاء وهو محاط من كل ناحية ببيوت كلكتا وجدرانها المتلاصقة ؟ ليلة بعد أخرى راح يحلم بالقصرية . ويعذبه الشوق الى بيته هناك ، تذكر الخميطة البهيجة التي كان يقضى نهاره فيها ، ممسكا بخيط طائرته الورقية التي تلاعبها الريح فى الفضاء ، وتذكر شاطئ النهر حيث كان يتجول مزاحما بغنائيه أغاريد البلابل والعصافير ، وجداول المياه الصافية الهادئة حيث كان يسبح ويغوص كلما شاء ، وعصبة الصبية الذين كان يسيطر عليهم سيطرة طاغية ، حتى أمه التي طالما تحاملت عليه وظلمته ، بدأت تملأ خياله نهارا وليلا ، أنه الآن يتلهف لأن يكون مع شخص يحبه ويحنو عليه ، ولقد بدأ يبكى بكاء مكتوما فى أعماق قلبه لهفة الى رؤية أمه ، كان بكأؤه يشبه خوار عجل صغير لرؤية الغسق ، وكان حبه أقرب ما يكون الى فطرة الحيوان ، حبا يقتات الذبول فى قلبه العصبى القبيح الرقيق ، لكن أحدا فى البيت لم يستشف مشاعر الصبي التي افترست عقله كما يفترس الجزار الدبيجة .

وفى المدرسة لم يعد هناك تلميذ أكثر تخلفا من فاتيك ، فعندما يسأله المدرس سؤالا ، يحدق فى وجه المدرس ويظل صامتا ، مثل حمار حملوه فوق طاقته راح الصبي يتلقى ضرب المدرسين . وسخرية

زملائه فى الفصل ، وعندما كان الأولاد يخرجون من بيوتهم للعب كان فاتيک يقف بجوار النافذة حزينا رائيا الى السطوح البعيدة ، وإذا شد بصره أطفال يلعبون فى احدى الشرفات كان قلبه يتمزق ألما وشوقا الى أجران القرية .

ذات يوم استجمع فاتيک شجاعته وسأل خاله :

— خالى ؟ متى أستطيع العودة الى بيتى ؟

— عليك أن تنتظر حتى تجيء الاجازة يا فاتيک .

— لكن الاجازة بعيدة لا تجيء الا فى أكتوبر .

وذات يوم آخر فقد فاتيک كتابا مدرسيا ، كان من الصعب عليه — حتى بالاستعانة بالكتب — أن يجهز دروس اليوم التالى ، أما الآن فقد أصبح كل شيء مستحيلا ، صار بؤسه العميق باعثا لخجل أبناء خاله من انتسابه اليهم ، أصبحوا يتكلمون عليه ويشتمونه أضعاف ما يفعل الآخرون ، ومع ذلك فقد ذهب فاتيک الى زوجة خاله ذات صباح وأخبرها بأنه فقد كتابه ، عند ذلك انفجرت فيه بأقسى عبارات الازدراء :

— أيها الولد العظيم !! يا ثفيل الظل يا جلف !! كيف أستطيع أن أشسرى لك كتابا جديدا كل شهر خمس مرات وأنا لدى أسرة على أن أرعاها ؟

فى مساء ذلك اليوم .. وفى طريق عودته من المدرسة .. كان فاتيک يعانى من صداع ثقيل ، وكان جسده يرتعش ، أحس كأنه أصيب بالمalaria ، لكن خوفه الأكبر كان من الازعاج الذى سوف يصيب زوجة خاله من مرضه بالمalaria .

وفى الصباح التالى اختفى فاتيک من البيت ، عينا حاولوا العثور عليه فى الناحية وبيوت الجيران ، كان المطر ينهمر سيولا طوال الليلة السابقة وما يزال ، والذين ذهبوا للبحث عن فاتيک عادوا بملابسهم وأجسامهم مبتلة ، وأخيرا لجأ (بيشامير) الى البوليس ليساعده .

عند حلول المساء ، وكان المطر ما يزال ينهمر ويقلب الشوارع أنهارا ، وقفت عربة بوليس بالباب ، هبط منها اثنان من الكونستبلات يحملان فاتيک فوق أيديهما وانزلاه أمام (بيشامير) ، كان الصبي مبتلا من رأسه الى قدميه وملطخا بالطين ، والحمى ترعش وجهه وعينيه وأطرافه ، حمله بيشامير بين ذراعيه الى داخل البيت .. وهناك راحت زوجته تلومه بصوت مرتفع :

— أى حشد من المشاكل يسببها لنا هذا الولد !! ألم يكن من الأفضل أن تعيده الى أمه !!

عندما سمع فاتيک هذه الكلمات انخرط يبكى فى نسيج لاهت وهو يقول لخاله :

— لقد كنت فى الطريق الى بيتنا ، لكنهم أمسكوا بى وجرجرونى الى هنا .

تزايدت الحمى ، وعندما هبط الليل كان فاتيک قد بدأ يهذى ، جاء له خاله بطبيب ، وبعد انصراف الطبيب فتح الصبى عينيه ، حدق نى السقف ساردا وقال :

— خالى ؟ هل جاءت الاجازة ؟

ازدحمت عيننا بيشامير بالدموع ، أخذ يدى فاتيک الرقيقتين الساخنتين بين يديه وظل ساهرا الى جواره طوال الليل ، مرة أخرى عاد الصبى يتمتم ، وفجأة تحولت تمتماته الى صياح :

— أمى !! انى أقول الحقيقة يا أمى !!

وفى الصباح استرد قليلا من الوعى .. جالت عيناه فى أرجاء الغرفة كمن ينتظر قدوم شخص ما ، ولما طال انتظاره انفاب بحركة يائسة وأعطى وجهه للحائط .

قرأ الخال أفكار الصبى فأحنى رأسه فوقه وهمس :

— فاتيک ؟ لقد أرسلت لأمك لكى تأتى .

وجرجر النهار أذياله ورحل ، جاء الطبيب مرة أخرى وقال بصوت مضطرب ان الصبى أصبح فى حالة حرجة وخطيرة ، بينما كان فاتيک يردد فى صرخات مشوشة :

— بجوار العلامة ، ثلاث قامات ، بجوار العلامة ، أربع قامات .
بجوار العلامة .

كثيرا ما كان يسمع البحارة فى المراكب البخارية وهم يتنادون بموقع العلامة التى ترشددهم الى المرسى . والآن يخوض الصبى بنفسه بحرا مضطربا بلا قرار .

ومع الغسق جاءت أمه .. مندفعة الى الحجرة مثل الاعصار ، متمائلة الى الأمام والخلف وهى تولول فى كل اتجاه ، رمت بنفسها الى جوار ابنها وراحت تبكى وتنتحب وتصرخ :

- فاتيـك حبيبي ؟ فاتيـك !!

توقـف جسـد الصـبـي برهة تن ارتعاشاته القلقة ، وكفت يـداه من
تحسس الفضاء ، وهمس ذاهلا ..

- هـه ؟

صرخت أمه مرة أخرى :

- فاتيـك حبيبي ؟ فاتيـك ؟ فاتيـك ؟ حبيبي ؟

ببطء شديد جالت عيناه فيما حوله ، لكنه لم يسـنـطـع أن يـرى
الزحام حول الفراش ، وبعد لحظات من الصمت عاد يتمتم :

- أمي ؟ هل جاءت الأجازة ؟

« ماليئى »

مسرحة من فصل واحد

تأليف : رابندراناث تاجور

شخصيات المسرحية

- ماليئى : أميرة شابة •
- الملكة : أم ماليئى •
- الملك : والد ماليئى •
- كيما نكار : كاهن تحت التمرين •
- سـوبـريا : كاهن تحت التمرين
- الكاهن الأول
- الكاهن الثانى
- الكاهن الثالث
- خادم البلاط

● ● المشهد الاول ● ●

« شرفة القصر المواجهة للميدان ، تقف فى الشرفة الأميرة الصبية لجميلة مالينى .. تحديق نحو السماء فى وداعة .. تغمض عينيها لحظات .. ثم تفتحهما فى اندهاش عميق بالوجود .. »

مالينى : لقد جاءت اللحظة ، اللحظة التى تطالبني بحياتي ، ها أنذا مل قطرة ندى فوق ورقة لوتس ترتعش على صدر هذا الزمان المديد ، أغلق عيني ، فأبدو ، أبدو وكأنى أسمع ضجيج السماء ! قلبى يسكنه العذاب ، لست أعرف سببا لهذا العذاب !

(تدخل الملكة الى الشرفة)

الملكة : ابنتى ! ما هذا ! لماذا تنسين ارتداء الملابس التى تليق بجمالك وشبابك ؟ أين حليك يا فجرى الجميل ؟ كيف تستطيعين أن تستغنى عن رنين الذهب هنا فى أذنيك ! وعلى صدرك ، وفى معصميك ؟

مالينى : أماه ! ان البعض يولدون فقراء .. حتى هنا فى بيت الملك ، ان الشروة لا تغرى أولئك الذين .. الذين قدر عليهم أن يجدوا غناهم فى فقرهم ..

الملكة : هذه الطفلة التى كانت لغتها الوحيدة هى البكاء ، كيف تتحدث الى بمثل هذه الألغاز ! ان قلبى يزلزله الخوف عندما أستمع اليك ، من أين جئت بعقيدتك الجديدة ؟ هذه العقيدة التى تخالف كل كتبنا المقدسة ؟ استمعى الى يا طفلتى ، انهم يقولون ، ان الرهبان البوذيين الذين تعلمت على أيديهم ، يزاولون السحر ، ويلقون بسحرهم فى عقول الناس لكى يؤمنوا بالأكاذيب ، ولكن ، ولكنى أسألك : هل العقيدة شئ يجب على الانسان أن يبحث عنه ؟ أليست العقيدة مثل ضوء الشمس الذى يوهب لك طوال العمر ؟ انى .. انى امرأة بسيطة لا أستطيع أن أفهم كل أديان الناس

ومذاهبهم ، أنا فقط أعرف الهدف الحقيقي للنساء ، وهو منحة
تأتى الى أيديهن بلا سؤال ، فى صورة الأزواج والأطفال •

(يدخل الملك)

الملك : ابنتى ! ان السحب العاصفة تتجمع فوق بيت الملك ، لا تنمادى
فى السير على طريق الخطر • توقفى • توقفى ولو لفترة قصيرة •

الملكة : ما هذه الكلمات الغامضة ؟

الملك : يا طفلتى الحمقاء ، اذا كان عليك أن تجلبى هذه العقيدة الجديدة
الى وطننا العريق ، فلا تدعيها تأتى مثل طوفان مفاجئ يهدد
الساكين على الشاطئ ، احتفظى بإيمانك لنفسك ، لكى لاتنهال
على عقيدتك كراهية الشعب وسخريتهم •

الملكة : لا تزجر ابنتى ، بل علمها الدهاء ، علمها دهاء دبلوماسيتك ،
لقد تركت لها أن تختار معلمها بنفسها ، وتختار لنفسها الطريق ،
لست أدرى اذن من يستطيع أن يلومها !

الملك : أيتها الملكة ان سمعى نائرا ، انهم يصرخون فى الخارج مطالبين
بنفى ابنتى من المملكة •

الملكة : نفى ابنتك من المملكة ؟

الملك : الكهنة ، الكهنة خائفون من ابتعادها عن ديننا ، لقد اجتمعوا و -
وناقشوا ضلالها -

الملكة : ضلالها ؟ حقاً ؟ وهل الحقيقة كلها محصورة فى كتبهم العفنة
وحدها ؟ دعنى ألق بعقائدهم بعيدا ، هذه العقائد التى نخرها
السوس فليأتوا ويتلقوا الدروس من هذه الطفلة ، انى أقول لك
أيها الملك : ان ابنتى ليست بنتا عادية ، انها لهب من النار
النقية ، لقد ولدت فى ابنتى أرواح مقدسة ، لاتزدريها ، والا فانك
يوما ستضرب رأسك بكفيك وتبكي •• دون أن تجد لابنتى أثرا •

مالينى : أبى •• حقق لشعبك ما يطلبه ، لقد حانت اللحظة الرائعة ،
اطردنى الى المنفى •

الملك : لماذا يا ابنتى ؟ أى عوز تحسبن به فى بيت أبيك ؟

مالينى : أنصت الى يا أبى ، ان هؤلاء الذين يصرخون مطالبين بنفى من
المملكة ينتحبون أيضا من أجل ، أماء ! ليس لدى كلمات أستطيع
بها أن أعبر عما فى عقلى ، اتركينى ، اتركينى أذهب الى المنفى دون

أن تندمى ، كوني مثل الشجرة التى تنثر أزهارها دون أن تلتفت إليها ، دعيني أذهب الى كل البشر ، ان العالم كله يطلبنى من الملك .

الملك : ما هذا الذى تقولين يا ابنتى ؟ انى لا أفهمك .

هالينى : أبى ، انك ملك ، كن قويا وأنجز مهمتك .

الملكة : ابنتى ؟ أليس لك هنا على القصر مكان ؟ أليس هذا القصر مسقط رأسك ؟ هل - هل أثقال العالم كلها فى انتظار كنفيك الصغيرتين ؟

هالينى : وأنا مستيقظة أحلم ، أحلم أن الريح متوحشة ، وأن المياه مضطربة ، والليل مظلم . والزورق قد رسسوا رسوا هادئا فى السماء ، أين القائد الذى سيعود بالتائهين الى بيوتهم ؟ أحس بأنى أعرف الطريق ، وعندما ألمس الزورق . سوف يهتز بالحياة . وينطلق .

الملكة : هل تسمع أيها الملك ؟ كلمات من هذه ؟ هل هى كلمات هذه الفتاة الصغيرة ؟ هل هذه ابنتك حقا وأنا التى ولدتها !

الملك : نعم ، على الرغم من أن الليل هو الذى يلد الفجر ، فان الفجر لا ينتمى الى الليل ، ان الفجر ينتمى الى كل العالم .

الملكة : أليس لديك شئ تقيدها به فى بيتك ؟ تقييد هذا الطيف الجميل !! تعالى يا حبيبتي ، لقد تنأثر شعرك على كتفيك ، دعيني ألملم شعرك وأسويه وأعصبه . هل هم يتحدثون عن النفى أيها الملك ؟ اذا كان النفى جزءا من عقيدتهم ، اذن فلندع هذه العقيدة الجديدة تقبل ، لعل الكهنة يتعلمون من جديد ماذا يكون الحق .

الملك : أيتها الملكة ، هيا نبتعد بابنتنا عن الشرفة ، هل ترين الزحام يتكاثر فى الطريق ؟

« يخرجون من الشرفة - يدخل زحام من الكهنة الى الشارع المقادى للشرفة ، يهتفون » .

الكهنة : النفى لابنة الملك ! النفى لابنة الملك !

كيما نكار : أيها الأصدقاء ، فليظل قراركم ثابتا ، ان المرأة ^{جائلة} عدوا لنا يجب أن يلقي فى قلبها الرعب ^{حلم} من العيب أن تعامل المرأة بمنطق للحثبة المنيعه !
خجلا ، أليس مخجلا لند
الى ضعف الملك

الكاهن الأول : يجب أن نعقد جلسة مع ملكنا ، لنخبره بأن الحية التي ترتع في عشه الملكي قد رفعت رأسها السام ، وأن هدفها هو قارب عقيدتنا المقدسة .

سويريا : عقيدتنا ؟ يالى من غبى !! اننى لا أفهمك ، أخبرنى يا سيدى . هل عقيدتكم تطالب بنفى فتاة بريئة ؟

الكاهن الأول : انك فضولى ومؤذ يا سويريا ، أنت هكذا دائما .. عائق معطل لمشروعاتنا .

الكاهن الثانى : لقد اتحدنا للدفاع عما نؤمن به ، وها أنت تأتى مثل شرح خبيث فى الحائط ، انك ابتسامة باهتة على شفاهنا المثقلة بالازدراء .

سويريا : هل تعتقد أننا بقوة البشر سوف نفرض الحق ؟ وأن العقل سوف يغرق فى أمواج صيحاتكم ؟

الكاهن الأول : هذه وقاحة صارخة يا سويريا .

سويريا : أنا لست وقحا ، الوقحون هم هؤلاء الذين يصوغون أسفارهم لتناسب قلوبهم الضيقة .

الكاهن الثانى : لقد وافقنا جميعا على نفى الأميرة ، والذى يؤمن بغير ذلك عليه أن يترك هذا الاجتماع .

سويريا : أيها الكهنة كان خطأ منكم أن تختارونى عضوا فى حلفكم هذا ، فأنا لست ظلا لكم .. ولا صدى لتعاليمكم . أنا لن أدخل الى أبهاء الحق بالصوت المجلجل ، انى أشعر بالخزى أن أدين بعقيدة تعتمد فى بقائها على القوة .

(مخاطبا كيما نكار) يا صديقى العزيز ، دعنى أذهب .

كيما نكار : لا لن تذهب ، انى أعرف أنك رزين فى كل أفعالك ، أنت فقط تتناوبك الشكوك عندما تجادل ، اسكت يا صديقى ، اسكت لأن الزمن فاسد وشرير !

سويريا : على أية حال ، ان يقيى العماء الغبى .. هو أقسى ما يمكن لكن كيف تفكرون فى انقاذ عقيدتنا بنفى فتاة من بيتها ؟

اليسنت تؤمن بأن الله يخطئ ؟
الأمير كذلك فما الخطأ ؟ اليس

.. فائدة وروحها ؟ اذا كان

١٠- فائده ؟

كميا نكار : ان العقيدة واحدة في جوهرها ، لكنها مختلفة الأشكال ،
ان الماء واحد ، لكن اختلاف أشكال الأواني يجعل الماء ذا أشكال
مختلفة ، كذلك اختلاف الأنهار واتجاهات جسورها يوجه الماء
لشعوب مختلفة . اذا تفجر في قلبك ينبوع ماء عذب ، فلا تزدّر
جبرائك الذين يدفعهم العطش الى بركة أجدادهم ، حيث تبتشر
الطحالب على جدرانها المنحدرة ، وتقف الأشجار العتيقة على
جسورها ، لأن هذه الطحالب التي كانت طرية قد أنضجتها
العصور ، وهذه الأشجار الوفية تعطي ثمارها الخالدة بلا انقطاع .
سويريا : انى سوف أتبعك يا صديقي ، كما فعلت دائما ، سأتابعك دون
مناقشة أو سؤال .

(يدخل الكاهن الثالث)

الكاهن الثالث : لدى أخبار طيبة ، لقد ذاعت كلماتنا ، انتشرت وسادت ،
والجيش الملكي سينضم الينا علانية .

الكاهن الثاني : الجيش ؟ انى لا أطمئن لهذا الخبر .

الكاهن الأول : ولا أنا ، ان هذا الخبر يحمل رائحة الثورة .

الكاهن الثاني : يا كيما نكار .. انى لست مستعدا لمثل هذه الاجراءات
العنيفة .

الكاهن الأول : ان ايماننا سوف يحملنا الى النصر ، الايمان لا أيدنا
عائنا أن نتوب ونتلو الأسفار المقدسة ، هيا نصلي لالهتنا الحارسة .

الكاهن الثاني : يا الهتي !! تعالى ! ان انتقامك هو السلاح الوحيد في
أيدي عبادك ، تعطفى بالهبوط الينا ، حطمي أعداءنا ، بل اسحقهم ،
حولهم الى تراب هؤلاء الكفار العميان المتعطرين ، وأثبتي لنا
عظمة ايماننا ، وقودينا بنفسك يا إلهتي الى النصر .

الجميع : نتوسل اليك يا أمه ! انزلى من علياء سمائك ، وبرهنى على
سلطانك بين أبناء الموت .

(تدخل مالمى)

مالمى : هاأنذا أتيت .

(ينحنى الجميع اجلالا لها ، ماعدا كيما نكار وسويريا الذى يخطو
ويقف بعيدا يراقب ما يحدث) .

الكاهن الثانى : يا الهتى ! لقد أتيت أخيرا ، مثل ابنة للانسان أتيت ، مستعيدة بيننا كل قوتك المروعة ، ها أنت فى صورة فتاة رائعة الجمال ، من أين أتيت يا أماء ؟ ماذا ترغبين ؟ بل بماذا تأمرين ؟
مالينى : لقد هبطت الى منفى. كما تنادون .

الكاهن الثانى : من السماء الى المنفى ؟ لأن أبناءك الأرضيين تضرعوا اليك ؟

الكاهن الاول : سامحيننا يا أماء ! ان الخراب المطلق يهدد هذا العالم ، والعالم يصرخ اليك عاليا لتنقذيه .

مالينى : لن أتخلى عنكم، ولن أهجركم، انى أعرف أن أبوابكم دائما مفتوحة من أجلى ، لقد سمعت صراخكم الذى يطالب بنفى ، فنهضت من فراش الثراء والسعادة فى بيت الملك .

كيهانكار : الاميرة ؟

الجديع : ابنة الملك ؟

مالينى : انى مطرودة من بيتى ، لذلك ينبغى على أن أتخذ بيتكم بيتا لى ، ولكن ، أخبرونى بصدق ، هل أنتم فى حاجة الى ؟ لقد كنت أعيش فى عزلة ، هل ناديتونى من الخارج ؟ ألم أكن أحلم ؟

الكاهن الاول : أماء !! لقد أتيت فاتخذت مكانك فى أعماق قلوبنا .

مالينى : لقد ولدت فى بيت ملك ، لم أطل مرة واحدة من نافذتى ، كنت أسمع أنه عالم محزن ، ذلك العالم البعيد عن عينى ، لكنى لم أعرف بعد أين مصدر الألم فى جسد العالم ، علمونى كيف أكتشف مصدر الألم .

الكاهن الاول : ان صوتك العذب يملأ عيوننا بالدموع .

مالينى : (ناطرة الى أعلى) لقد أفلت القمر بعيدا عن تلك السحب ، هناك سلام رحيب ، ها هى السماء تبدو كأنها تضم العالم كله بين ذراعيها ، فى حضن فسيح من ضوء القمر ، هناك يمتد الطريق !! يضيئ بين الأشجار المهيبة وبين سكون الظلال ، البيوت هناك ... والمعبد ... شاطئ النهر البعيد يبدو موحش الظلمة ، وأنا ، كانى هبطت مثل رخة مطر مفاجئة من أحلام السحاب ، على جانب طريق ظامئة فى عالم البشر .

الكاهن الاول : أنت لهذا العالم روحه المقدسة !!

الكاهن الثانى : عندما هتفنا بنفيك ، لماذا لم تحترق ألسنتنا فى نيران الألم ؟!

الكاهن الأول : تعالوا أيها الكهنة !! هيا نعيد أمنا الى بينها •
الجميع : (يهتفون) النصر لأم العالم ، النصر لأمنا فى قلب ابنة الانسان •

(تذهب مالينى وهم يحيطون بها)

كيما نكار : (لسويريا) فليخفف الوهم عن أبصارنا ، أين أنت ذاهب يا سويريا ؟ انك تشبه من يمشى وهو نائم •

سويريا : لا تمسك بى ، دعنى أذهب •

كيما نكار : فلسيطر على عواطفك ، أم أنك أيضا ستلقى بنفسك فى النار مع القطيع الأعمى ؟!

سويريا : كيما نكار ؟ هل كان هذا حلما !!

كيما نكار : لا لم يكن حلما ، افتح عينيك يا سويريا واستيقظ •

سويريا : كيما نكار ؟! ان رجاءك فى السماء باطل ، وأنا عبثا ضللت فى مناهات المذاهب ، لم ألتق أبدا بالسلام ، ان آلهة العامة وآلهة الكتب ليس من بينها الهى ، هذه آلهة لن تحمىنى ، ولن تجيب على تساؤلاتى ، لكنى أخيرا •• اهتديت الى الشوق المقدس الذى يجيش فى قلب هذا الكون النابض •

كيما نكار : يا الهى !! صديقى سويريا ؟! انها لحظة مخيفة عندما يخدع القلب صاحبه ، ثم تصبح الرغبة العمياء كتابه المقدس ، عندما يغتصب الوهم عرش الخوف الذى تجلس عليه الآلهة !! هل ذلك القمر الراقد بين السحب الوبرية اللينة •• هو الشعار الصادق للحقيقة الخالدة ؟ غدا يا صديقى سوف يأتى النهار الصريح الساطع ، والجمع الجائع سوف يذهب ثانية بآلاف الشباك •• لبرضع من بحر الوجود ، عند ذلك ، سيصبح عسيرا تذكر الليلة القمرية ، ستصبح هذه الليلة مجرد غشاء رقيق كاذب •• مصنوع من خيوط النوم والوهم والظلام ، مجرد نسيج سحرى منسوج من طلاس المرأة المراوغة ، هل يمكن أن يرقى شئ كهذا الى سمو الحقيقة ؟ هل تستطيع أية عقيدة تولدت من خيالك أن تروى شقوق عطش الظهيرة عندما يستيقظ هذا العطش فى أحشاء الحرارة الحارقة ؟!

سويريا : يا الهى !! أنا لست أدرى !!

كيهانكار : اذن ، انزع نفسك من أحلامك ، وانظر أمامك ، ان البيت العتيق ، يحترق ، يا الهى !! أطفال من هذه العصور ؟ ان أرواح أسلافنا تحاقق فوق الحراب الوشيك ، مثل طيور تصرخ فوق أعشاشها المحطمة ، هل هذا وقت الصراخ؟ عندما يكون الليل حالك السواد . . وطرقات الأعداء نددن الأبواب . . والسكان نائمين . . والرجال الذين أسكرتهم الأوهام يضغطون بأيديهم على حناجر اخوتهم ؟

سويريا : انى سأقف الى جوارك

كيهانكار : يجب أن أبعد عن هذا المكان

سويريا : الى أين ؟ لماذا ؟

كيهانكار : الى بلاد غريبة ، سوف أحضر جنودا من خارج البلاد ، ليخدموا هذه الأصوات التى تهتف ظمأ الى الدماء .

سويريا : لكن جنودنا مستعدون .

كيهانكار : ان الأمل فى مساعدة جنودنا عبث ، انهم يشبهون الحنثرات المجنحة التى تقفز دائما نحو النار ، ألا تسمع كيف يهتفون كالمجانين ؟ ان المدينة كلها جنت ، المدينة كلها تحمل مشاعلها المهرجانية نحو أختساب المحرقة ، لكى تحرق هناك جسد عقيدتها المقدسة .
سويريا : اذا كان لابد أن تذهب ، فخذنى معك .

كيهانكار : لا يا صديقى ، بل ابق انت هنا لتراقب كل ما يحدث ، وتخبرنى ، لكن ، لا تسمح للبدع الكاذبة أن تبعد قلبك عني .

سويريا : ان الكذب ظاهرة حديثة ، لكن صداقتنا قديمة ، لقد كنا دائما معا منذ الطفولة ، هذه أول مرة نفترق . .

كيهانكار : هل يمكن أن يكون فى فراقنا هذا نهاية لصداقتنا !! فى الأزمنة الفاسدة يا سويريا تسقط أقوى الروابط ، الاخوة يقتلون الاخوة ، والأصدقاء ينقلبون أعداء ، انى أخرج الآن الى قلب الظلام ، وفى ظلمة الليل أيضا سوف أعود الى بوابة هذا القصر ، هل سأجد صديقى ساهرا فى انتظارى ؟ ومصباحه مضاء من أجلى ؟ انى أذهب حاملا معنى هذا الأمل .

(يخرجان)

(يدخل الملك مع الأمير الى الشرفة)

الملك : انى أخشى أن أضطر الى نفى ابنتى .

الأمير : نعم يا أبى ، ان تأجيل الأمر سيصبح كارثة ، برغم انها أختى ، لكن نفيها ...

الملك : برقة يا بنى ، قلها برقة ، لا تشك فى أنى سأقوم بواجبى ، تأكد أنى سأنفيها .

(يخرج الأمير)

(تدخل الملكة)

الملكة : أخبرنى أيها الملك ، أين هى ؟ هل خبأتها ؟ حتى منى أنا تخبئها ؟

الملك : من هى ؟

الملكة : حبيبتى مالىنى

الملك : ماذا ؟ أليست فى حجرتها ؟

الملكة : لا ، لقد فشلت فى العثور عليها ، اذهب بجنودك وابحثوا عنها ، حتى لو فتشتم كل المدينة بيتا بيتا ، لقد سرقها أهل المدينة ، أصدر أمرك بنفيهم جميعا ، أخل المدينة من كل أهلها ، الى أن يعيدوا الى مالىنى .

الملك : أنا سوف أعيدها ، حتى لو تحطمت مملكتى .

(يدخل الكهنة والجنود محيطين بمالىنى حاملين المشاعل)

الملكة : يا حبيبتى !! ابنتى !! يا طفلتى العنيدة !! لن أدعك تغيبين عن عينى ، كيف استطعت أن تهربى منى وتخرجى من القصر ؟

الكاهن الثانى : لا تغضبى منها أيتها الملكة ، لقد أتت الى بيتنا لتهبنا بركاتها .

الكاهن الأول : (للملكة) هل هى ابنتك فقط ؟ أليست تنتمى اليها جميعا ؟

الكاهن الثانى : يا أمنا الصغيرة ، لا تنسينا ، يا نجمتنا المضيئة ، التى ستقودنا عبر طرقات الحياة الوعرة .

ماليشى : لقد فتح لكم بابى ، هذه الجدران لن تفرقنا بعد الآن .

الكهنة : اننا لمباركون ، والارض التى ولدنا عليها مباركة

(الكهنة يخسرون)

مالينى : أمى ، لقد أتيت بالعالم الخارجى الى بيتك ، انى أبدو كما لو كنت قد فقدت حدود جسدى ، لقد اتحدت مع الحياة غير النهائية فى هذا الكون الجميل .

الملكة : نعم يا ابنتى ، ومنذ الآن ، لن تحتاجى الى الخروج من بيتى ، هاتى العالم كله الى هنا ، لك ولأمك أيضا ، لقد أصبحنا فى الهزيع النانى من الليل ، اجلسى هنا ، اهدئى ، اطمئنى ، يا للحياة المشتعلة فيك !! ان مشاعل الحياة تلتهم النوم من عينيك .

مالينى : (تحتضن أمها) أمى !! أنا متعبة ، جسدى يرتعش ، ما أرحب هذا العالم !! أمى العزيزة ، غنى لى أغنية لأنام ، لقد بلغت عيني الدموع ، والحزن يتساقط على قلبى ، غنى لى أغنية لأنام !!

● ● المشهد الثانى

(حديقة القصر تحت الشرفة ، مالينى وسويريا)

مالينى : ماذا يمكن أن أقول لك ؟ أنا لست أعرف كيف يكون الجدل ، فأنا لم أقرأ كتبكم .

سويريا : انى لم أعلم الا بين حماقات التعليم ، ثم رميت خلف ظهري بكل الحوارات والكتب ، أرشدني يا أميرتى ، ولسوف أتبعك كما يتبع المصباح ظله .

مالينى : ولكن ، أيها الكاهن ، عندما تسألنى فانى أفقد كل قوتى ، ولا أعرف كيف أجيب ، ان هذا يدهشنى ، حتى انت ؟ يا من تعلم كل شئ ؟ تأتى الى لتسألنى ؟

سويريا : لست آتى اليك يا أميرتى من أجل المعرفة ، بل لتساعدني على نسيان كل ما تعلمته ، ان الطرق أمامى بلا عدد ، لكن النور قد ضاع منى .

مالينى : يا الهى !! سيدى !! انك تطالبنى بالكثير ، وأنا يا لأشد ما أعانى من العوز !! أين هذا الصوت الذى فى داخلى ؟ أين الصوت الذى جاءنى يوما من السماء ؟ مثل بريق خفى من النور أضاء قلبى واتخذته

مسكنا ؟ لماذا لم تأت في ذلك اليوم يا سيدى وظللت تعاني من
السك ؟ الآن !! وقد التقيت بالعالم وجهها لوجه • صار قلبي جباناً ،
لست أعرف كيف أمسك بدفة السفينة الهائلة •• التي كتب على أن
أقودها !! أشعر بأنى وحيدة !! وبأن العالم هائل وبلا ضفاف ،
الطرق كثيرة ، والضوء يأتى فجأة من السماء ، ليتلاشى فى اللحظة
التالية ، وأنت ؟ أنت أيها العالم الحكيم •• ألا تساعدنى ؟!

سويريا : انى سعيد الحظ اذ تطلبين معونتى !!

مالينى : هناك زمان أيها الحكيم ، عندما يخنق اليأس كل مسالك الحياة ،
عندما ترتد فجأة نظراتى من بعيد الى ذاتى بين زحام البشر وأجد
نفسى وحيدة أرتعد من الخوف ، هل تصحبنى عندما تجيء تلك
اللحظات السوداء ؟! هل ستنطق بكلمة أمل واحدة •• تعيدنى مرة
أخرى الى الحياة ؟

سويريا : سوف أكون مستعداً ، سوف أجعل قلبى بسيطاً نقياً ، وعقلى
هادئاً ، لاكون قادراً بصدق على خدمتك •

(يدخل خادم)

الخادم : (للمالينى) أهل المدينة يا سيدتى جاءوا يطلبون رؤيتك •
مالينى : ليس اليوم ، سبهم أن يسامحونى ، لابد لى من وقت أشبع فيه
عقلي المضنى وأستريح لأتخلص من هذا الملل •

(يخرج الخادم)

حدثنى ثانية عن صديقك كيما نكار ، انى مشتاقة لان أعرف كيف
كانت حياتك وتجاربك •

سويريا : ان كيما نكار صديقى ، أخى ، وسيدى ، هو راجع العقل منذ كان
صغيراً ، كانت أفكارى دائماً شكوكاً مرفرفة ، وكان هو دائماً يقربنى
من قلبه ، تماماً مثلما يحتضن القمر بقعه المظلمة ، ولكن يا أميرتى ،
مهما تكن السفينة قوية البناء ، فان ثقباً صغيراً مختلفاً فى قاعها
سوف يغرقها ، هكذا كان على أن أغرقك يا كيما نكار ، لابد أن أغرقك
طاعة لنا موس الطبيعة !!

مالينى : هل أغرقت صاحبك ؟

سويريا : نعم أغرقته ، فى ذلك اليوم الذى أجهض فيه التمرد ، خجلا من الضوء الذى يغمر وجهك ، وخجلا من موسيقى السماء التى زفقتك الينا ، كان كيما نكار وحده رابط الجأش ، تركنى خلفه وقال ، ان عليه أن يذهب الى بلاد غربية لياتى بجنود غرباء ، لكى يقتلعوا العقيدة الجديدة من أرضنا ، أنت تعلمين ما حدث بعد ذلك ، لقد جعلتنى أحيا ثانية فى أرض الميلاد الجديد « الحب لكل الحياة » ، كانت كلماتك هذه كلمات تنتظر منذ الزمان القديم لتصبح حقيقة ، ولقد رأيت هذه الحقيقة بعينى مجسدة فيك ، ناديت بقلبي على صديقى كيما نكار ، لكنه كان قد ابتعد كثيرا من قدرتى على اللحاق به ، ثم جاءنى خطابه الذى يقول فيه ، انه قادم فى صحبة الجيش الغربى ، ليزيل الدين الجديد حتى من الدماء ، وليعاقبك بالموت ، لم أستطع الانتظار أكثر من ذلك ، فهرولت بالخطاب الى الملك .

مالينى : لماذا نسيت نفسك يا سويريا ؟ لماذا هزمتك الخوف ؟ أليس فى بيتى حجرة تكفى لاستضافة كيما نكار وجنوده ؟

(يدخل الملك)

الملك : تعال بين ذراعى يا سويريا ، لقد ذهبت فى الوقت المناسب لأفاجئ كيما نكار وأجىء به أسيرا ، لو تأخرت ساعة واحدة ٠٠ فان صاعقة كانت ستنقض على بيتى وأنا نائم ، انك صديقى يا سويريا ، تعال ٠٠٠

سويريا : سامحنى يا الهى !!

الملك : لقد كنت أحب كيما نكار ، ولكن ، ألا تعلم أن حب الملوك حب بلا أساس ؟ سويريا ؟ انى أعطيك مهلة لتفكر ٠٠ وتطلب منى المكافأة التى تروق لك ، قل لى ، أى مكافأة تريد ؟

سويريا : لا شىء يا أبى ، لا شىء ، أنا سوف أحيا ، سوف أحيا شحاذا من باب الى باب .

الملك : يا صديقى ، ليس عليك الا أن تطلب ، سويريا ؟ سوف تحصل منى على مقاطعات يسيل لها لعاب الملوك .

سويريا : هذه المقاطعات يا أبى لا تغرينى ٠٠ ولا تعزينى .

الملك : انى أفهمك ، انى أعرف نحو أى قمر تهفو يدك ، أيها الشاب المجنون كن شجاعا ، اطلب ما يبدو لك مستحيلا ، لماذا لا تتكلم ؟ هل تذكر ذلك اليوم ؟ عندما توسلت الى معهم أن أنفى ابنتى من المملكة ؟ ترى !! هل تكرور نفس رجائك الآن ؟ يا ابنتى العزيزة ؟! هل نعرفين أنك مدينة بحياتك لهذا الفتى النبيل ؟ هل يصعب عليك أن تردى له الدين بما لديك من ٠٠٠ ؟

سويريا : رحمة يا أبى ، لا تكمل هذا الكلام ، ان هناك عبادا كثيرين ، أقصى رغباتهم هى أن يتعبدوا طوال حياتهم ، لو أكون واحدا منهم فسوف أكون سعيدا ، ولكن ، أقبل شيئا من الملك مكافأة لى على الحيانة ؟ (للأميرة) يا سيدتى ؟ انك تتمتعين بالمجد وبالكمال ، أنت لا تعرفين سر أشواق روح فقيرة مهانة ، انى لا أجرؤ على أن أطلب منك أى شىء ٠٠ أكر من حنان حبك الذى تغمرين به كل مخلوقات هذا العالم ٠

مالينى : أبى ؟ ما العقاب الذى أعدته ؟

الملك : سوف يموت

مالينى : انى أجثو تحت قدميك ٠٠ لكى تصفح عنه ٠

الملك : ابنتى ؟ لكنه متمرد !!

سويريا : هل تدينه أيها الملك ؟ هو أيضا أدانك عندما أراد أن يعاقبك على عدم نفى مالينى ، لكنه لم يفكر فى أن يسرق مملكتك ٠٠ وحياة الانسان مملكته ٠

مالينى : دع له حياته يا أبى ، عند ذلك فقط ٠٠ سوف يكون من حقك أن تهب صداقتك لمن أنقذك من الخطر ٠

الملك : ما قولك يا سويريا ؟ هل أعيد صديقا الى ذراعى صديقه ؟

سويريا : هذا يا أبى ما يليق بالملوك ٠

الملك : كل شىء سيأتى فى وقته ، سوف تستعيد صديقك ، لكن كرم الملك يجب ألا يتوقف عند ذلك ، على أن أعطيك هدية تتجاوز آمالك ، ليس مجرد جائزة ، فانك قد كسبت قلبى ، وقلبى الآن مستعد لأن يقدم لك أئمن كنوزه ، ابنتى ! ٠٠ لم هذا الخجل ؟ أين كنت تخشين هذا الخجل قبل الآن ؟ ان فجرك لم يكن له بشائر الضوء الوردية هذه من قبل ، كان ضوء فجرك أبيض ومبهرا فقط ، ولكن ، اليوم ، هناك قطرات دموع رقيقة كالندى تمتزج بحلاوة عينيك ٠

(لسويريا) اترك قدمي ، انهض وتعالى الى قلبي ، قلبي الذى تتزاحم فيه السعادة والألم ، سويريا ، اتركنى الآن لحظات ، أريد أن أكون وحدى مع مالينى .

(يخرج سويريا)

أشعر أنى وجدت طفلتى مرة أخرى ، ليس كنجمة ساطعة فى السماء ، بل الزهرة الجميلة التى تتفتح فى بهاء الأرض ، انها ابنتى . .
حبيبة قلبي مالينى .

(يدخل الخادم)

الخادم : الأسير كيমানكار بالبواب .

الملك : أحضره ، فليات بعينين ثابتتين ، برأسه المتكبر مرفوعا الى أعلى ، بالطيف المتأمل على جبهته ، مثل سحابة رعديّة ساكنة على صدر عاصفة خامدة .

مالينى : ان السلاسل الحديدية تخجل من نفسها . . اذ تقيّد أطراف كيমানكار ، ان من يهين الرفعة يا أبى يهين ذاته ، ان كيমানكار يشبه اله المعبد الذى يزدري من قيوده .

(يدخل كيমানكار مقيدا بالسلاسل)

الملك : بماذا تتوقع أن أعاقبك ؟

كيমানكار : المسوت .

الملك : ولكن ، اذا صفحت عنك ؟

كيمانكار : عند ذلك سوف تعود الى الفرصة . . لاكمل العمل الذى كنت قد بدأت .

الملك : يبدو أنك تكره حياتك ، قل لى اذن ما رغبتك الأخيرة !! اذا كانت ثمة رغبة لديك ؟

كيمانكا : أريد أن أرى صديقى سويريا قبل أن أموت .

الملك : (للخادم) قل لسويريا أن يدخل

مالينى : ان فى هذا الوجه قوة تخيفنى ، أبى ، لا تدع سويريا يأتى ،

الملك : ان خوفك لا أساس له يا ابنتى .

(يدخل سويريا متجها نحو كيما نكار فاتحا ذراعيه)

كيما نكار : ليس الآن ، دعنا نتحدث أولا ، وبعد ذلك تكون تحية الحب ،
تعال قريبا منى ، أنت تعرف أننى لا أجيد الكلام ، ولم يبق لى من
الحياة الا وقت قصير ، لقد انتهت محاكمتى ، أما محاكمتك فلم تنته
بعد ، قل لى ، لماذا فعلت هذا ؟

سويريا : يا صديقى ، انك لن تفهمنى ، كان على أن أصون عقيدتى ،
حتى لو ضحيت فى سبيل ذلك بحبى .

كيما نكار : انى أفهمك يا سويريا ، لقد رأيت أنا أيضا وجه الفناء ينالقي
بنور يشع من داخلها ، مثل صوت أصبح ممكنا أن يرى ، ولقد قدمت
أنت لبريق هاتين العينين ايمانك بدين آبائك ، وايمانك بخير بلادك ،
وشيدت معها ديننا جديدا مؤسسا على الغدر والخيانة .

سويريا : أنت على حق يا صديقى ، لقد جاءنى الايمان الكامل فى صورة
مالينى ، كانت كتبك المقدسة بالنسبة لى بكما ، وبمعرفة الضوء
الباهر فى هاتين العينين قرأت كتاب الخليقة . . فعرفت أن الايمان
الحقيقى هناك ، حيث يكون الانسان ، وحيث يكون الحب ، انه
الايمان الذى يأتى من حب الأم لطفلها . . ذلك الحب الذى يظل
يرتد من الطفل الى أمه ما بقى كلاهما فى الحياة ، انه الايمان الذى
يهبط مع هبة المحسن ، ويتجسد فى قلب الفقير الذى تلقى الحسنه ،
لقد قبلت ميثاق هذا الايمان ، الميثاق الذى تكشف أضواؤه عظمة
الانسان كلما أرسات بصرى الى وجه مالينى ، الوجه المملئ بالنور
والحب ، والطمأنينة ، والحكمة الخافية .

كيما نكار : أنا أيضا يا سويريا ، ذات مرة ، أرسلت بصرى الى هذا الوجه ،
وللحظة ، حلمت بأن الايمان ، قد عاد أخيرا فى صورة امرأة ، ليقود
قلب الانسان الى السماء ، للحظة تفجرت الموسيقى من ضلوعى ،
وأينعت كل آمال حياتى منقلة بالشمار ، ولكن ، ألم أقتحم شبك
هذا الوهم لأهيم فى أرض غريبة ؟ ألم أعان من الازلال فى رفقة
الصبر ؟ ألم أتحمل فراقك يا صديقى منذ الطفولة ؟؟ ماذا كنت تفعل
أنت أثناء ذلك ؟ جلست فى ظلال حديقة الملك ، وقضيت أوقات
فراغك الحلوة فى كسل عابث ، ناسجا لى كذبة متقنة . . لأصفح بها
عن خبلك الذى تسميه ديننا جديدا .

سويريا : يا صديقى ؟ أليس هذا العالم رحيبا بما فيه الكفاية ؟ لماذا تريد أن تسجن كل الناس داخل فكرك ! مع أن طبيعتهم تخالف طبيعتك ؟ انظر الى السماء .. تلك النجوم التى هناك بلا عدد ، هل يحارب بعضها بعضا لاثبات وحدانية خالقها ؟ ان وحدانية الخالق يا صديقى ليست فى حاجة الى من يدافع عنها ، ألا تستطيع العقائد كلها أن تتجاوز بمشاعلها المضيئة فى صداقة وسلام ؟ انه من مصلحة العقائد ذاتها .. أن تظل كل المسائل مضيئة لكى تطارد الظلام .

كيهانكار : كلمات ! مجرد كلمات ! لتجعل بها الباطل والحق يعيشان جنباً الى جنب .. فى تآلف خبيث ، ان هذا العالم غير المتناهي .. ليس واسعا بما فيه الكفاية ، هل على القمح الذى تنضجه الأرض لاطعام الانسان .. أن يفسح مكانا بين أعواده للأعشاب الضارة ؟ ان « خب الجميع » ليس هدفا بالغ الجمال ، يجب أن يسمح للحب أولا بأن ينقى الأرض من الصداقة الملوثة بالخيانة ، هل استطاع التسامح يوما أن يكون غادرا بقدر ما تفعل الخيانة ؟ ان التسامح يجب أن يموت منلما يموت قطاع الطرق، فليمت التسامح دفاعا عن عقيدته ، ولكى يعيش الآخرون من بعده فى ثياب المجد والشراء ، لا لا ، ان قلب العالم ليس صلبا كالصخر لكى يتحمل هذه التناقضات البشعة .. التى تتصادم داخله دون صرخة ألم .

سويريا : (للملبنى) سيدتى ، انى باسمك أتقبل هذه الاهانات والأذى ، كيهانكار ! انك تدفع حياتك ثمنا لايمانك ، وأنا أدفع أكثر مما تدفع، انى أخسر حبك الاثمن عندى من الحياة .

كيهانكار : كفاك ثرثرة ، كل الحقائق يجب أن تفحص فى حكمة الموت ، هل تذكر يا صديقى أيام كنا فى المدرسة ؟ عندما كنا نتخاصم الليل كله ، وفى الصباح نذهب الى معلمنا ، كان معلمنا فى لحظة يعرف من منا على صواب ، دع هذا الصباح يشرق الآن ، فلنذهب الى هناك ، الى أرض النهاية ، نقف أمام الموت بكل قضايانا ، حيث يتبدد ضباب الشكوك فى لحظة ، وتظهر القمم الشاهقة للحقيقة الأبدية ، نحن الأحمق هناك .. سوف ينظر كل منا الى الآخر ويضحك، صديقى العزيز ، أحضر معك ما تراه الأفضل هناك والأخلد .

سويريا : أنا طوع ارادتك يا صديقى

كيهانكار : اذن تعال الى قابى ، لقد ضللت فى التيه عن رفيقك الحميم ،
والآن يا صديقى العزيز ، تعال الى جوارى الى الأبد ، واقبل من
صديقك الذى يحبك هدية الموت •

(يضرب سويريا بقبضه الحديدى ، يسقط سويريا ميتا)

كيهانكار : [محتضنا جثة سويريا] والآن أيها الملك ناد على جلادك •
الملك : [ناهضا فى ثورة] أين سيفى !
مالينى : لا يا أبى •• لا ، اصفح عن كيهانكار يا أبى •

(ستار)

اقراء فى هذه السلسلة

برتراند رسل	احلام الاعلام وقصص اخرى
ى . رادونسكايا	الالكترونيات والحياة الحديثة
الدس هكسلى	نقطة مقابل نقطة
ت . و . فريمان	الجغرافيا فى مائة عام
رايموند وليامز	الثقافة والمجتمع
ر . ج . فوربس	تاريخ العلم والتكنولوجيا (٢ ج)
ليسترديل راى	الأرض الغامضة
والتر آلن	الرواية الانجليزية
لويس فارجاس	المرشد الى فن المسرح
فرانسوا دوماس	آلهة مصر
د . قدرى حفى وأخرون	الانسان المصرى على الشاشة
أولج فولكف	القاهرة مدينة ألف ليلة وليلة
هاشم النحاس	الهوية القومية فى السينما العربية
ديفيد وليام ماكدوال	مجموعات النقود
عزيز الشوان	الموسيقى - تعبير نفسى - ومنطق
د . محسن جاسم الموسوى	عصر الرواية - مقال فى النوع الأدبى
اشراف س . بى . كوكس	ديلان توماس
جون لويس	الانسان ذلك الانسان الفريد
بول ويست	الرواية الحديثة
د . عبد المعطى شعراوى	المسرح المصرى المعاصر
أنور المعداوى	على محمود طه
بيل شول أدنبيت	القوة النفسية للأهرام
د . صفاء خلوصى	فن الترجمة
رالف ثى ماتلو	تولستوى
فيكتور برومبير	سستندال

رسائل واحاديث من المنفى	فيكتور هوجو
الجزء والكل (محاورات في مضمار نيرنر هيزنبرج	
الفيزياء الذرية)	
التراث الغامض ماركس والماركسيون	سدنى هوك
فن الأدب الروائى عند تولستوى	ف . ع . أدنيكوف
أدب الأطفال	هادى نعمان الهيتى
أحمد حسن الزيات	د . نعمة رحيم العزاوى
أعلام العرب فى الكيمياء	د . فاضل أحمد الطائى
فكرة المسرح	فرنسيس فرجون
الحجيم	هنرى باربوس
صنع القرار السياسى	السيد عليوة
التطور الحضارى للإنسان	جاكوب برونوفسكى
هل نستطيع تعليم الأخلاق للأطفال ؟	د . روجر ستروجان
تربية الدواجن	كاتى ثير
الموتى وعالمهم فى مصر القديمة	ا . سبنسر
النحل والطب	د . ناعوم بيتروفيتش
سبع معارك فاصلة فى العصور الوسطى	جوزيف داهموس
سياسة الولايات المتحدة الأمريكية ازاء	
مصر ١٨٣٠ - ١٩١٤	د . لينوار تشامبرز رايت
كيف تعيش ٣٦٥ يوما فى السنة	د . جون شندلر
الصحافة	بيير البير
اثر الكوميديا الالهية لدانتى فى الفن	
التشكيل	الدكتور غبريال وهبه
الأدب الروسى قبل الثورة البلشفية	
وبعدها	د . رمسيس عوض
حركة عدم الانحياز فى عالم متغير	د . محمد نعمان جلال
الفكر الأوروبى الحديث (٤ ج)	فرانكلين ل . باومر
الفن التشكيلى المعاصر فى الوطن العربى	
١٨٨٥ - ١٩٨٥	شوكت الربيعى
التنشئة الأسرية والأبناء الصغار	د . محيى الدين أحمد حسين

نظريات الفيلم الكبرى	تأليف : ج . ج . دادلى أندرو
مختارات من الأدب القصصى	جوزيف كونراد
الحياة فى الكون كيف نشأت واين توجد ؟	طائفة من العلماء الأمريكىين
حرب الفضاء	د . محمد أسعد عبد الرؤوف
ادارة الصراعات النولية	د . السيد عليوة
الميكروكمبيوتر	د . مصطفى هناتى
مختارات من الأدب اليابانى	صبرى الفضل
تاريخ ملكية الأراضى فى مصر الحديثة	جابريل باير
اعلام الفلسفة السياسية المعاصرة	أنطونى دى كوسبنى
كتابة السيناريو للسينما	وكينيث هينوج
الزمن وقياسه	داويت مويين
أجهزة تكييف الهواء	زافيلسكى ف . س
الخدمة الاجتماعية والانضباط الاجتماعى	إبراهيم القرضاوى
سبعة مؤرخين فى العصور الوسطى	بيتر رداى
التجربة اليونانية	جوزيف داهموس
مراكز الصناعة فى مصر الاسلامية	م . م . بورا
العلم والطلاب والمدارس	د . عاصم محمد رزق
الشارع المصرى والفكر	رونالد د . سمبسون
حوار حول التنمية الاقتصادية	و ثورمان د . اندرسون
تبسيط الكيمياء	د . أنور عبد الملك
العادات والتقاليد المصرية	والتر روستو
التذوق السينمائى	فرد . س . هيس
التخطيط السياحى	جون بوركهارت
البذور الكونية	الآن كاسبيار
دراما الشاشة (٢ ج)	سامى عبد المعطى
الهويين والايلز	فريد هويل
صور افرقية	شاندرا ويكراما ماسينج
	حسين حلمى المهندس
	روى روبرتسون
	دوركاس ماكلينتوك

هاشم النحاس
د . محمود سرى طه
بيتر لورى
بوريس فيدروفيتش سيرجيف
ويليام بينر
ديفيد الدرتون
جمعها : جون ر . بورر
وميلتون جولدينجر
أرنولد توينبى
د . صالح رضا
م . كنج وآخرون
جورج جاموف
د . السيد طه أبو سديره
جاليليو جاليليه
أريك موريس ، ألان هو
سيريل الدريد
آرثر كيسستلر
توماس أ . هاريس
مجموعة من الباحثين
روى أرمز
ناجى متشيو
بول هاريسون
ميكائيل البى ، جيمس لفلوك
فيكتور مورجان
اعداد محمد كمال اسماعيل
الفردوسى الطوسى
بيرتون بورتر
جاك كرابس جونيور
محمد فؤاد ، كوبريلى

نجيب محفوظ على الشاشة
الكمبيوتر فى مجالات الحياة
المخدرات حقائق اجتماعية ونفسية
وظائف الأعضاء من الألف الى الياء
الهندسة الوراثية
تربية اسماك الزينة
الفلسفة وقضايا العصر (٣ ج)
الفكر التاريخى عند الاغريق
قضايا وملامح الفن التشكيلى
التغذية فى البلدان النامية
بداية بلا نهاية
الحرف والصناعات فى مصر الاسلامية
حوار حول النظامين الرئيسيين
للكون
الارهاب
اخناتون
القبيلة الثالثة عشرة
التوافق النفسى
الدليل الببليوجرافى
لغة الصورة
الثورة الاصلاحية فى اليابان
العالم الثالث غدا
الانقراض الكبير
تاريخ النقود
التحليل والتوزيع الأوركسترا
الشاهنامة (٢ ج)
الحياة الكريمة (٢ ج)
كتابة التاريخ فى مصر ق ١٩٠٠
قيام الدولة العثمانية

بول كونر	العثمانيون في اوربا
اختيار واعداد هبرى الفضل	مختارات من الآداب الآسيوية
تونى بار	التمثيل للسينما والتليفزيون
نادين جورديمر وآخرون	سقوط المطر
موريس بيربراير	صناع الغلود
آدامز فيليب	دليل تنظيم المتاحف
أحمد الشنواني	كتب غيرت الفكر الانسانى (٣ ج)
جوناثان ريلى سميث	الحملة الصليبية الاولى
ريتشارد شاخ	رواد الفلسفة الحديثة
زيجمونت هبئر	جماليات فن الاخراج
الفريد ٠ ج ٠ بتلر	الكنائس القبطية (٢ ج)
اعداد ٠ د ٠ فيليب عطية	ترانيم زرادشت
ادوارد مرى	النقد السينمائى الأمريكى
هربرت شيلر	الاتصال والهيمنة الثقافية
الحاج يونس المصرى	رحلات فارتيما
ستيفن أوزمنت	التاريخ من شتى جوانبه ٣ ج
نفتالى لويس	مصر الرومانية
بيتر نيكوللز	السينما الخيالية
اعداد : مونى براخ وآخرون	السينما العربية من الخليج الى المحيط
برتراند راصل	السلطة والفرد
فانس بكارد	انهم يصنعون البشر ٣ ج
جابر محمد الجرار	اتفاقية ماستريخت
ابرار كريم الله	من هم التتار

تطلب كتب هذه السلسلة من :

- باعة الصحف .
- مكتبة الهيئة .
- المعرض الدائم للكتاب بمقر الهيئة .
- منافذ التوزيع فى أماكن وفروع الثقافة الجماهيرية وهى
كما يلى :

— الوادى الجديد . . الداخلة والخارجة .

— البحيرة .

— المنيا .

— دمياط .

— فارسكور .

— القليوبية (بنها) .

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ٤٢٥٦ / ١٩٩٤

ISBN — 977 — 01 — 3773 — 1

يضم هذا الكتاب انطباعاتي عن رحلة رائعة قمت بها إلى الهند ، لكن الأكثر روعة
هو رحلاتي بعد ذلك في تاريخ الهند عبر آلاف السنين.. ثم في أرجاء العقل الهندى
الحديث ، ولأن كل ذلك يمثل صورة ساطعة لشريحة بشرية هائلة في تلك البقاع النائية
في العالم.. فإنني أقدم لك هنا أيضاً نماذج فائقة من كل ما انتجته الحضارة الهندية
المجيدة المتدفقة.. بدءاً بالأساطير والملاحم الموعلة في القدم... إلى الآداب الحديثة
شعراً وقصة ومسرحية ، لعلك بذلك تشاركني المتعة الروحية والعقلية.. تلك التي غمرتني
سنوات عديدة.. وأنا أقرأ ثم أترجم لك هذه الأعمال..

سوربال عباد الملك

